ميس الجبل

لؤلؤة جبل عامل



ميس الجبل

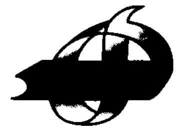
لؤلؤة جبل عامل

رامز رزق

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص. ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

مقدمة

قليلة هي القرى العاملية التي لها ذكر في التاريخ، لا لسبب، ولكن لأن الدور التاريخي لهذه القرى لم يكن بالشكل الذي يكتب في التاريخ. في القرى تكون الأمور التاريخية محصورة ببعض الأحداث البسيطة، تاريخ لبعض الأشخاص أو لتطور الأسر. ولكن عند الحديث عن بعض القرى في جبل عامل ـ جنوب لبنان ـ وميس الجبل من هذه القرى، فإن التاريخ يجد مادته في تلك الكوكبة المضيئة من العلماء الذين وضعوا الأسس والمبادى الحضارية لقسم من الأمة، ولا زالت هذه المبادىء حية ويعمل بها إلى اليوم، ولن يعدو الحديث عن ميس الجبل أن يكون مقروناً في كل حال، بأولئك العلماء.

أتاها أبو ذر الغفاري رضي الله عنه فرابط في قلعتها القديمة، وأقام في ميس (الجبل) زمناً ليس بالقصير، ربما أربع عشرة سنة، يدعو الناس لولاية علي، فتشيعت ميس في ذلك الزمن، وبني قرب جدار القلعة مسجدٌ على اسم أبي ذر، حيث هو اليوم. لم يكن بعد شيعة ولا متشيعون إلا قلة مبعثرون هنا وهناك، أفراد قلائل في الحجاز، وبعض الصحابة المتنقلون في الأمصار. فربما تكون ميس أول قرى الدنيا تشيعاً لعلي ولها في ذلك فخر، أي فخر.

وفي زمن الظلم والاضطهاد للشيعة الذي أعقب الحروب الصليبية في العهد المملوكي، كانت ميس بموقعها النائي عن طرق القوافل وتحركات الجيوش، تحتضن حوزة علمية دينية شيعية، كانت في حينه الوحيدة في بلاد الشام، المدرسة التي سبقتها في جزين أقفلت قبل ذلك بقرابة القرن بعد استشهاد مؤسسها الشهيد الأول محمد بن مكي الجزيني العاملي. فكان مؤسس مدرسة ميس وشيخها المحقق علي بن عبد العالي الميسي، وربما أبوه قبله، الشيخ عبد العالي بن مفلح الميسي، يعتني بطلابها ويشرف عليهم ويسهر على جعلهم علماء مجاهدين.

لقد قيل فيما بعد أن مدرسة ميس خرجت أربعمائة عالم، ولو كان هذا الرقم مبالغاً فيه عشرة أضعاف لظلت المحصلة مفخرة تاريخية لميس ومدرستها. زارها المحقق علي بن عبد العالي الكركي، وفي زيارته أجاز الشيخ علي بن العالي الميسي وابنه الشيخ إبراهيم، وعندما انتهى به الترحال بعد حين إلى بلاد إيران لم يشأ أن يكون بعيداً عن ميس ومدرستها، فأخذ معه الشيخ إبراهيم بن علي الميسي، الأب الجليل الذي خرج من نسله عدد مهم من أئمة المذهب الجعفري في إيران من أمثال الشيخ لطف الله الميسي وسواه.

تخرج من مدرسة ميس على يد الشيخ علي بن عبد العالي الميسي عدد من كبار علماء المذهب الجعفري منهم المجددين والمجتهدين الكبار الذين استطاعوا بما بذلوه أن يحولوا المذهب الجعفري من مذهب بسيط يعيش داخل البيوت الشيعية فقط، إلى مذهب يحكم مباشرة من خلال حكومة إسلامية كما جرى في عهد الشاهات الصفويين في بلاد إيران.

من أهم العلماء الذين تخرجوا من مدرسة ميس العالم زين الدين بن علي المعروف بالشهيد الثاني، إضافة إلى عدد كبير من العلماء المجاهدين.

في الزمن الحديث كان أهالي ميس سباقين إلى ميادين الجهاد، مبادرين في حقول العلم الديني والدنيوي حتى استحقوا شرف الانتماء والولاء للنبي ولعلي، وكأن أبا ذر رضي الله عنه لم يغادرهم، بل بقي في مسجده فيها، لبوا نداء القادة والأئمة بعد سنة ١٩٢٠ وقاوموا الوجود الفرنسي بما استطاعوا، ومنذ سنة ١٩٤٨ تقدموا صفوف المجاهدين للدفاع عن فلسطين في زمن عز فيه المجاهدون وقل فيه المدافعون عن الحق. وعندما شبت نار الحرب الأهلية في لبنان سنة ١٩٧٥ كان شبان ميس من المسارعين للدفاع عن الأرض والإنسان، وسقط منهم العشرات في جبهات الحرب. وعندما بدأت المقاومة الوطنية والإسلامية حركتهما التاريخية في مواجهة جيش الغزو الصهيوني الذي كان قد اجتاح لبنان ابتداءً من سنة ١٩٧٨، كان شبان ميس في صفوفهما الأولى. سقط الشهداء بالعشرات، وقفوا في كل المواقع سداً منيعاً، حتى أينعت الثمار وحقق الأبطال النصر التاريخي المؤزر على العدو وأذنابه، فدخل شبان المقاومة الميسيين قريتهم دخول الظافرين في صبيحة ٢٢ أيار سنة ٢٠٠٠.

سيظل النصر الذي أنجز في ٢٢ أيار ٢٠٠٠ والأيام التي تلته مفخرة تاريخية، وسيظل لأبناء ميس كما لكل جبل عامل وإخوانهم في البقاع، شرف تحقيق هذا النصر رغم ضعفهم وقلة عددهم وهوانهم على الناس.

لقد أثبتوا بانتصارهم بعد دهر من الجهاد أن جبل عامل لا ينحني ولا يهزم، أليس الإمام الصادق قد صدقهم قوله حين حذّر، وردد على مسامع من يريد أن يسمع: «ما من أحد أراد بجبل عامل شراً إلا قصم الله ظهره». وقد عاين أبناء جبل عامل تقلب الدول من حولهم، وانهيار كل سلطة تجرأت على المساس بالجبل، فكانوا دائماً الحلقة الصعبة في كل معادلة، والشوكة الجارحة في جنب كل متجبر. لقد كانوا وظلوا رمزاً للوفاء لعقيدتهم تماماً كما عاهدوا أبا ذر قبل قرون، حتى أخبر الإمام الصادق عنهم، عندما سئل عن أحوال الناس عند قيام القائم وفي حال غيبته، مَن أولياؤه؟ ومَن شيعته؟ فقال، وكلامه الصدق: «بلدة بالشام، بأعمال شقيف أرنون وبيوت وربوع تعرف سواحل البحار وأوطئة الجبال، هؤلاء شيعتنا حقاً، وهم أنصارنا وإخواننا والمواسون لنا والحافظون لسرنا».

وميس (الجبل) هي أولاً وأخيراً قرية في جبل عامل، تاريخها من تاريخه، وكيانها من كيانه، فالكلام عنها يرتبط جذرياً بالكلام عن جبل عامل حضارةً وتاريخاً.

لم تكبر ميس مرة لتكون عاصمة مملكة، ولم تكن ولا مرة، مركز إمارة، أو سرايا حكم لباشا من الباشاوات، ولا حتى لحاكم سنجق من رتبة بيك (بك)، بل دائماً كانت، مذ وجدت في القديم قرية، بما تعني كلمة قرية. صحيح أنها كبيرة، أراضيها واسعة، عدد سكانها يزيد عن عدد سكان بعض المدن، التي فرضت مدناً ومراكز أقضية في ظروف معينة، لكن ميس لم تزد عن أن تكون قرية في جبل عامل. فلنتعرف باختصار على جبل عامل شعباً وتاريخاً قبل أن نتعرف على ميس.

الفصل الأول:

نظرة على جبل عامل

حدوده
اسمه وبعض من تاريخه القديم
الإدارة السياسية في العهد الروماني ـ البيزنطي
فترة الحكم العربي الإسلامي
جبل عامل تحت الإحتلال الصليبي
العلاقة بين الصليبيين والعامليين
إدارة جبل عامل في العهد الصليبي
جبل عامل تحت حكم المماليك
بلاد بشارة
مدرسة جزين والشهيد الأول
جبل عامل تحت السيطرة العثمانية
الأسر العاملية في العهد العثماني
حروب العامليين في العهد العثماني
الشيخ ناصيف النصار
معارك البحرة وكفرمان والحارة
عهد الجزار
حرب الطياح وانتقام الجزار
العهد الجديد بعد الجزار
من إبراهيم باشا إلى نهاية الدولة العثمانية

حدوده

يتفق مؤرخو جبل عامل وكتابه، على أن جبل عامل هو المنطقة التي تعرف حالياً بـ«جنوب لبنان»، مع تعديلات بسيطة على حدوده التاريخية.

أما حدود جبل عامل فهي، باعتراف معظم مؤرخي جبل عامل: «تبدأ من الشمال بمصب نهر الأولي، وتذهب صعداً إلى الشرق شمالي قرية البرامية، ويتجاوز قرية روم من الشمال إلى جزين فيضم واديها وشالوفها، وجميع القرى التي كانت تابعة لمقاطعة جزين. ويقطع التومات (نيحا) منحدراً إلى مشغرة، ويتصل بنهر الليطاني من شمال الحاصباني، وينتهي على ضفة بحيرة الحولة الغربية، وينعطف غرباً جنوبي مقام النبي يوشع وشمال الهراوي. ويمتد غرباً فيتبع مجرى وادي فارة وينتهي عند مصب وادي القرن جنوبي قرية البصة»[١].

اسمه وبعض من تاريخه القديم

أما اسم جبل عامل فقد اشتق من اسم قبيلة «عاملة بن سبأ» العربية اليمنية، وهي واحدة من عشر قبائل رحلت عن اليمن بعد انهيار سد مأرب الأول في أواسط القرن الرابع ق.م[٢]. تقريباً في فترة انتقال السلطة في بلاد الشام (سوريا) من حكم الفرس القدماء إلى حكم اليونان المقدونيين.

ورغم الشك الكبير حول تحديد هذا التاريخ البعيد لانهيار سد مأرب، والشك الأكبر حول سبب هجرة القبائل العربية اليمنية في تلك الحقبة، إلا أن الشائع أن قبيلة عاملة بن سبأ قد انتقلت مع قبائل أخرى، عددها على الأرجح ثلاث، وهي قضاعة ولخم وجذام، على دفعات، وليس دفعة واحدة. الأسباب التي تبدو مقنعة لهجرة هذه القبائل هي أسباب اقتصادية بالدرجة الأولى، وتشبه الأسباب التي دفعت قبائل عربية وسامية مختلفة للهجرة من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام.

وصول قبيلة عاملة إلى الشام قد وضعها في مواجهة مباشرة مع قبائل أخرى كانت تعيش في المنطقة، مما أوقف حركة هذه القبيلة عند حدود وادي عربة جنوب البحر الميت، بضعة قرون من الزمن. كانت قبائل عربية عدنانية قد دخلت إلى المنطقة في القرن الرابع ق.م من أهمها قبائل الأنباط الذين سكنوا في منطقة أدوم، واتخذوا من مدينة البتراء عاصمة لهم، بينما تقدمت قبائل الإيطوريين شمالاً واستوطنت منطقة الجليل وجبال صور ووادي البقاع، ثم تمددوا أبعد شمالاً حتى سيطروا على مدن البترون وطرابلس والجبال المشرفة عليهما وأنشأوا حصناً مهماً في مدينة زغرتا[٣]. لقد أنشأ الإيطوريون مملكة وجعلوا عاصمتها مدينة خلقيس (مجدل عنجر؟ في البقاع) واعتنق كثيرون منهم الديانة اليهودية خصوصاً تلك الجماعة التي كانت تسكن في الجليل. وقد ترك الإيطوريون العرب المتهودين آثاراً هامة في جبال الجليل من أهمها بعض الكنس التي كانت صورة رأس الأرنب إحدى رموزها.

يجب أن يكون واضحاً هنا أن جبل عامل الحالي لا يعتبر جزءاً من الجليل، ولا علاقة تاريخية بين المنطقتين[٤]. لقد كانت حدود منطقة الجليل تاريخياً تنتهي عند وادي القرن شمال عكا، أما المنطقة

الواقعة شمال هذا الخط فقد كانت تسمى تاريخياً منطقة صور أو جبال صور أو بلاد صور. ويمكن مراجعة حدود هذه المنطقة وتمييزها عن منطقة الجليل الواقعة حالياً في شمال فلسطين من خلال ما كتبه المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي عندما وصف مدينة قدس (Cydessa) بأنها إحدى المدن الحصينة التابعة لصور، والتي حشد القائد الروماني طيطس جيشه في سهل قريب منها قبل هجومه الكبير على أورشليم[٥].

في منتصف القرن السادس الميلادي، وقعت كوارث طبيعية خطيرة في البلاد السورية أدت إلى تدمير معظم مدن الساحل السوري، وهكذا انتهى وجود مدينة بيروت الرومانية، وكذلك مدينة صور التي غرق معظمها في الماء، وما تبقى سرعان ما خرب وهجر، حتى لم يبق من مدينة صور الرومانية إلا قرية صغيرة، لم تكن ذات أهمية عندما سيطر العرب المسلمون على بلاد الشام. وبعد الزلازل انتشرت الأوبئة، مما أدى إلى موت ذريع بين السكان، وخلت المدن والقرى، وضعفت الزراعة والصناعة. فكان لا بد أن تحل في الأماكن الفارغة قبائل جديدة، فوجدت القبائل العربية اليمنية التي كانت لا تزال تعيش على أطراف البادية، الفرصة مناسبة للتحرك نحو الساحل الشامي. وهكذا استعربت المنطقة بكاملها قبل دخول المسلمين إليها.

اعتنقت معظم العشائر العاملية المسيحية في فترة مبكرة من القرن الثالث الميلادي، وحافظت على دينها وعقيدتها المسيحية بولاء تام لعقيدة الكنيسة السورية (السريانية). وعندما وقعت الحرب بين العرب المسلمين وبين الجيش البيزنطي وقف العامليون بجانب الجيش البيزنطي وحاربوا تحت ألويته، وكانوا يعرفون بعرب الضاحية[٦]. حيث انهزموا

معه في اليرموك سنة ٦٣٦م، وآثر كثيرون منهم مغادرة البلاد مع الجيش البيزنطي المتراجع نحو الأناضول حيث استقروا هناك تاركين فراغاً سكانياً كبيراً في البلاد التي عرفت باسمهم (جبال عاملة)، وأسلم من بقي من العامليين بالتدريج، ثم قدمت قبائل جديدة تدين بالإسلام واستوطنت في المنطقة، دون أن يقلل ذلك من بقاء الأكثرية تنتمي إلى قبيلة عاملة.

الإدارة السياسية في العهد الروماني ـ البيزنطي

لقد قسمت البلاد (جبل عامل والجليل وما حولهما) منذ فترة تاريخية موغلة في القدم إلى وحدات إدارية سياسية، شبيهة بشكل الولايات. وربما يكون هذا النظام موروثاً من نظام الممالك الكنعانية والأرامية القديمة التي قامت في المنطقة، حيث كانت كل مدينة وما حولها من قرى تشكل مملكة شبه مستقلة. كانت إدارة البلاد تنتقل من سلطة إلى سلطة، ومن قوة عسكرية إلى أخرى حسب نمو القوى العسكرية في المنطقة، وصارت الإدارة تستمر بشكل تقليدي توارثي (غير وراثي)، حيث تقوم السلطة الجديدة بالإبقاء على النظام السائد، مع بعض التعديلات أحياناً. كانت المنطقة التي نسميها جبل عامل تنقسم دائماً إلى منطقتين إداريتين شمالية بين نهري القاسمية والأولي وتتبع مدينة صيدا، وكانت حدود منطقة صيدا تمتد شرقاً حتى سهل البقاع وفي بعض الأحيان شملت منطقة العرقوب وجبل الشيخ مما أدى في بعض الأحيان إلى تنافس بين صيدا ودمشق على حدود المقاطعتين. أما المنطقة الواقعة بين نهر القاسمية ووادي القرن فكانت تتبع مدينة صور. وكان حدها الشرق ينتهي في غور الحولة ووادي الحاصباني.

عندما استولى الرومان على المنطقة أقاموا نظاماً إدارياً متميزاً حيث قسموا البلاد السورية إلى ولايات وقسموا كل ولاية إلى مقاطعات، فكانت مدينة صور حاضرة الولاية المعروفة بولاية فينيقيا الساحلية، وسيستمر النظام الإداري الروماني قائماً في العهد البيزنطي الذي هو استمرار طبيعي لروما، إلا من بعض التعديلات التي جرت في فلسطين بسبب أحداث متلاحقة بين سنة ٣٠م و١٣٥م.

لقد طرأ أثناء الحقبة البيزنطية حدث مهم تاريخياً هو انتشار المسيحية واتخاذها ديناً رسمياً في الأمبراطورية، بعد أن واجهت الدعوة المسيحية في ظل الرومان اضطهاداً كبيراً. لقد أوجد الدين الجديد بطريقة ملفتة اهتماماً كبيراً بالأراضي الفلسطينية المقدسة، وجعل الطريق الموصلة إلى فسطين عبر جنوب لبنان (جبل عامل) عامرة دائماً، كما ازدادت حركة العمران لمباني الكنائس الضخمة التي أقيمت في كل مكان من المنطقة على أسماء قديسي وشهداء الكنيسة، وفي بعض الأحيان كانت هذه الكنائس تشاد على أنقاض معابد وثنية دمرتها السلطة المسيحية.

لقد عزز الرومان مدينة صور وحولوها إلى عاصمة أقليمية مهمة جداً لولاية فينيقية الساحلية، وبنوا فيها ملاعب رياضية وأقاموا عدداً من الحدائق كما حصنوا المدينة، حتى أصبحت إحدى أهم مدن المتوسط. كان يقطن فيها إضافة إلى سكانها البلديين، جاليات يونانية ورومانية قليلة العدد، ومعظم أفراد هاتين الجاليتين كانوا من الجنود أو موظفي المكاتب الحكومية وعائلاتهم. كانت أراضي جنوب لبنان تتبع إدارياً لمدينة صور، والتي ينتهي حدها الشرقي عند نهر الأردن في حدود بحيرة الحولة. وأصبحت صور بعد انتشار المسيحية مركزاً لأبرشية يتبعها

عدد من الأسقفيات. يجب التذكير هنا بأن الكنيسة قد اتبعت النظام الروماني القائم في تقسيم الأبرشيات والأسقفيات في البلاد السورية.

فترة الحكم العربي الإسلامي

بعد سيطرة العرب المسلمين على بلاد الشام عمدوا إلى ضم مناطق جبل عامل الجنوبية إلى ولاية مستحدثة عرفت باسم ولاية الأردن وجعلوا عاصمتها مدينة طبريا. هذه المدينة كان قد أنشأها بين سنتي ١٨م و٢٠م هيرود أنتيباس الذي حكم ربع الجليل في العهد الروماني حتى وفاته سنة ٣٩م، وقد اختار موقعها بعناية قرب بحيرة طبريا.

شملت ولاية الأردن المستحدثة معظم جنوب لبنان (جبل عامل) بما فيه مدينة صور، وكانت مدينة صور، قد فقدت أهميتها في القرن السادس الميلادي، بعد أن ضربتها الزلازل في فترات متعاقبة، حتى قل ذكرها بين المدن المهمة على الساحل عندما اجتاحت الجيوش العربية الظافرة المنطقة.

ظلت ولاية الأردن العربية الشامية قائمة في القرون التالية، كانت تنفصل في هذه الولاية بعض المدن في فترات متباعدة ليتحول خراجها إلى ولاية دمشق، واستمر الأمر كذلك حتى حكم الفاطميون في الربع الأخير من القرن العاشر الميلادي، حيث بدأت الفوضى تدب في جسم الدولة الإسلامية خاصة في الولايات الشامية، وتحولت المنطقة إلى خط مواجهة عسكرية بين ثلاث دول هي الدولة الفاطمية في مصر، والدولة العباسية في العراق، والدولة البيزنطية في الأناضول وشرق أوروبا. وقد قام البيزنطيون بهجوم على المنطقة الشمالية تمكنوا خلاله من الاستيلاء على الساحل السوري الشمالي حتى جبلة مدة تزيد عن ٣٥ سنة، كما

استولوا على مدينة حلب ووضوعوها تحت الجزية، فيما كان الولاة في دمشق وطبريا، وهم في تلك الحقبة من أصول تركية، مشغولين بأمورهم الشخصية، مما مهد الطريق لانفصال صور ومنطقتها عن جسم الولاية، لا بل عن جسم الخلافة الفاطمية، لتصبح المنطقة أشبه بمملكة مستقلة، تعلن إسمياً ولاءها للخلافة في القاهرة، بينما تدير شؤونها بنفسها.

في ولاية الأردن كان هناك عدد من المدن الرئيسية يمكن اعتبارها مراكز إدارية لنواحٍ أو لكور صغيرة. يذكر من هذه المدن صور وقدس وآبل القمح وبيسان وفحل.

كانت آبل القمح هي مركز ناحية في أقصى شمال شرق ولاية الأردن، في جنوب سهل مرجعيون، مباشرة تحت جبل هونين. أما قدس فموقعها على تل يشرف على بحيرة الحولة من جهة الغرب، فيما يمكن اعتبار صور، تماماً كما في القديم، العاصمة البحرية والقوية للمنطقة.

ولاية الأردن تحت الإدارة العربية الإسلامية كانت تتألف من عدد من الكور وصل عددها إلى ثلاث عشرة كورة أيام ابن خرّادذِبّة في القرن الرابع/العاشر وهي: كورة طبرية، كورة السامرة، كورة بيسان، كورة فحل، كورة جرش، كورة بيت راس، كورة جدر، كورة آبل، كورة سوسية، كورة صفورية، كورة عكا، كورة قدس، كورة صور[٧].

ومن تعداد هذه الكور ندرك أنها كانت تشمل المنطقة الجنوبية من جبل عامل، أي منطقة جنوب نهر الليطاني. أما المنطقة التي تقع شمالي نهر الليطاني فكانت تتبع ولاية دمشق (كورة صيدا) وليس من ذكر لكور أخرى غير كورة صيدا (في جنوب لبنان التابع لدمشق) رغم أن ابن

خرّادذِبّة قد ذكر الثغور البحرية التي كانت في الشام، فعدد أسماء مدن كانت بشكل عام، مراكز كور، فقد ذكر لولاية دمشق من الثغور: طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وحصن الصرفند وعدلون(٨). ومن المعروف تاريخياً أن ذكر عدلون والصرفند كان يرد دائماً لاعتبارات عسكرية حيث كانت تقوم في هذين الموقعين قلعتان هامتان.

من المهم جداً التنبه إلى أن بعض مراكز الكور قد استحدث بعد زمن من فتح المسلمين للشام، فمثلاً مدينة عكا بنيت في عهد عبد الملك بن مروان وأصبحت مركز كورة، وقد أنشئت على أنقاض مدينة اغريقية قديمة (Ptolmais) دمرت في زلزال القرن السادس. كما أن نفس القلاع والحصون التي كانت موجودة في العهد العربي، قد أصبحت مراكز عسكرية، وأعيد ترميمها أو إعادة بنائها كحصون وقلاع مهمة في فترة الاحتلال الصليبي مثل قلاع عدلون والصرفند وتبنين.

كانت ولاية الأردن أصغر ولايات الشام، لا بل أصغر الولايات العربية بشكل عام وكان دخلها في القرن العاشر الميلادي لا يزيد عن ٣٥٠ ألف دينار(٩).

ويدل نظام البريد الذي كان يعمل به في نفس الفترة على الطرق الأساسية التي كان يستعملها الناس في التنقل بين المناطق. وهذه الطرق هي بشكل عام، نفس الطرق التي يسير عليها الناس في هذا العصر مع تعديلات طفيفة. كما تدل محطات البريد المنتشرة على هذه الطرق على الأمكنة المهمة من مدن أو قرى التي كانت موجودة على طرق القوافل أو في المواقع الرئيسية.

كانت المسافة بين مراكز البريد تسمى مرحلة بريدية أو بريداً.

فكان عبور مرحلة بريدية (أو بريد) يعني قطع الطريق بين مركزين في مدة يوم واحد للراكب. فكان البعد بين المراكز البريدية لا يخضع لحساب المسافة بقدر ما يخضع لوعورة الطريق أو سهولتها. فكانت المسافة مثلاً من طبرية مركز الولاية إلى اللجون أو إلى جب يوسف أو إلى بيسان أو إلى عقبة أفيق (الجولان حاليا) أو إلى كفركلا(جبل عامل) مرحلة مرحلة. والمسافة من جب يوسف إلى قرية العيون (مرجعيون في جبل عامل) مرحلتين. ومن الجش إلى صور مرحلة، ومن صور إلى صيدا مرحلة. ومن صور إلى مجدل سلم (جبل عامل) أو إلى قدس بريدين. ومن مجدل سلم إلى بانياس بريدين. ومن طبرية إلى عكا مرحلتين[١٠].

ابتداءً من حكم الدولتين العباسية والفاطمية وحتى وصول الصليبيين إلى المنطقة راج استعمال أسماء جديدة للتعبير عن جبل عامل، لقد سُمّيت المنطقة الجبلية المتصلة بجبل لبنان من ناحية الجنوب جبل صديقا التي حددها المقدسي بأنها المنطقة الواقعة بين صور وقدس وبانياس وصيدا[١١]. وهذه المنطقة تقريباً هي المنطقة التي ندعوها جبل عامل، رغم أن المقدسي نفسه ظل يستعمل اسم جبل عامل أو جبال عاملة للتعبير عن نفس المكان وفي نفس الزمان.

المكان الذي أخذت المنطقة اسمها منه (صديقا أو جبل صديقا) هو تل يقع إلى الشرق من تبنين مباشرة وإلى الغرب من قرية صفد البطيخ حيث يقوم مقام لأحد الأولياء يسميه العامة صديق النبي أو النبي صديق. ويبدو مما ذكره المقدسي في رحلته أن قرية كانت تقوم على رأس ذلك الجبل عرفها أبناء جبل عامل باسم قرية صديق، ولم تكن هذه القرية مركزاً إدارياً ولا مركزاً تجارياً، لم يكن لها أي أهمية

سياسية، لكنها كانت مركزاً مقدساً للناحية بكاملها. كان الوالي أثناء زيارة المقدسي لولاية الأردن القاضي أبو القاسم بن العباس فبعثه للصلاة في مسجدها يوم الجمعة وكان المسجد في حالة من الخراب أو الصغر فحث المقدسي المؤمنين على عمارته فعمروه[١٢].

المنطقة التي تقع جنوب جبل صديقا عرفت باسم جبل زيتا، وربما تكون بعض الأطراف الجنوبية لجبل عامل قد انتمت لهذا الجبل.

من الناحية العسكرية، أقام العرب مجموعة من القلاع والحصون التي استخدمت كمراكز لتجميع العساكر أو لإقامة الحكام، وكانت معظم المراكز العسكرية تقام في مناطق مأهولة كالمدن أو القرى الكبرى. ومن أهم القلاع العربية التي كانت قائمة في العهد العربي الإسلامي قلعة أبي الحسن التي بنيت في العهد الفاطمي في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي قرب الصرفند، لتحل محل قلعة الصرفند العربية القديمة التي خربت في تلك الآونة في ظروف غامضة. وقد استعمل العرب مجموعة كلمات للدلالة على التحصينات العسكرية، ككلمات قلعة وبرج وحصن... كما استعمل العرب كلمة «مجدل» للدلالة على الحصن الصغير. وكانت المجادل العربية تنتشر في جبل عامل في أماكن متعددة خصوصاً في بعض التلال الاستراتيجية التي كانت تشرف على طرق المواصلات، كما يتواجد في المجدل عادة مراكز البريد التي كانت تقوم بنقل الرسائل بين الأمراء. ولا زالت أسماء المجادل موجودة إلى هذه الأيام عبر أسماء بعض المواقع (مجدل سلم، مجدل ميس، مجدل زون، المجادل...). وسيكون مألوفاً استعمال الصليبيين لنفس الاماكن لبناء قلاعهم وحصونهم في العهد الصليبي.

جبل عامل تحت الإحتلال الصليبي

نمت صور في العهدين الأموي والعباسي أكثرمن مدينتي عكا وصيدا، وأصبحت بعد استيلاء الفاطميين على بلاد الشام من أهم المدن الشامية الساحلية وأكثرها تحصيناً. كانت عاصمة للمنطقة بكاملها وأماً للمدن والقرى فيها، فيها يلتقي التجار وتعمر الأسواق وفي قصر الإمارة فيها يكبر الحلم ليتحول إلى رغبة في إنشاء دولة مستقلة عن الخلافة الفاطمية التي لبست لباساً شيعياً. لقد ثار علاقة أولاً سنة ٩٩٧ وانتهى مهزوماً ومتهماً بالارتداد عن الدين الحنيف، حيث قتل وسلخ جلده وعلق على أسوار القاهرة أياماً[١٣].

على أنه يجب الانتباه إلى أن حركة علاقة لم تكن من منطلقات مذهبية أو عقائدية، لقد أراد مع وجهاء مدينة صور التخلص من حكم الفاطميين لأسباب تتعلق بعلاقات المدينة التجارية. بعد علاقة وحركته بحوالي ثلاثين سنة انفصلت صور ثانية عن الفاطميين وانتخبت قاضياً اسمه ابن عقيل ليصبح حاكماً عليها ضمن شروط معينة. لقد لاحظ ناصر خسرو الرحالة الفارسي أثناء مروره في صور في تلك الفترة أن أهالي صور كانوا شيعة في غالبيتهم، رغم أن قاضيها ابن عقيل كان سنياً، وهذا يعطي صورة مهمة عن عدم اكتراث أبناء المنطقة للشكل المذهبي في تلك الفترة.

لكن صور ومنطقتها، التي عرفت التمرد على الخلافة في القاهرة، وجدت نفسها فجأة سنة ١٠٩٩ وحيدة في مواجهة الغزو الأوروبي الهائل، عبر الحملة الصليبية الأولى. فلم تكن وحدها قادرة على مواجهة هذا الهجوم العسكري الشامل.

لقد حاول أبناء جبل عامل أن يقاوموا الغزو الأوروبي فخاضوا حرباً غير متكافأة، وعلى مراحل، طيلة خمس وعشرين سنة (١٠٩٩ ـ ١١٢٤) لينتهي بهم الأمر إلى تسليم مدينة صور للعدو، مقابل شروط يمكن اعتبارها مشرفة قياساً لما حدث في المنطقة قبل ذلك.

بعد سقوط صور حاول علماء الدين في جزين، الواقعة في شمال جبل عامل، والتي كانت قصبة الجبل في حينه، مواصلة الحرب بطريقة حرب العصابات، ولكن نتيجة تلك الحرب لم تكن مجدية بسبب غياب الكيان السياسي الذي كان يمكنه أن يستثمر نتائج الحرب العسكرية.

كانت كل المنطقة الإسلامية تعاني من ضعف خطير وانقسامات مذهبية وعرقية وسياسية مخيفة. كانت الممالك والإمارات الإسلامية تخوض حروباً متواصلة فيما بينها من أجل النفوذ والسيطرة، لذلك كان من المستحيل أن تقف إمارة أو مملكة من بينها في وجه الصليبيين. فكان ترقب المستقبل يبعث على اليأس.

العلاقة بين الصليبيين والعامليين

أخذ أبناء جبل عامل الذين خضعوا لحكم الصليبيين، يتكيفون مع الحكم الأوروبي، ويعتادون على التعامل مع جيش الإحتلال ضمن علاقة خضوع غير واضحة الأفق. لقد ترك الصليبيون العامليين يعيشون في قراهم بسلام وأمان، ومقابل ذلك فرضوا عليهم ضرائب محددة تساوي أنصاف الغلات كضريبة للحاكم، وجزية بسيطة على الرؤوس، وليس عليهم سوى ذلك. فيما كان المسلمون الذين يخضعون للحكم الإسلامي في إمارات الشام المختلفة، يلزمون بتقديم الكثير من الإتاوات والغرامات للحكام من أبناء دينهم، مما أحدث فتنة في قلوب المسلمين. . .»[١٤].

لكن العلاقة بين الصليبيين الحاكمين والعامليين المحكومين لم تلبث أن تطورت بشكل تصاعدي عندما قررت الإدارة العسكرية الصليبية استخدام رجال بلديين، أي العرب الخاضعين لها، في فيلق عسكري عرف بالفيلق التركي (Turkoble). وقد شارك هذا الفيلق في الحروب التي خاضها الصليبيون في مواجهة المسلمين. وكان لمشاركة العامليين في هذا الفيلق أثر بالغ السوء في الجهة الإسلامية الذين نظروا إلى العامليين نظرتهم إلى خونة. فقد وصفهم العماد الإصفهاني بذلك عندما تحدث عن استيلاء المسلمين على قلعة تبنين فقال: «.... ولما خلوا القلعة وأخلوا البقعة، سيّر الفرنجة، وسيّر معهم من العسكر المنصور من أوصلهم إلى صور، ورتب في الموضع مملوكه سنقر الدوري، فأرشد به ذلك الصقع الغوي فإن أعمال جبل عاملة مجبولة على الشر، وأهلها وإن كانوا مسلمين، كانوا أعواناً لأهل الكفر...»(١٥).

في نفس الفترة عاش المسلمون والمسيحيون البلديون في جبل عامل جنباً إلى جنب، وربما تساووا معاً في مقدار ما يدفعون من ضرائب وما يواجهون من مشكلات حتى اعتقد ابن جبير أن حياة هؤلاء وأولئك على ترفيه(١٦).

وما يمكن ذكره في هذا المجال هو انحياز المسيحيين البلديين إلى المسلمين ضد الصليبيين الجدد الذين كانوا يتوافدون مع الحملات من أوروبا، ومن الأمثلة على ذلك أن مسيحياً بلدياً كان يعمل مترجماً للحملة الإلمانية التي توجهت إلى قلعة تبنين سنة ١١٩٧ بقصد الإستيلاء عليها، نصح العساكر الإسلامية بالصمود، وأخبرهم أن استسلامهم للصليبيين لن يعفيهم من القتل(١٧). وقد أنقذت نصيحته قلعة تبنين من الاستسلام.

إدارة جبل عامل في العهد الصليبي

منذ أن سيطر الصليبيون على المنطقة عمدوا إلى إنشاء مملكة عرفت تاريخياً بالمملكة اللاتينية، ثم راحوا ينشأون بدأب مجموعة ضخمة من القلاع والحصون والقصور المحصنة جاعلين من هذه القلاع مراكز إدارة عسكرية ومدنية. لقد بنيت معظم القلاع والحصون على أنقاذ قلاع عربية سابقة أو على مقربة منها، ثم أضيف إلى هذه القلاع تحصينات وزيادات جعلتها أهلاً لاستيعاب أعداد أكبر من العساكر. وكانت مهمة هذه القلاع حماية المملكة من هجوم اسلامي محتمل. كذلك كانت مراكز تدار منها النواحي الإقتصادية والإجتماعية فيما حولها. وستظل هذه القلاع لاحقاً مراكز إدارية حتى بعد زوال الإحتلال الصليبي عن صدر المنطقة.

كانت المملكة اللاتينية مقسمة إلى أربع بارونيات وإلى اثنتي عشرة مقاطعة. وقد وقع جبل عامل إدارياً ضمن ثلاث مناطق. المنطقة الأولى هي تلك الواقعة شمالي نهر الليطاني وكانت تتبع بارونية صيدا (La Sagette). المنطقة الثانية كانت تمتد جنوب نهر الليطاني وتشمل المنطقة الساحلية وتتبع مقاطعة صور وعكا (La Territoire de Tyr et Acre)، ومركزها مدينة صور. بينما كانت المنطقة الثالثة تتألف من الجبال المطلة على صور من جهة الشرق والممتدة حتى نهر الحاصباني ـ الأردن وتتبع مقاطعة تبنين (La seigneurie de Toron). كانت كل منطقة من هذه المناطق تنقسم إلى مجموعة من النواحي تدعى كل ناحية منها (fief) يكون مركزه في قلعة كبيرة، عادة ما يتبعها عدد من الحصون أو القلاع الصغيرة. هكذا سنجد أن مقاطعة تبنين (La seigneurie de Toron) يتبعها

عدد من القلاع التي هي بذاتها مراكز للنواحي، هذه النواحي هي: ناحية تبنين صاحبة الإسم وفيها القلعة الكبرى، ثم ناحية هونين، وناحية بانياس ـ الصبيبة، وناحية مارون (الشرق)، وهي غير ناحية مارون (الغرب) التي كانت تتبع إدارياً لمدينة صور.

كان يتبع ناحية مارون (الشرق) ثمانية حصون، الأول هو الحصن الذي يحمل نفس الإسم (Le Maron)، وقد كتب الإسم في بعض الأحيان (Le Maroun) ويمكن أن يكون موقعه في خرائب قرية مارون الركبة الواقعة إلى الشرق قليلاً من قرية مارون الراس. ثم حصن قبريخا ويدعى (Quabriquem) وحصن بليدا (Belide) وحصن قدس (Cades)، وحصن لاهار (Lahare)، وحصن ميس (Mees)، وحصنان باسم المغارتين (Les deux mageras)(١٨). معظم هذه الحصون مواقعها في القرى التي تحمل اسمها، مارون وقدس وقبريخا وميس وبليدا، لكن الحصون الثلاثة الباقية أي لاهارا والمغارتين، فمواقعها مجهولة، وهي ولا شك، تقع في نفس الناحية. ويعتقد البعض بأن لاهارا في موقع قرية حاريص، والأكثر واقعية أن يكون موقعها في تل هُرَّة إلى الجنوب من قدس.

أما مقاطعة صور وعكا فكانت حدودها تنهتي في جهة الشمال عند مصب نهر الليطاني (القاسمية) حيث تبدأ بارونية صيدا (La Sagette)، بينما كانت تمتد شرقاً حتى تحاذي في بعض حصونها ناحية تبنين. وتحاذي في الجنوب حدود إمارة الجليل.

ومنذ اللحظة التي استولى فيها الصليبيون على صور سنة ١١٢٤ منح الملك اللاتيني تجار البندقية ثلث منطقتها واحتفظ بالثلثين. وإذا

استثنينا الحصون التابعة لمدينة عكا وعددها قرابة ٣٥ حصناً فإن الحصون المتبقية والتي تتبع صور مباشرة يبلغ عددها ٧٩ حصناً وقلعة مختلفة الأحجام ومتفاوتة الأهمية، في مقابل ١٧ حصناً وقلعة كانت تتبع حاكمية تبنين. وإذا أضفنا إلى هذا العدد مجموع الحصون والقلاع الواقعة في منطقة عكا لاتضح الأهمية الكبرى العسكرية والسياسية التي حظيت بها صور في تلك الحقبة.

على الناحية الشمالية لنهر القاسمية كانت تقوم بارونية صيدا، التي كانت تقسم إلى سبع نواحي وهي عدلون والصرفند والشوف وجزين وأرنون وشقيف تيرون وصيدا. في هذه المواقع كانت تقوم قلاع كبرى من أهمها على الاطلاق قلعة أرنون (Beaufort). كانت كل قلعة تعتبر مركز ناحية وفيها الإدارة العامة للمنطقة التي تحيط بها.

عدد القلاع والحصون في بارونية صيدا يبدو قليلاً مقارنة بذلك العدد الكبير في منطقتي صور وتبنين ففي المنطقة الممتدة بين الزهراني ونهر الأولي لم يكن يوجد سوى عدلون والصرفند والغازية وأرنون بينما بني عدد من الحصون الصغيرة في مناطق الشوف وجزين في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، أي في الوقت الذي كانت الإمارات الصليبية تواجه نهايتها.

يجب الانتباه هنا إلى أن النواحي كانت تنشأ لمدة من الزمن ثم تزول لينشأ نواح جديدة في أماكن أخرى بشكل متغير باستمرار ومرتبط بالوضع الميداني العسكري. فكان سقوط أي منطقة بأيدي المسلمين يعني إلغاء الإدارة الصليبية القائمة بينما كان استيلاء الصليبيين على إحدى المناطق يعني إنشاء ناحية جديدة.

كانت منطقة حاصبيا هي الأولى التي سقطت بأيدي المسلمين قبل وقوع معركة حطين وقد استولت على قلعتها الأسرة الشهابية التي كانت تتلقى دعماً هاماً من دمشق، ولم تصمد مرجعيون التي كان الصليبيون يسمونها (Le val Germain)، بل تحولت إلى خط تماس بين المتحاربين وانتهى بها الأمر بأيدي المسلمين لتصبح ناحيتها مكاناً لتجمع الجيوش الإسلامية خصوصاً في السهل الواقع شرقيها حيث بنيت في نفس المكان قرية الخيام.

لقد أصبح واضحاً أن هذا التقسيم الإداري قد فرضته الظروف السياسية والعسكرية إلى حد ما، فيما يمكن استشفاف تدخل ديني كنسي لاضفاء النظام الروماني القديم على المنطقة حيث كانت الكنيسة تعتمد وجود أبرشية خاصة بصور وأخرى في صيدا. فقد اعتبرت صور مركز أبرشية لها أسقفيات، وكانت حدودها في العهد الصليبي من نهر الزيب جنوباً (وادي القرن)، وهو مجرى نهر صغير متقطع الجريان يقع إلى الشمال من عكا، إلى نهر الليطاني (القاسمية) شمالاً، ومن أعالي الجبال المطلة على أغوار نهر الأردن شرقاً إلى شاطىء البحر غرباً(١٩). أما حدود أبرشية صيدا فتمتد من مجرى نهر الليطاني جنوباً إلى مجرى نهر الدامور شمالاً، ومن أعالي جبال الباروك ونيحا شرقاً إلى شاطىء البحر المتوسط غرباً. وهذا التقسيم هو نفسه التقسيم السياسي الذي عرفناه قبل قليل.

لقد استغرق الحكم الصليبي المباشر لجبل عامل أقل من قرن (١٠٩٩ ـ ١١٨٧) وانتهى بسقوط مملكة القدس اللاتينية بأيدي المسلمين بعد النصر الكبير الذي أحرزه المسلمون في معركة حطين. وتساقطت القلاع والحصون بعد ذلك بسرعة كبيرة. بما في ذلك القلاع والحصون

المار ذكرها (يستثنى من ذلك صور التي صمدت لحصار المسلمين، ثم تحولت إلى الهجوم بعد وصول الحملة الصليبية الثالثة سنة ١١٨٩).

كانت القوة التي واجهت الصليبيين في القرن الثاني عشر تتألف من أمراء الأسرة الأيوبية الكردية التي تمكنت من انشاء مجموعة من الإمارات والممالك الصغيرة أخذت على عاتقها مهمة مواجهة الوجود الصليبي في المنطقة. لكن هذه الأسرة، بقدر ما واجهت الصليبيين وحاربتهم، بقدر ما قدمت لهم خدمات وحمت وجودهم لأسباب مختلفة.

لقد ابتلي الأيوبيون بنظرية غريبة مفادها تدمير القلاع والحصون التي استخدمها العدو خشية العودة إليها. وقد أثمرت نظريتهم هذه تدميراً لأسوار بيت المقدس بأمر الملك الكامل الأيوبي الذي كان قد اتفق مع الصليبيين على تسليمهم مدينة القدس فارتأى أن يسلمها بدون أسوار، لكنه بعد الفراغ منها عطف على القلاع الحصينة ودكها إلى الأرض وأهم القلاع التي هدمها هي قلعة صفد وقلعة تبنين وقلعة بانياس بالإضافة إلى عدد من الحصون الصغيرة في الجليل. وربما يكون قد هدم حصن ميس الصليبي في هذه الفترة. هذه الخطوة جعلت الولايات الشامية المحررة حديثاً، مكشوفة أمام أي غزو خارجي الذي سرعان ما جاء عبر عدد من الحملات العسكرية التي أطالت أمد الأزمة وأسست لبقاء إمارات صليبية لمدة طويلة من الزمن.

وكما كانت نظرية الأيوبيين في تدمير القلاع والحصون والأسوار سيئة بالقدر الذي أطال أمد الحروب الصليبية في الشرق، فإن نظرية أخرى غريبة في إدارة الدولة كانت أكثر إيلاماً وأشد ضرراً. فقد وجد

الأيوبيون منذ أيام صلاح الدين أن الدولة التي حكموها هي بمثابة أملاك شخصية، فتوزعت كالميراث على الأخوة والأولاد والأقرباء، فكانت وفاة صلاح الدين إيذاناً بتقسيم الدولة إلى عدة ممالك صغيرة سرعان ما تحاربت فيما بينها. ثم تابع الملوك والأمراء الأيوبيون تقسيم ما يحكمون حتى ضاعت دولتهم في أقل من ستين سنة.

الحروب التي نشأت بين الأيوبيين كانت تستدعي إقامة تحالفات عسكرية مع ممالك مجاورة تكون نافعة أوقات الشدة، فعقدت تحالفات متناقضة بين بعض ملوك الأيوبيين وبين الإمارات الصليبية التي كانت بدورها تعاني من تفكك وضعف خطيرين، كانت بعض نتائجها أعطاء الصليبيين حصوناً أو مدناً كثمن لامداد حلفائهم في زمن الحرب. ففي سنة ٦٣٨/ ١٢٤٠ وقعت الحرب بين الصالح عماد الدين الأيوبي ملك دمشق والملك الصالح نجم الدين الذي كان يحكم مصر. ومن أجل ضمان النصر لجأ عماد الدين للاتصال بالصليبيين مستنجداً بهم وقدم لهم مقابل ذلك مدينة صفد وقلعة الشقيف ومنطقتها ونصف صيدا وجزءاً من منطقة طبريا بالإضافة إلى جبال عاملة ومواقع كثيرة على الساحل، فكان ما عرضه يساوي جميع ما أخذه صلاح الدين الأيوبي في حروبه من الصليبيين[٢٠]. ويمكن تصور مقدار الألم الذي شعر به الناس في جبل عامل وفي كل البلاد المجاورة، من جراء تحويلهم إلى سلعة في بازار الصراع على الحكم بين الأيوبيين. لذلك رفض الجنود المسلمون محاربة إخوانهم فانفضت المعركة عن هزيمة منكرة لملك دمشق عماد الدين.

وفي حادثة مشابهة جرت بعد ثلاث سنوات، حصل الصليبيون على مدينة القدس ومنطقة طبريا، بعد أن تنازل عنها الملك الصالح

اسماعيل صاحب دمشق والملك الناصر داوود صاحب الكرك، في مقابل إقامة حلف مع الصليبيين موجه ضد مصر. وتمكن الصليبيون من القدس فدخلوها. لكن ظهور الفرسان الخوارزميين في المنطقة وتحالفهم مع الملك الأيوبي نجم الدين ملك مصر قد قلب الأمور في وجه الصليبيين وتمكن الخوارزميون من استرجاع المدينة[٢١].

هذه الصورة للأوضاع القائمة في المنطقة استمرت وازدادت وتيرتها عندما ظهر المغول على مسرح الأحداث وسيطروا على العراق ومدن الشام (حتى سنة ١٢٥٨) وقصدوا مصر. فكان ظهورهم إيذاناً بانتهاء الدويلات الأيوبية المتناحرة، وحافزاً لتوحيد البلاد تحت سلطة المماليك الذين خاضوا صراعاً دموياً مريراً أثمر عن إزالة كل مخلفات الوجودين المغولي والصليبي في مناطق الشام ومصر.

لقد حقق الأيوبيون بدايةً انتصارات هائلة خصوصاً في معركة حطين التي كان بطلها بلا شك السلطان صلاح الدين الأيوبي، ولكن سوء استثمار النصر العسكري سياسياً ترك المنطقة متأرجحة في حروب طويلة استغرقت كل القرن التالي وزادت عليه. لقد أعاد الصليبيون تنظيم صفوفهم بعد وصول حملات متلاحقة لنجدتهم، وتمكنوا انطلاقاً من آخر موقع كانوا يحتلونها في مدينة صور من التمدد جنوباً وشرقاً حتى استطاعوا سنة ١٢٥٢ من استعادة كل ما فقدوه في حروب صلاح الدين وورثته.

لقد قدر أن تكون المعركة الأخيرة في المنطقة بين المسلمين والصليبيين بقيادة المماليك، هؤلاء العبيد الذين تمكنوا إثر وصولهم إلى الحكم بعد الإنقلاب على الأيوبيين، من وقف زحف المغول والانتصار

عليهم انتصاراً حاسماً في معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠. لقد تمكن المغول أثناء تحركهم من تدمير الدويلات الإسلامية في بلاد الشام، وعند هزيمتهم أصبح المماليك سادة الموقف، واعتبروا القوة العظمى الوحيدة في المنطقة، مما جعل مصير الصليبيين مرهوناً برغبة السلاطين المماليك. وعندما بدأ الهجوم الإسلامي العام، أولاً مع السلطان الظاهر بيبرس، ثم لاحقاً مع السلطان قلاوون ثم ابنه الأشرف خليل، تهاوت القلاع والمدن الصليبية حتى تمكن المسلمون من القضاء نهائياً على وجودهم بعد استيلائهم على مدينة عكا سنة ١٢٩١.

لقد قدر أن تكون المعركة الأخيرة مع الصليبيين بقيادة المماليك. وقد جرت تلك المعركة قرب عكا وفي داخلها حيث وضعت حداً فاصلاً بين حقبتين تاريخيتن مختلفتين. لقد أسفرت المعركة العسكرية عن اندحار الصليبيين وخروجهم من عكا، ثم من كل المنطقة، وهجرتهم بحراً نحو أوروبا، مروراً بقبرص ورودس، تاركين وراءهم مدناً فارغة من السكان سرعان ما أمر المماليك بهدمها إلى الأرض وإزالة آثارها، تأثراً على ما يبدو بنظرية الأيوبيين. هكذا دمرت صور وعكا والأبراج الكثيرة التي كانت تحيط بهما، بالإضافة إلى التخريب الكبير الذي أصاب القلاع الأربعة الموجودة في جبل عامل.

لكن المماليك الذين كانت تشتعل بينهم الحروب والمنازعات الكثيرة، على طريقة الأيوبيين أيضاً، سرعان ما أعادوا الاعتبار لبعض القلاع القديمة، فرمموا الخرب منها، مثل قلعة صيدا البحرية، واتخذوها مقرات لحكوماتهم المتعاقبة، وبنوا كذلك بعض القلاع الصغيرة على طرق القوافل وأنزلوا فيها الحاميات. ويمكن التخمين بأن قلعة دوبية الواقعة إلى الشمال الغربي من ميس قد بنيت في عصرهم.

جبل عامل تحت حكم المماليك

بعد أن ثبت المماليك أقدامهم في القاهرة ومنها في بلاد الشام كلها، عمدوا إلى تنظيم الدولة إلى نيابات يتولى كل نيابة منها أمير، أو نائب، وتركوا الإمارات الصغيرة التي كانت قد نمت وترعرعت أثناء وجود الصليبيبن على حالها، أو في بعض الأحيان أجروا فيها تعديلات بسيطة، كما أعادوا إلى المنطقة أسماءها التي استبدلها الصليبيون بأسماء مغايرة: تبنين = تورون. الشقيف = بو فور. . . .

في العهد المملوكي تبعت المنطقة (جبل عامل، أو جنوب لبنان) لنيابة صفد. وعمل في الشأن الإداري على نفس المنوال الذي كان في عهد الصليبين أو في عهد الأيوبيين. لقد تقسم جبل عامل حينذاك إلى عدد من الأقاليم أو النواحي أو مقاطعات غير واضحة الحدود. كانت القلاع الأساسية هي التي تعطي اسمها للمنطقة التي تشرف عليها، حيث يمكن تمييز منطقة الشقيف التي تشمل منطقة النبطية من مجرى نهر الزهراني حتى مجرى نهر الليطاني ومركزه قلعة شقيف أرنون. كما يمكن تمييز منطقة تبنين أو أقليم جبل تبنين وتديره قلعة تبنين. كذلك منطقة جبل هونين الذي ضم في بعض الفترات سهل مرجعيون والقرى الواقعة حوله وكانت تديره قلعة هونين. بينما وجد على الساحل منطقتين واحدة في الشمال وشملت أقليم الشومر وأقليم التفاح اللذين اعتبرا اقليماً واحداً رغم وجود قلعتين كمركزي إدارة فيهما واحدة قرب الصرفند اسمها قلعة ميس وثانية في جباع. والمنطقة الساحلية الثانية كانت في الجنوب وتشمل منطقة ساحل صور بكامله من القاسمية إلى وادي القرن وكان مركز الحكم فيها قرية شيحين التي أقام فيها شيخ

العشائر العاملية حسين بن بشارة الذي عرفت البلاد باسمه أي بلاد بشارة.

ويمكن ذكر وجود مقاطعة إضافية هي مقاطعة جزين التي كانت إدارتها في قرية جزين، وكان حاكمها يحمل لقب مقدم جزين ومشغرة، ويشرف على منطقة جزين وجبل الريحان ومنطقة البقاع الغربي. لكن هذه المنطقة قد جرى إلغاءها وتحجيم وجودها في أواخر القرن الرابع عشر بعد استشهاد الشهيد الأول محمد بن مكي الجزيني.

يمكن مراجعة أسماء الأقاليم العاملية في عصر المماليك، وكانت تتبع مملكة صفد، من خلال ما أورده شيخ الربوة أحد الذين عاشوا في القرن الرابع عشر، مع أخذ المعلومات عنه أيضاً بحذر، بسبب ميوله المذهبية المغرقة في التعصب. فبلاد الشام قسمت في أيامه إلى تسعة أقسام أو ممالك شكلت مملكة صفد ومضافاتها القسم السادس منها، وفيها من البلاد والأعمال ثغر «شقيف» وله عمل واسع، ونهر ليطه يمر تحت جبله. و«جبل عاملة» عامرة بالكروم والزيتون والخروب والبطم، وأهله رافضة إمامية. و«جبل جبع» كذلك رافضة، وهو جبل عال كثير المياه والكروم والفواكه. و«جبل جزين» كثير المياه والفواكه. وقلعة «شقيف تيرن» قلعة حصينة على جبل عال ولها عمل ولها نائب، ولم يحكم عليها منجنيق. و«جبل تبنين» وله قلعة ولها أعمال وولاية وهم رافضة إمامية. و«قلعة هونين» وهي على حجر واحد ولها أعمال. و«الخيط» وهو قطعة من الغور الأعلى شبيه بأرض العراق في الأرز والطير والماء السخن والزروع المنجبة. ومن أعمال صفد «مرج عيون»، وكذلك «عكا وصور» وأعمالها، و«صيدا» وأعمالها، وهي مدينة قديمة ولها أعمال كبار[٢٢]. عدد هذه المقاطعات إذا استثنينا مقاطعة الخيط في

غور الحولة يبلغ عشراً، وهو تقسيم مضطرب، فشيخ الربوة لا يبدو على علم بتفاصيل الأمور في المناطق التي ذكرها. فهناك خلط بين الأقاليم الطبيعية والأقاليم الإدارية. فذكر وجود جبل عاملة ثم ذكر جبل تبنين وجبل هونين والشقيف وصور وعكا وجزين... يدعو إلى الاستنتاج أن جبل عاملة موجود خارج المنطقة التي شملتها الأقاليم الأخرى أي تبنين وهونين والشقيف وجزين... لكن ما ذكره شيخ الربوة يكشف عن أن أغلبية سكان هذه الاقاليم كان من الشيعة، وهذا يجد مصداقيته فيما كتب عن جبل عامل لاحقاً.

كذلك يمكن ملاحظة أن شيخ الربوة لم يذكر كلمة بشارة، ولم يشر إلى وجود هذا الإسم مما يعني أن اسم «بلاد بشارة» لم يكن قد راج بعد.

بلاد بشارة

هناك تأويلات مختلفة لأصل اسم بلاد بشارة الذي يبدو منسوباً إلى رجل ما، وقد حاول معظم مؤرخي وكتاب جبل عامل أن يجعلوا هذا الاسم منسوباً إلى رجل وهمي يدعى بشارة بن مقبل القحطاني، كما زعم أحد الكتاب العامليين، مضيفاً أن هذا الرجل كان أحد قادة جيش صلاح الدين الأيوبي، وأن السلطان قد عينه أميراً على منطقة الخيط في أغوار الحولة فنسبت كل البلاد إليه. إن اسم بشارة (هكذا) هو اسم لعائلة وليس لشخص بعينه، صحيح أن جد هذه العائلة كان اسمه بشارة، ولكنه لم يكن شخصية تاريخية مهمة، الأهمية بدأت تظهر لبعض رجال العائلة الذين تولوا جباية الضرائب في المنطقة الواقعة جنوب نهر الليطاني حتى نهر الزيب في عهد المماليك المتواصل من ١٢٦٠ حتى

سنة ١٥١٦. وبالتأكيد فإن رواج هذا الإسم لم يكن قائماً أثناء كتابة شيخ الربوة لكتابه، (توفي شيخ الربوة سنة ١٣٥٦/٧٢٧).

أول ذكر لرجل من آل بشارة كان في النصف الثاني من القرن الرابع عشر «الميلادي» حيث ظهر بين تلامذة الشهيد الأول في حوزة جزين الدينية شيخ يدعى أبو الحسن علي ابن بشارة العاملي الشقرائي نسبة إلى قرية شقرا إلى الشرق من تبنين. ولم يذكر أحد من المصادر العاملية المعتبرة أن هذا الشيخ (عالم الدين) قد تولى زعامة أسرته أو أصبح شيخ عشيرة.

ابتداءً من سنة ١٤٠٥م بدأ يذكر في الأحداث التاريخية وجود زعامة أسرية لشيخ عشيرة عرف باسم أحمد بن بشارة الذي شارك في حرب داخلية بين أمراء المماليك في الشام. كانت الحرب بين نائب دمشق الأمير شيخ المحمودي ونائب صفد بكتمر جاق حيث انضم الشيخ أحمد بن بشارة بعشيره إلى النائب شيخ[٢٣]. ولكن الأمير شيخ المحمودي لم يرع لأحمد بن بشارة موقفه منه، بل غدر به سنة ١٤٠٨ وهاجم بلاد ابن بشارة وأوسعها نهباً وحرقاً وتخريباً، فيما فر منه الشيخ أحمد إلى صفد حيث اعتقله نائبها. ولم يسمع به بعد ذلك، مما يوحي بأن نائب صفد قد قتله.

بعد سنة واحدة من اعتقال الشيخ أحمد بن بشارة ثار ثلاثة من بني بشارة وهم محمد وحسين وحسن ضد نائب دمشق، متحالفين مع الأمير نوروز الثائر على نائب دمشق أيضاً. وفي المعركة الفاصلة بين الطرفين انهزم نوروز وأولاد بشارة، ودفعت البلاد ثمن ذلك نهباً وتخريباً و«أحرقت الزروع وخربت القرى»[٢٤].

وفي سنة ١٤٢١ برز الشيخ أحمد بن بشارة «وهو غير أحمد الأول» الذي أعاد بناء مدينة صور، وكانت صور قد دمرت تماماً سنة ١٢٩١ في نهاية الحروب الصليبية. وقد نقل الشيخ أحمد بن بشارة السكان إليها، وبنى فيها الأبنية، وجعل فيها أسواقاً وحصنها[٢٥]. فمدينة صور الحالية تدين للشيخ أحمد بن بشارة بإعادة بنائها على أسس المدينة القديمة. يجب أن نلاحظ هنا أن الدكتور محمد علي مكي قد استند في روايته على تاريخ ابن طولون، وهذا أمر مغاير للحقيقة ويثير العجب من استناد الدكتور مكي إلى تاريخ يبدأ بعد ١٤٢١ بمدة طويلة. والحقيقة أن ذكر بناء مدينة صور قد ذكره ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر وليس ابن طولون، فاقتضى التوضيح.

وفي سنة ١٤٥٠ «طرق مدينة صور زهاء عشرين مركباً للفرنج طرقوا صور ونهبوا من بها، فأدركهم ابن بشارة مقدم العشير بالبلاد الشامية وقاتلهم قتالاً شديداً حتى أزاحهم من البلد بعد أن قتل من الفريقين جماعة، وأمسك من الإفرنج جماعة وقطع رؤوسهم»[٢٦].

لقد بسطت أسرة بشارة نفوذها في منطقة جنوب الليطاني مدة طويلة من الزمن حتى عرفت البلاد بها فقيل «بلاد بشارة». وعرف بنو بشارة كيف يدافعون عن بلادهم بقوة في وجه كل معتد. ففي سنة ١٥٠٣ هاجم مقدم البقاع الأمير ناصر الدين بن الحنش الشيخ عبد الساتر بن بشارة في قرية شيحين، ورغم تفوق ابن الحنش بالعدد والعدة، ورغم مفاجأته للشيخ عبد الساتر، إلا أنه صُدَّ بقوة بعد أن فقد مائتي قتيل في المعركة[٢٧].

ورغم هذا الانتصار فإن نهاية أسرة بشارة في المنطقة كانت وشيكة

بعد دخول العثمانيين إلى البلاد، حيث تم القضاء على نفوذها، وربما وجودها أيضاً، مما فتح الباب أمام أسر أخرى أقل شأناً للبروز مثل عائلات سودون وشكر وعلي الصغير ومنكر وصعب وداغر والزين. ويبدو أن كل أسرة من هذه الأسر كانت تتقدم في ناحية من نواحي الجبل، وتتنازع النفوذ مع باقي الأسر، إذ سرعان ما وقعت بينها الصدامات بتحريض واضح من الحكام المحليين.

في بداية القرن الرابع عشر، كانت إدارة أقاليم جبل عامل تتم بواسطة وجهاء الأسر والعائلات الكبرى، فيما تشرف على المنطقة عسكرياً وحدات من المماليك العشران (عدد عشرة) كانت تقيم في القلاع الكبرى. لكن، ومنذ أواسط القرن الرابع عشر، تخلى العشران عن المرابطة في القلاع العاملية وتركت البلاد في عهدة زعماء الأسر النافذة، مما سمح لوجهاء هذه الأسر أن يسيطروا على القلاع القائمة، كما قاموا بترميم وإعادة بناء لبعض القلاع الخربة، أو بنوا لأنفسهم قلاعاً جديدة تشبه إلى حد بعيد القصور الإقطاعية التي ظهرت في العصور الوسطى. وسيكون من الممكن الاستنتاج أن قلعة دوبية (والأرجح أن اسمها دُبي) الواقعة بين قرى ميس وشقرا وحولا ومجدل سلم قد جرى بناؤها في هذا العصر، أي في أوئل القرن الخامس عشر عندما أصبح بنو بشارة زعماء العشير، وربما كذلك بنيت قلعة شمع في هذا العصر.

كانت الأنظمة الإدارية في العهد المملوكي لا تستند إلى واقع شرعي ولا إلى سند قانوني. كان السيف هو الذي يحدد شرعية الحاكم، والمنتصر دائماً على حق، لذلك كان الملوك والأمراء في حرب أهلية مستمرة من أجل السيطرة على البلاد والعباد. لقد تحول السكان المقيمون في الولايات والممالك المملوكية إلى عبيد للحكام الأتراك أو

الجراكسة مهمتهم العمل في الأرض التي أصبحت تدار بواسطة قوانين مستحدثة شبيهة بالقوانين التي طبقها المغول في البلاد التي استولوا عليها قبل ذلك بحوالي القرن[٢٨].

لقد دمر المماليك في حروبهم معظم المدن التي كانت خاضعة قبلاً للصليبيين، كما دمروا أكثر الحصون والقلاع، وعندما اكتشفوا حاجتهم الملحة إلى مراكز عسكرية للدفاع عن البلاد، إثر عمليات غزو متلاحقة قام بها الصليبيون القادمون من جزيرة قبرص، أوعزوا إلى الحاكمين من رجال الأسر الكبرى ببناء أبراج صغيرة كي تقيم فيها مجموعة محدودة من المراقبين الذين يسهرون على حراسة البلاد من غزو صليبي محتمل. هكذا أنشأ في جبل عامل، كما في سواحل بلاد الشام، أبراج أخذت أسماءها من أسماء القادة الذين بنوها أو حرسوا فيها، كبرج رحال وبرج قالوية وبرج يالوش والبرج الشمالي. . . إلخ.

لقد عرف العامليون في عصر المماليك عصراً استبدادياً ظالماً انتشر فيه الفقر والخراب في طول البلاد وعرضها، لكن الطامة الكبرى لفترة حكم المماليك لم تأتِ فقط من الخراب والفقر والاستبداد، بل من أمرٍ أدهى وأظلم وهو التعصب المذهبي. لقد انقسم المسلمون منذ وفاة النبي محمد إلى مذاهب مختلفة، لكن هذا الإنقسام لم يؤد إلى اضطهاد المخالفين مذهبياً للسلطة بل كان الاضطهاد يطال الأشخاص دون الأتباع، عندما يشعر السلطان الحاكم بالخوف على عرشه. لقد تعايشت المذاهب المختلفة في ممالك الإسلام جنباً إلى جنب. وكان الإحتكاك بين هذه المذاهب يعتبر فتنة يسارع الحاكمون إلى اطفائها. هكذا كان يحدث في فترة حكم العرب. وكذلك في فترة حكم غير العرب من

الذين حكموا من بغداد كالبويهيين الشيعة أو السلاجقة السنة. ولم يحدث في التاريخ الإسلامي قبل الأيوبيين والمماليك أن دعا حاكم إلى مذهب واحد وحارب المخالفين.

في بداية صعود نجم الأيوبيين أعلن صلاح الدين الأيوبي إلغاء الخلافة الفاطمية في مصر ودعا على منابر الجمعات لخليفة بغداد العباسي. الخلافة الفاطمية كانت تحمل بعداً مذهبياً عقائدياً عند الشيعة السبعية، وبإلغائها بقوة السيف انفتح الباب واسعاً لكل حاكم كي يلغي ما يراه مخالفاً.

عندما تولى الظاهر بيبرس الحكم في مصر أعلن عن رغبة قوية في توحيد المسلمين في مذهب واحد يكون جامعاً لهم. وافترض بيبرس أن المذهب الإسلامي الحق هو مذهب أهل السنة. لكن السنة لم يكونوا متفقين على مذهب واحد بل كان لهم مذاهب مختلفة ولهم مدارس متعددة في الفكر والفلسفة وعلم الكلام، فوجد الظاهر بيبرس أن يكتفي كل المسلمين في مملكته بأربعة مذاهب سنية هي ما يعرف حالياً بالمذاهب الأربعة: الشافعية والحنفية والحنبلية والمالكية. واعتبر بيبرس باقي المذاهب مخالفة للسنة. وبعد طرد الصليبيين من بلاد الشام سنة ١٢٩١ ظهر من يدعو إلى محاربة أصحاب المذاهب المخالفة، واستحصل هؤلاء على فتاوى من بعض الأئمة والمفتين في حينه، أباحت لهم دماء من لا يتبع أحد المذاهب الأربعة، وبدأ تطبيق هذه الفتوى سنة ١٢٩٣ ثم في السنوات التالية حتى سنة ١٣٠٥ حيث قام جيش مملكة دمشق بهجمات متلاحقة ضد الشيعة في كسروان. وبعد حرب ضروس تمكن المماليك من اقتحام جبال كسروان وقضوا على الوجود الشيعي قضاءً شبه تام. تحول الشيعة نتيجة هذه الحرب عن

مذهبهم، لا بل عن دينهم، وتنصروا كي يعاملوا معاملة أهل الذمة. هكذا انتقلت عائلات شيعية كسروانية وجبيلية إلى المسيحية طلباً للأمان من سيف السلطان. ومن أشهر هذه العائلات: هاشم وحسيني وفرحات وداغر وياغي ورزق والحاج... إلخ.

أما الشيعة الذين كانوا يعيشون في المناطق القريبة من صيدا (تحديداً في أقليم الخروب) فقد ادعوا، تقية، أنهم سنة، وكذلك فعل سكان مدن الساحل خاصة صيدا وبيروت. لكن الدولة المملوكية التي كانت حريصة جداً على نشر مذاهب أهل السنة سارعت إلى إرسال رجال دين وخطباء مساجد إلى القرى والمدن ليكونوا مشرفين على عملية التوحيد المذهبي الكبير. هكذا وجدت عائلات الخطيب في قرى أقليم الخروب ومناطقها، حيث تعود التسمية إلى غلبة لقب الخطيب على الإسم الحقيقي لخطباء المساجد. يجب الانتباه هنا إلى أن عائلات الخطيب الواسعة الانتشار في أقليمي العرقوب في جبل الشيخ والخروب في جبل لبنان لا يجمعها نسب واحد، بل أنساب مختلفة، وهم يلتقون على لقب الخطيب لا على شجرة النسب.

في المناطق الجنوبية، أي في جبل عامل كانت مدن الساحل خربة منذ تهديمها بعد انتصار المماليك على الصليبيين سنة ١٢٩١، والمناطق الجبلية قروية فقيرة لا تستحق عناء من يبحث فيها عن أتباع مذاهب أخرى غير مذاهب أتباع السلطان، فتركت المنطقة لشأنها، إلا في حالات حدوث وشاية ما ضد عالم دين شيعي، في هذه الحالة كانت خيالة السلطان تتحرك بسرعة لاعتقال ومعاقبة من تثبت تهمة التشيّع ضده.

مدرسة جزين والشهيد الأول

لقد أجبرت العزلة التي وجد أبناء جبل عامل أنفسهم فيها على الاتكال على أنفسهم في مسألة مهمة وخطيرة سيكون لها شأن خطير على مستقبل التشيع في العالم، هذه المسألة هي الاعتماد على الذات في تحصيل العلم الديني، دون الحاجة للسفر من أجل التحصيل إلى العراق كما كان الحال قبلاً. فأنشأت حوزة علمية في بلدة جزين البعيدة عن الطرق الأساسية والمعزولة جغرافياً عن تحركات جيوش المماليك. كان المبادر لإنشاء هذه الحوزة العالم المجاهد شمس الدين محمد بن مكي العاملي (٧٣٤ ـ ٧٨٦/ ١٣٣٣ ـ ١٣٨٤) صاحب كتاب اللمعة الدمشية والمؤسس لنظرية ولاية الفقيه. نسب الشيخ محمد ورد هكذا: محمد بن مكي بن محمد بن حامد بن أحمد النباطي(نسبة إلى النبطية الفوقا) حيث يبدو أنه هو أو أحد أبائه قد عاش فيها.

الشيخ شمس الدين اشتهر في التاريخ الشيعي بلقب الشهيد الأول، وتاريخ استشهاده يعتبر بحق تاريخ تأجج الصراع الدموي الطويل الأجل بين السنة والشيعة في طول البلاد وعرضها.

ولد الشيخ محمد بن مكي في جبل عامل، النبطية أو جزين، سنة ٧٣٤/ ١٣٣٣ وتلقى علومه الأولى فيه، وفي سنة ٧٥٠/ ١٣٤٩ هاجر في طلب العلم إلى العراق، كان متقد الذكاء حاد الفكر، استطاع في سنة واحدة من الحصول على إجازة من الشيخ فخر المحققين (تاريخها ٧٥١/ ١٣٥٠) في مدينة الحلة العراقية. وفي السنة التالية حصل على إجازة من الشيخ ابن نما وفي سنة ٧٥٤/ ١٣٥٣ حصل على إجازة الشيخ المطار آبادي وفي نفس السنة أجازه الشيخ فخر الدين ابن العلامة. في

سنة ٧٥٥/ ١٣٥٤ عاد إلى جبل عامل ليواصل منه التعلم وليمارس فيه التعليم[٢٩]. تلقى علوم أهل السنة ومصنفاتهم ومروياتهم ورواها من نحو أربعين شيخاً، كما كتب هو نفسه في إجازته لتلميذه ابن الخازن، وقد قصد هؤلاء الشيوخ في مكة والمدينة وبغداد ومصر ودمشق وبيت المقدس والخليل.

كانت حوزة جزين مكاناً يلتقي فيه طلبة العلم الديني بشكل شبه سري، كان الشيخ محمد كالمحاصر في عقيدته. وكان إذا خرج من جزين ادعى أنه شافعي تقية.

في أيامه خرج في جبل عامل رجل يدعى اليالوشي نسبة إلى قرية برج يالوش العاملية، هي اليوم خراب. ادعى اليالوشي النبوة، واستحوذت حركته على عقول كثير من العامة، فتصدى له الشيخ محمد بن مكي حتى أذهب دعوته وقضى عليها. بعد ذلك بفترة قصيرة ارتد رجل من الخيام يدعى تقي الدين الخيامي عن مذهب الشيعة فوجد الشيخ محمد له بالمرصاد، وكان الخيامي من عمال الدولة في إحدى المقاطعات، فتقدم بشكوى ضد الشيخ متهماً له بالتشيع. لكن هذه الدعوة لم تلق في حينه أذناً صاغية. وبعد وفاة تقي الدين الخيامي تولى مكانه شخص اسمه يوسف بن يحي وقد ارتد أيضاً عن مذهب التشيع. هذا الوصف لتلك الأحداث يثبت أمرين مهمين وهما أن المقاطعة التي تولاها الخيامي ثم يوسف بن يحي هي المقاطعة التي تقع فيها جزين، وثانياً أن الدولة كانت تشترط أن يكون العمال من أهل السنة، وهذا هو السبب في ارتداد الموظفين الخيامي وابن يحي عن مذهب التشيع. تمكن الحاكم الجديد يوسف بن يحي من الاستحصال على تواقيع سبعين رجلاً من أهل جبل عامل تشهد أن الشيخ محمد شيعي. وتبع

ذلك محضر موقع من أكثر من ألف رجل من أهل السنة من سكان السواحل، وأثبتوا محضرهم هذا عند قاضي صيدا، أو قاضي بيروت، وأتوا بالمحضر إلى القاضي الشافعي عباد بن جماعة بدمشق، فأنفذه إلى القاضي المالكي وطلب منه أن يحكم فيه بمذهبه. ويبدو من الرواية التي نقلها الشيخ علي ابن الشواء عن استاذه الشيخ المقداد السيوري تلميذ الشهيد الأول[٣٠]. أن محكمة أو مجلساً انعقد بدمشق، حضره الملك بيدمرو ومعه القضاة والأعيان لمحاكمة الشيخ محمد بن مكي، الذي أنكر التهم المنسوبة إليه ودافع عن نفسه، وكانت حجته قاطعة، مدعياً أنه شافعي، وطالباً أن يصدر حكمه في القضية إمام الشافعية عباد بن جماعة. لكن عباد أوكله إلى إمام المالكية برهان الدين المالكي الذي حكم باهراق دمه. فتم قتله سنة ٧٨٦/ ١٣٨٤ بالسيف ثم صلب ثم رجم ثم أحرق بالنار.

المصدر الوحيد الذي نقل رواية استشهاد محمد بن مكي هو الشيخ علي بن الشوا الذي نسبها إلى أحد تلامذة الشهيد وليس إلى نفسه، وقد اعتمد مجمل مؤرخي جبل عامل ومؤرخو الشيعة على هذه الرواية دون مناقشة.

في المصادر غير الشيعية لم تعطَ للشهيد الأول أي أهمية استثنائية، ولم تشر إليه تلك المصادر إلا بشكل عرضي، فقد نقل عن صاحب شذرات الذهب في أخبار من ذهب عبد الحي ابن العماد الحنبلي، خبر صغير عن قتل محمد بن مكي العراقي[٣١]. أما ابن حجر العسقلاني فقد كتب عن الشهيد الأول مرتين في كتابه «إنباء الغمر في أنباء العمر». فقد قال أنه قتل سنة ٧٨١ محمد بن مكي الرافضي بدمشق بسبب ما شهد به عليه من الانحلال واعتقاد مذهب النصرانية (تحريف عن النصيرية)

واستحلال الخمر الصرف وغير ذلك من القبايح، وذلك في جمادي الأولى وأرخه بعض أصحابنا سنة ٨٦ فالله أعلم. وضربت عنق رفيقه عرفة بطرابلس وكان على معتقده»[٣٢].

وعاد ابن حجر وكتب عن نفس الموضوع في وفيات ٧٨٦ فقال: «محمد بن مكي العراقي، كان عارفاً بالأصول والعربية، فقتل على الرفض ومذهب النصيرية في جمادي الأولى وقد تقدم ذكره في حوادث سنة إحدى وثمانين والله أعلم»[٣٣].

لقد فتح قتل الشهيد الأول بسبب تشيعه، باباً للثأر واسعاً ومهولاً، فكان مقتله سبباً من أسباب تأجج العداوة المذهبية بين الشيعة والسنة، مما فتح الأبواب واسعة لتدخل كل قوة في المنطقة مساندة أو مدافعة عن مذهب من المذهب، وليستمر هذا الصراع الدموي المذهبي أمداً طويلاً. فبعد ١٦ سنة على استشهاد محمد بن مكي، دخل تيمورلنك على رأس جيش جرار مناطق الأناضول ثأراً للعلويين الذين قتلوا في بلاد سنجار، فأسر ملك الأتراك السلطان بايزد ووضعه في قفص حديدي حتى أماته جوعاً وعطشاً. وبعد ذلك بسنة واحدة دخلت جيوشه مدينة دمشق فكان من أوائل القتلى القاضي برهان الدين المالكي الذي تشفى به التتار، ثم مالوا على الناس في دمشق ففتكوا بأعداد غفيرة من الرجال كان بينهم الكثير الكثير من الأبرياء.

وباستشهاد الشيخ شمس الدين محمد بن مكي الجزيني انتهى وجود الحوزة الدينية في جزين، لا بل تعرضت جزين نفسها ومنطقتها لهجمات متكررة وغزوات تخريبية من حكام المقاطعات المجاورة حتى أصبحت حياة الشيعة فيها مستحيلة فتركوها وهاجروا عنها إلى القرى والبلدات المجاورة.

المشكلة التي كان يكابدها أبناء جبل عامل في الوصول إلى العراق لطلب العلم من حواضره، عادت للظهور مجدداً بعد الشهيد الأول. وانقطع التدريس في الجبل مدة ليست قصيرة، واستعيض عن جزين بالاتصال ببعض العلماء الكبار في قرية عيناثا وأخذ الإجازة عنهم، ولكن وجود حوزة دينية لم يظهر ثانية حتى قام الشيخ المجاهد علي بن عبد العالي الميسي بتأسيس حوزة علمية جديدة في ميس (يأتي الحديث عنها عند الكلام عن الشيخ الميسي).

جبل عامل تحت السيطرة العثمانية

بعد صراع طويل على السلطة في دولة المماليك في القرن الخامس عشر، تمكن القائد قانصوه الغوري من التحكم بمقاليد الأمور. كان قبل أن يصبح سلطاناً على مصر والشام، ملكاً على مملكة حلب، وحكم من قلعتها بضع سنوات قبل أن ينتقل للقيام بانقلاب في مصر. كان لقانصوه أحلاماً كبيرة في بناء دولة قوية ومترابطة الأجزاء، بعد أن أنهكتها الصراعات الدائمة بين الأمراء وحكام الأقاليم وشيوخ العشائر. وعند حلول سنة ١٥١٦ كان قانصوه الغوري قد نجح إلى حد بعيد في إعادة الهدوء إلى البلاد. لكن هذه السنة كانت سنة حربه الكبرى مع السلطان العثماني سليم. وفي المعركة التي جرت في مرج دابق بين الجيشيين تمكنت المدفعية العثمانية التي دخلت ميدان القتال مع جيوش المشاة، من تفريق خيالة المماليك الأشداء. قتل قانصوه الغوري في المعركة، واضطر الجيش المملوكي للانسحاب نحو العريش بسرعة، وهناك خاض معركة مع الجيش العثماني انتهت بهزيمة المماليك أيضاً، فتراجعوا للدفاع عن مصر حيث جرت المعركة الأخيرة في القاهرة وقتل فيها

معظم قادة المماليك وأعدم الأسرى منهم في مذبحة فظيعة. الجدير بالذكر أنه أثناء معركة مرج دابق تحول ملك حلب جان بردى الغزالي من صف المماليك إلى صف العثمانيين، فكان تحوله سبباً من أسباب انتصار العثمانيين. وبعد انتهاء الحرب عين السلطان سليم العثماني جان بردى الغزالي والياً على الشام، وكانت ولاية الشام آنئذ تمتد من معرة النعمان شمالاً حتى العريش جنوباً وتدر على خزينة الدولة ٢٣٠ ألف دينار في السنة(٣٤).

لكن الغزالي وجد نفسه مقيداً بالخضوع التام للسلطان، وشعر بأن سلطته التي كانت أكثر قوة وحرية في عهد دولة المماليك الجراكسة، قد ضعفت وأصبح تابعاً لا يملك الحرية التي كان يتمتع بها في ظل دولة سيده السابق قانصوه الغوري. اعتقد أن بامكانه التملص من الولاء للسلطان خاصة بعد وفاة السلطان سليم وتولي ابنه الشاب سليمان العرش، فثار سنة ٩٢٦/ ١٥٢٠. لكن الدولة العثمانية لم تمهله طويلاً وتمكنت من إخماد ثورته وقتله بعد أشهر قليلة من بدء حركته في صفر سنة ٩٢٧/ ١٥٢١(٣٥).

بعد ثورة الغزالي أعاد العثمانيون تنظيم بلاد الشام فقسموها إلى ثلاث إيالات أو ولايات وهي دمشق وطرابلس وحلب. وكانت كل ولاية يحكمها باشا وتقسم إلى سناجق، وكل سنجق يرأسه سنجق بك أي أمير لواء(٣٦). كان جبل عامل حسب التقسيمات الجديدة يتبع سنجق صفد الذي يتبع بدوره ولاية دمشق، وكان مفروضاً عليه ضريبة سنوية مقدارها ستين ألف غرش مقسطة على إثني عشر شهراً.

وكانت الضريبة السنوية تدفع إلى سنجق بك صفد الذي يرفعها

بدوره إلى باشا دمشق، ابتداءً من استيلاء العثمانيين على سوريا. وفي فترة لاحقة عهد باشا دمشق بسنجق صفد لأمير جبل الدروز (جبل الشوف) فخر الدين المعني الثاني سنة ١٠١٢/١٦٠٣[٣٧]. فقاوم العامليون الواقع الجديد وحاولوا بكل جهد أن يتخلصوا من سلطة آل معن، ولهذه الغاية تحالفوا مع أمير البقاع يونس الحرفوش. ولكن هذا الحلف أصيب في الصميم بعد موقعة مجدل عنجر التي انتهت بجلاء الأمراء الحرافشة عن البقاع، وأصبح النفوذ المعني قوياً وثابتاً حتى سنة ١٦٥٨ أي حتى وفاة الأمير ملحم المعني. بعد الأمير ملحم أخذت الإمارة المعنية في الضعف والاحتضار حتى انتهت سنة ١٦٩٧.

الأسر العاملية في العهد العثماني

كانت الاداة التنفيذية لجمع الضرائب من السكان المحليين في جبل عامل تتمثل بحاكم عشائري يتم اختياره من بين زعماء العائلات أو الأسر القوية. لقد قامت بهذا الدور في العهد المملوكي أسرة بشارة كما مر، لكن نفوذ هذه العائلة زال بعد سنة ١٥١٦، أي بعد استيلاء العثمانيين على بلاد الشام. وانتقل ما كان بأيدي البشاريين إلى أسرة سودون التي تولت الزعامة في مناطق من جبل عامل خاصة في القسم الجنوبي منه، لكن بشكل أضعف من أسرة بشارة. ويبدو من رواية الدويهي في تاريخه أن هذه الأسرة تحدت باشا دمشق سنة ١٠٠٩/ ١٦٠٠ أثناء مروره في جبل عامل متوجهاً من صيدا إلى دمشق وأنزلت هزيمة بقوة تابعة لفخر الدين المعني الثاني كانت ترافق الباشا[٣٨].

قطنت هذه الأسرة القرى الجبلية في أعالي بلاد بشارة الشرقية، متحالفة مع عائلات أخرى لا تزال تقطن نفس الناحية، ويبدو من وجود

اسم الشيخ عز الدين حسين بن علي بن محمد بن سودون الشامي العاملي الميسي، نسبة إلى ميس (الجبل)، والذي كان حياً سنة ٩٧٤/ ١٥٦٦ أن أسراً من هذه العائلة كانت تقطن في ميس.

لقد بلغ آل سودون حداً من القوة دفعت الباشا العثماني لمحاربتهم، ليس بجيش السلطنة أو جيش الولاية، وإنما بتأليب الأسر الأخرى عليهم، فزجهم في صراع داخلي مع أسر أقل شأناً مثل شكر وعلي الصغير. لكن شيخ أسرة علي الصغير حسين بن علي الصغير، سرعان ما هُزم أمام خصومه السودونيين المتحالفين مع عائلات أخرى مثل آل مشطاح وآل الشامي، وفر إلى نابلس حيث التجأ إلى عائلة طوقان زعماء تلك النواحي[٣٩]. فأثبت آل سودون مرة أخرى أنهم القوة الوحيدة في الجبل. وقد كان هؤلاء يحظون بتأييد واسع من السكان.

كان استمرار آل سودون في حكم جبل عامل يعني وجود قوة قادرة على مقاومة الباشا في كل مرة يتصرف فيه في جبل عامل بما لا يلائم أهل الجبل، لذلك كان لا بد للباشا أن يوجه ضربة لوجود السودونيين، فأوعز الباشا إلى قوى عديدة كانت تناصب آل سودون العداء، بالقضاء عليها. وهكذا احتشدت جموع من آل طوقان الفلسطينيين ومعهم بعض قبائل بادية الشام وغور الأردن، مع جماعات من أسر عاملية ناقمة على أسرة آل سودون وخصوصاً آل علي الصغير وآل شكر. وتمكن الحلفاء بمباركة الباشا، من القضاء على آل سودون قضاءً تاماً في عدة معارك خصوصاً في موقعة قرب قرية بنت جبيل، وثانية في قرية خربة سلم، وكذلك في معارك ثأرية في القرى المطلة على وادي السلوقي ووادي الحجير، حتى لم يبق لهذه الأسرة من وجود معروف.

تاريخ المواجهة الأخيرة غير واضح، وينقل محمد جابر صفا هذه الرواية عن مصدر مجهول لا يحدد لا كاتبه ولا تاريخه[٤٠]. ويبدو من سياق الأحداث أن هذا الأمر قد جرى قبل هرب فخر الدين المعني الثاني إلى أوروبا سنة ١٦١٣. كما يظهر أن الحرب كانت من أجل السيطرة على بلاد بشارة فقط وليس على كل جبل عامل.

بعد القضاء على آل سودون تزعمت عائلة شكر بلاد بشارة. يعود نسب هذه الأسرة كما يقول أبناؤها، إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام وقد منحها هذا النسب قوة واحتراماً بين الأسر العاملية الأخرى. ويبدو مما ذكر عن هذه الأسرة أن نفوذها قد امتد من منطقة قانا وما حولها إلى أطراف غور الحولة في الشرق.

في هذه المرحلة من تاريخ جبل عامل كانت البلاد تواجه صعاباً ومشكلات كثيرة من أهمها سيطرة سكمان فخر الدين المعني الثاني أمير جبل الدروز على قلعتي شقيف أرنون وبانياس، مما وضع بلاد بشارة بين فكي كماشة. وقد قام عسكر فخر الدين من القلعتين بالإغارة على عيناثا مقر آل شكر قاصدين السلب والنهب، فتصدى لهم رجال القرى المجاورة لعيناثا بقيادة آل شكر، وتمكنوا من رد الغزاة بعد أن كبدوهم أكثر من عشرين قتيلاً، بينهم قائد القوة المهاجمة. وطاردوهم إلى جوار قلعة بانياس[٤١].

لكن أسرة شكر قد وقعت أسيرة ضعف أو تردد شيوخها الذين لم يتمكنوا بعد عودة فخر الدين المعني الثاني من أوروبا سنة ١٦١٨ من الوقوف في وجهه. كما لم يتمكنوا من جمع عدد كاف من الرجال ليشاركوا في تحركات الباشا العسكرية. هكذا وجد آل شكر أنفسهم

عاجزين عن مواجهة هجوم عليهم من أسر عاملية متحالفة مع قبائل فلسطينية وعدد من قطاع الطرق.

قاد الهجوم الجديد على آل شكر الشيخ علي الصغير بن حسين من آل علي الصغير سنة ١٦٤٩ وتمكن من الفتك بمعظم أبناء هذه العائلة في قرى عيناثا وتبنين وقانا. ولم ينج من المذبحة التي ارتكبها إلا القليل. لقد انتهت المعركة بتقدم علي الصغير وأسرته على الأسر الأخرى في بلاد بشارة، وسيستمر هذا الرجل وأبناؤه وأحفاده يتولون منطقة بلاد بشارة، خصوصاً المنطقة الجبلية منها حتى سنة ١٧٨٠ دون انقطاع.

يتحدر علي الصغير من أسرة عاملية أقامت في بلاد بشارة في وقت ما قبل انتقال السيطرة على البلاد للسلطان العثماني. وليس هناك من نسب يعتد به لهذه الأسرة، تماماً كما لا يمكن الأخذ بشجرات الأنساب التي ابتدعها رجال الأسر العاملية ونسبوا أسرهم إليها بشكل مصطنع. لقد كتب كثير من مؤرخي جبل عامل بتوافق غير مألوف أن عائلة علي الصغير تنتسب إلى أمير يدعى محمد بن هزاع الوائلي القحطاني وفد كما يقول الموافقون على هذه الرواية، من بادية نجد إلى جبل عامل، أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي، حيث وجد محمد بن هزاع في جبل عامل إمارة يحكمها الأمير بشارة بن مقبل، فقامت بينهما الحرب على ساق وتمكن ابن هزاع من الانتصار على بشارة (؟) وتزوج ابنته، وأجرى عليه راتباً يقوم بأوده. ولا شك أن هذه الرواية هي محض تخيلات لا صحة لها لأسباب كثيرة منها أنه في أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي لم يكن هناك في جبل عامل إمارة يحكمها أمير، بل كانت البلاد مقسمة بين الصليبيين والمسلمين، وكانت المنطقة الإسلامية يحكمها عدد من

الحكام خصوصاً في قلعتي تبنين والشقيف. وقد تبدل الحكام باستمرار كما جرى تبادل السيطرة على القلاع بين المسلمين والصليبيين مرات. ولم يرد في أي أثر تاريخي أي ذكر لأمير أو وضيع يحمل اسم محمد بن هزاع، رغم كثرة المراجع التاريخية التي تحدثت عن الحروب الصليبية ومنها كتب لمؤرخين شاهدوا الأحداث وشاركوا فيها.

كما أن نسب محمد بن هزاع إلى وائل مباشرة غير شائع في الأنساب العربية المعتبرة، لأنه لا نسب لوائل مباشرة، بل لأحد ولديه بكر أو تغلب، وهما قبيلتان مشهورتان جداً في الأنساب العربية. يضاف إلى ذلك أن وائل، أبا بكر وتغلب، ينتسب إلى قبيلة ربيعة، وهي إحدى قبائل مضر (عدنان)، وليست بحال من الأحوال من قبائل قحطان (اليمن). لذلك لا يمكن الأخذ بمقولة الانتساب إلى محمد بن هزاع المزعوم.

ما يمكن الوثوق به تاريخياً هو أن أسرة علي الصغير إحدى الأسر العاملية الهامة التي تمكنت من التقدم على باقي الأسر في بلاد بشارة بكفاح دؤوب من شيوخها الذين كان أولهم اشتهاراً الشيخ حسين بن علي الصغير الذي ساند أمير جبل الدروز فخر الدين المعني الثاني في حربه ضد آل سودون، حيث شارك الشيخ حسين كما مر، في القضاء على هذه الأسرة، وأوصل بالتالي أسرة شكر إلى المقدمة. بعد وفاة الشيخ حسين تمكن ابنه علي الصغير من السيطرة على بلاد بشارة بعد القضاء على آل شكر. وقد قُتِل الشيخ علي الصغير بن حسين بن علي الصغير سنة ١٠٧٢/ ١٦٦١ حسب ما ذكره الشيخ مجير العنقاني في تاريخ موجز عن جبل عامل[٤٢].

بلغت أسرة علي الصغير أوجها أيام الشيخ ناصيف النصار الذي تمكن من تسلم مشيخة بلاد بشارة ابتداءً من سنة ١٧٣٨. (يأتي الحديث عنه لاحقاً).

القسم الشمالي من جبل عامل كان يقسم إلى قسمين أو إقليمين وهما أقليم أو منطقة الشقيف وأقليم «التفاح وأقليم الشومر». وقد برزت عائلتي منكر (أو منقر، وهو الأصح) في الأولى، وصعب في الثانية، إضافة إلى عائلات أصغر كعائلات عاصي وإبراهيم وداغر والزين.

تنتسب عائلة منكر كما يقول أبناؤها إلى قيس بن عاصم المنقري من بني تميم إحدى القبائل المضرية. ويمكن الشك بالانتساب إلى شيخ قبيلة منقر مباشرة، والأرجح، إذا ثبت انتساب هذه الأسرة إلى بني تميم، أن تكون منتمية إلى مجموعة أسرية من بني منقر ليس بالضرورة من أبناء الأمير عاصم.

بدأ شيوخ هذه العائلة بالبروز في زعامة أقليمي الشومر والتفاح العامليين في حياة الشيخ منصور بن منكر الملقب بأبي لبّادة الذي عاش في قرية حومين الفوقا في أواخر عهد المماليك. كان الشيخ منصور عالم دين، ومن الشائع في جبل عامل تحول الزعامة الدينية إلى زعامة دنيوية والأمثلة على ذلك كثيرة ومشهورة.

كان أهم من تزعم هذه الأسرة هو الشيخ علي بن منكر وأخوه الحاج ناصر الدين اللذين اشتهرا بقيادتهما للعامليين في الفترة ١٦١٣ ـ ١٦١٨ أي أثناء غياب فخر الدين المعني الثاني في أوروبا، وفخر الدين، كما هو معروف، كان متسلمَ جبل عامل من قبل باشا دمشق. وقد شارك رجال هذه الأسرة وأتباعهم في الحروب التي خاضها

العامليون وأثبتوا جدارة في القيادة خولتهم البقاء في الحكم حتى عهد الجزار الذي قضى على نفوذ شيوخ الأسر في كل جبل عامل.

أما منطقة الشقيف، أي المنطقة الممتدة من مجرى نهر الليطاني حتى حدود قرى أنصار الزرارية وشمالاً حتى مجرى نهر الزهراني فقد كانت تخضع لحكم شيوخ أسرة صعب.

يقول أبناء هذه الأسرة أن أصلهم من الأيوبيين، من نسل الملك الأفضل الأيوبي. ورغم تشكيك بعض مؤرخي جبل عامل بهذا النسب إلا أن صدق أو كذب هذا الادعاء لا يمكن اثباته بدليل قاطع.

لقد سيطر شيوخ هذه الأسرة على قلعة شقيف أرنون بعد أن انتزعت من أيدي الشهابيين حوالي سنة ١٧٣٨ وظل شيوخ آل صعب يحكمون الناحية من هذه القلعة حتى انتزعها الجزار منهم سنة ١٨٨١. لقد ظل أبناء هذه الأسرة يحظون إلى أمد طويل باحترام وتقدير أبناء ناحية الشقيف حتى عهد إبراهيم باشا المصري الذي واجه ثورتهم بواسطة جيش بشير الشهابي أمير جبل الدروز (الذي سيعرف بعد خروج المصريين بجبل لبنان) الذي نكل بأبناء منطقة الشقيف لمدة شهرين.

وتقسمت الأسرة الصعبية بعد ذلك إلى مجموعة من الأسر الصغيرة لا يزال أبناؤها ينتشرون في منطقة النبطية وساحل الصرفند (أقليم الشومر) إلى اليوم.

عدد آخر من الأسر العاملية اضطلعت بدور سياسي في فترات متقطعة من تاريخ جبل عامل. وكانت هذه الأسر تقف على يمين أو يسار الأسر الكبرى. من أشهر هذه الأسر أسرة مشطاح التي كانت من الأسر الحليفة لآل سودون في بداية العهد العثماني. وأسرة أبو الشامي

الذين عرفوا لاحقاً ببيت الشامي الذين كانوا من أنصار وأعوان آل علي الصغير. وأسرة آل الزين الذين اشتهروا بعد ثورة الشيخ (عالم دين) علي الزين في قرية شحور في عهد الجزار. وينسب آل الزين أنفسهم إلى قبيلة الخزرج الأنصارية. وقد تفرع عن هذه العائلة عدد من الأسر من أهمها آل الخليل الذين برزوا في مدينة صور وما حولها.

على أن البحث في أدوار الأسر العاملية يحتمل ذكر عدد من الأسر يربو على المائة أسرة كان بعضها يبرز في بعض القرى لفترات محدودة، ثم يخمل ذكرهم.

حروب العامليين في العهد العثماني

بعد سيطرة العثمانيين على البلاد أخضع جبل عامل بأقسامه الثلاث بلاد بشارة وبلاد الشقيف وأقليم التفاح والشومر لإدارة زعماء الأسر التي مر ذكرها. كان يتوجب على هؤلاء أن يقوموا بجمع الضرائب والإتاوات المفروضة على الرعايا، وحملها إلى السنجق بك الذي يقيم في صفد. كما كان يتوجب على الزعماء أن يقوموا بتجنيد الرجال القادرين على حمل السلاح في أوقات الحاجة ويقودوهم إلى ساحات الوغى تحت رايات السنجق بك أو الباشا الذي يتسلم المنطقة، وهو عادة والي دمشق بين ١٥١٦ و١٦٦٠ وبعد سنة ١٦٦٠ أنشئت ولاية صيدا فأصبح جبل عامل خاضعاً لهذا الباشا من خلال قيادتين واحدة في صفد حيث ظل بك صفد يتولى منطقة بلاد بشارة بينما أصبحت بلاد الشقيف واقليم الشومر والتفاح يتبع لباشا صيدا مباشرة.

بعد القضاء على آل سودون حوالي سنة ١٦١٢ تعرض جبل عامل لكثير من العسف والظلم خاصة بعد أن قام الباشا بتلزيم جبل عامل

بأقسامه الثلاثة، لأمير جبل الدروز فخر الدين المعني الثاني. ويبدو من طريقة الالتزام أن الباشا أطلق يد فخر الدين في بلاد العامليين بحيث كان يسلب وينهب ما قدر عليه دون رادع أو وازع ما دام يتمتع بحماية باشا دمشق. كما تمتع فخر الدين بعد سنة ١٦١٨ برعاية وعطف الصدر الأعظم مما جعله يتصرف على هواه، حتى أنه حارب سيده والي دمشق مصطفى باشا، دون أن يتلقى من السلطنة أي عقوبة، مما كان يعني أنه يحارب الباشا بإيعاز من الصدر الأعظم نفسه.

ومنذ بداية التزام فخر الدين لجبل عامل واجه معارضة عارمة من سكانه، وواجهوه بزعامة آل سودون وهزموه مما أبعد خطره عن الجبل مؤقتاً حتى انتهت أسرة سودون فعادت قوات فخر الدين تعيث فساداً في البلاد. ففي سنة ١٦١٣ هاجم فخر الدين قرية الكوثرية قرب أنصار واقتص من أهلها وأوسع القرية نهباً وسلباً[٤٣]. وبعد هروبه إلى أوروبا في نفس السنة قام رجاله من السكمان وكان يسيطرون على قلعتي شقيف أرنون وبانياس بالهجوم على قرية عيناثا مقر أسرة آل شكر لكنهم صدوا عنها بقوة. وبعد عودة فخر الدين من أوروبا كان أول عمل قام به، هو اعتقال الشيخ ناصر الدين بن منكر شيخ أقليم التفاح والشومر. كما أرسل جيشه فهدم بيوت آل شكر وآل أبو شامة في قرية عيناثا والقرى المجاورة لها. وعاث جيشه فساداً في كل أرض وطئها.

لقد ترك فخر الدين المعني الثاني إرثاً لأمراء جبل الدروز هو الحقد الأعمى على جبل عامل وأهله، حيث كان كل أمير معني يفتتح عهده باجتياح جبل عامل حيث يقوم رجاله بأعمال السلب والنهب المعتادة.

كانت أولى الغزوات المعنية بعد فخر الدين وأكثرها خطورة هي تلك الغزوة التي قام بها الأمير ملحم بن يونس المعني سنة ١٦٣٨ حيث قام هذا الأمير بمهاجمة جبل عامل عبر أقليم الشومر، وبوصوله إلى قرية أنصار اقتحمها بعسكره وأعمل السيف في رقاب أهلها، وارتكب عسكره فيها مذبحة راح ضحيتها ألف وخمسماية رجل، ثم استباح القرية سلباً ونهباً. وفي السنة التالية ١٦٣٩ قام الأمير علي علم الدين من جبل الدروز بمهاجمة قرية مشغرة حيث نهبها وقتل عدداً من أبنائها.

لكن الباشا انتزع التزام جبل عامل من سلطة المعنيين سنة ١٦٤١ وسلمه إلى زلفة آغا باسم والي طرابلس محمد باشا الأرناؤوط، فاستراحت البلاد مؤقتاً من هجمات المعنيين.

لقد كان من الطبيعي أن يفقد زعماء الأسر العاملية البارزين دورهم القيادي بشكل تدريجي بسبب الهزائم المتلاحقة والمصائب التي حلت بأبناء بلادهم، دون أن يكونوا جديرين بمواجهة الغزاة والمهاجمين. هكذا سيمكن فهم سر الانقلاب الخطير الذي قامت به أسرة علي الصغير بالتحالف مع عدد من الأسر الأخرى، عندما هاجموا سنة ١٦٤٩ أسرة شكر في عيناثا وقانا وربما تبنين أيضاً، وقضوا على وجودها السياسي. لقد جرى ذلك أثناء تسلم زلفة آغا لجبل عامل، باسم والي طرابلس. ومما لا شك فيه أن تلك الأحداث قد جرت برعاية الباشا أو ممثله في جبل عامل.

كان من نتيجة الأحداث هذه تقدم أسرة علي الصغير بزعامة الشيخ علي الصغير بن حسين بن علي الصغير على باقي الأسر خصوصاً في بلاد بشارة. وستلعب هذه الأسرة دوراً رائداً لمدة تقارب قرناً ونصف

في حماية الجبل والذود عنه، وفي تأليف الأسر والجماعات العاملية حول مشيخة واحدة. وربما يكون من المنصف الاعتراف لهذه الأسرة بأنها صاحبة الصفحة البيضاء في تاريخ جبل عامل من سنة ١٦٤٩ حتى سنة ١٧٨١.

كان أمام الشيخ علي الصغير وشيوخ الأسر الأخرى مهمة واحدة ومحددة وهي درء ظلم حكام جبل الدروز عن جبل عامل وأهله.

في سنة ١٦٥٤ أعاد الباشا تلزيم جبل عامل لأمراء جبل الدروز المعنيين فافتتحوا من جديد صفحة المواجهة مع أبناء الجبل الذين وضعوا أسرة علي الصغير أمام الامتحان المباشر. كان الباشا نفسه يدعم المعنيين بكل قوة، ويحرضهم على العامليين، فكانت مواجهته جزءاً من مسألة الدفاع عن جبل عامل، وعندما أنشأت ولاية صيدا سنة ١٠٧٠/ ١٦٦٠ كانت مواجهة حاكمها علي باشا الدفتردار حتمية، وقد وقعت المعركة قرب قرية عيناثا[٤٤]. فثبت للعامليين بالملموس أنهم قادرون على مواجهة القوى المحدقة بهم بما في ذلك الباشا نفسه. وما ثبت أكثر في أذهان العامليين هو قدرة القيادة الجديدة لآل علي الصغير على المواجهة والانتصار. لكن هذه الأسرة دفعت ثمن النصر دم شيخها علي الصغير الذي قتل في مواجهة مع جيش الباشا سنة ١٠٧٢/ ١٦٦٢.

كان يلزم العامليين أن ينتصروا فعلياً في معركة مكشوفة فانتظروا الفرصة التي واتتهم سنة ١٠٧٧/ ١٦٦٧ في موقعة النبطية الفوقا وفي سنة ١٠٧٨/ ١٦٦٨ في وادي الكفور. لقد تحدث عن هاتين المعركتين باختصار شديد الشيخ علي سبيتي المؤرخ واللغوي في ملخص دعاه (جبل عامل في قرنين) وقد أضاف نصه السيد حسن الصدر في خاتمة

كتابه «تكملة أمل الآمل». قال السبيتي: «وسنة ألف وسبع وسبعين كانت وقعة النبطية وانتصر المشايخ. وسنة ثمان وسبعين كانت وقعة الكفور»(٤٥). هذا النص الصغير يفيد بأمر مهم جداً وهو أن العامليين قد انتصروا انتصاراً عسكرياً في النبطية ووادي الكفور. وقد أثمر هذا الانتصار إضعافاً لقوى جبل الدروز وإبعاداً لخطرهم طيلة الثلاثة عقود التالية، كما يجدر الانتباه إلى أن اسم الشيخ الوحيد من مشايخ العشائر العاملية الذي يرد ذكره في هذه الفترة هو الشيخ أحمد بن علي الصغير الذي توفي سنة ١٠٩٠/ ١٦٨٠(٤٦). والذي وصف بأنه شيخ المتاولة، وهو على ما يبدو ابن الشيخ علي الصغير بن حسين بن علي الصغير.

ورغم أن المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الحقبة لم يذكروا وقوع أحداث مهمة خلالها، إلا أن هناك ملاحظة مهمة أوردها الديبلوماسي الروسي اليوناني الأصل قسطنطين بازيلي (١٨٠٩ ـ ١٨٨٤) الذي عمل قنصلا للروسيا في يافا في نهاية ١٨٣٨ حيث يقول متحدثاً عن العقد الأخير من القرن السابع عشر: «كان الأتراك شأنهم الآن، يجدون في الحزازات الشعبية والعائلية الملازمة للحكم الإقطاعي أضمن وسيلة لكبح البعض بالآخر. لقد نكلوا بالدروز مراراً بواسطة المتاولة، وآن أوان تسليح الدروز ضد المتاولة. لكن فكرة الإتحاد الكونفدرالي للقبائل السورية من أجل مجابهة المكائد التركية على غرار فخر الدين جعلت أمير لبنان يرفض اقتراح الباشا الذي حطم المتاولة جيشه في عام ١٦٩٣، وهذا ما عزاه الباشا إلى مكائد الأمير في تقاريره إلى الباب العالي، وتسبب مجدداً في نقمة الديوان على المعنيين»(٤٧).

إن الإسم المشهور لشيخ من شيوخ آل علي الصغير الذي كان زعيماً للأسر العاملية سنة ١٦٩٣ هو الشيخ مشرف بن أحمد بن علي

الصغير الذي سيكون وجوده هدفاً لغزوات الأسرة الشهابية التي ورثت إمارة جبل الدروز عن المعنيين سنة ١٦٩٧.

لقد حلت الأسرة الشهابية في جبل الدروز (جبل الشوف) بدعم من باشا صيدا ارسلان باشا، الذي لزّم سنجق صفد للأمير بشير الشهابي الأول.

بدأ بشير الأول تثبيت سلطته بتسيير حملة عسكرية على جبل عامل، ويبدو أن أمراء جبل الدروز قد واصلوا ما كانوا قد اعتادوا عليه من السير كل حين إلى جبل عامل بقصد الغنيمة. كان الزعيم الأكثر نفوذاً بين العامليين في حينه هو الشيخ مشرف بن أحمد بن علي، الذي رفض تلزيم الجبل لبشير الشهابي وتمرد على أوامر الباشا، وربما اعتقل بعض رجاله وقتلهم. لكن الشيخ مشرف لم يستطع الصمود في وجه هجوم الأمير بشير سنة ١١١٠/١٦٩٨ فاستسلم مع عدد من أعوانه واقتيد إلى سجن الولاية في صيدا. لكنه أفرج عنه بعد حين مقابل شروط معينة.

توفي الشيخ مشرف سنة ١١٤١/١٧٢٨ فتسلم الزعامة الشيخ نصار بن أحمد بن مشرف، بينما تسلم أخوه الشيخ حسن بن أحمد بن مشرف قلعة هونين وحكم منهما مقاطعة جبل هونين التي ستبدأ بالتمايز عن سائر بلاد بشارة ابتداءً من هذا التاريخ، وحيث سيبرز في جبل هونين الشيخ قبلان بن حسن بن أحمد بن مشرف بعد سنة ١٧٢٨. بينما برز أيضاً الشيخ محمد بن أحمد بن مشرف الذي تولى ابتداءً من سنة ١٧٢٨ قلعة مارون قرب ديركيفا وأقام فيها. هكذا سيكون هناك زعامة أسرية في بلاد بشارة موزعة بين ثلاث بيوت من أولاد أحمد بن

مشرف بن أحمد بن علي الصغير (بن حسين بن علي الصغير). وقد برز من كل بيت من هذه الثلاثة عدد من الزعماء أهمهم الشيخ عباس المحمد والشيخ قبلان الحسن والشيخ ناصيف النصار الذي يعتبر بلا شك أهم شخصية في تاريخ جبل عامل في العهد العثماني.

يجب التذكير هنا بأن هناك اضطراباً كبيراً عند بعض المؤرخين العامليين حول نسب كل شيخ من شيوخ آل علي الصغير.

كانت الحرب اللاحقة بين العامليين وحكام المقاطعات المجاورة سواء في صفد أو في جبل الدروز وشيكة الوقوع وكان كل طرف يتهيأ ويحسب أن المواجهة لا بد منها. كان حكام جبل الدروز من الأمراء الشهابيين قد اعتادوا على غزو الجبل باستمرار بينما كان شيخ صفد الجديد ظاهر العمر الزيداني الطموح يسعى لإنشاء إمارة في منطقة الجليل حيث يمكنه التوسع منها إلى كل جهة ممكنة.

كانت أولى المواجهات التالية بين الشهابيين والعامليين في قرية انصار سنة ١١٤٤/ ١٧٣١ وهي نفس السنة التي تولى فيها الأمير ملحم بن حيدر إمارة جبل الدروز وكسروان، فقد هاجم الأمير ملحم قرية جويا وقبض على الشيخ نصار بن علي الصغير وقتل ثلاثة عشر من رجاله بينما فر إخوته من وجه الأمير الشهابي ليعودوا بعد حين ويفتدوا أخاهم نصاراً بمبلغ من المال فأطلق سراحه[٤٨].

وفي سنة ١١٤٧/ ١٧٣٤ هاجم الأمير ملحم قرية أنصار وأسر منها ألف وأربعماية رجل[٤٩]. وفي سنة ١١٥٢/ ١٧٣٩ هاجم الباشا بنفسه بلاد الشقيف وقتل الشيخ أحمد الفارس الصعبي.

ويبدو من هذه الأحداث مدى عجز العامليين عن مقاومة

الشهابيين، لكن الأمر لم يستمر بهذه الصورة، فالمواجهات التالية كانت مختلفة.

ففي سنة ١١٥٦/١٧٤٣ هاجم الأمير ملحم الشهابي أنصار من جديد، هذه المرة وجد العامليين بانتظاره، حيث وقعت معركة استلحم فيها الطرفان، وانجلت عن أكثر من ألف قتيل من الجانبين، وأدت إلى انسحاب الجيش الشهابي دون حصوله على مكاسب كما كان الحال في السابق، بينما تنبه العامليون إلى ضرورة أن يكونوا يقظين ومستعدين دائماً لمواجهة المفاجآت.

وفيما كان العامليون يلملمون جراح معركة أنصار الثالثة فاجأهم جيش باشا دمشق بقيادة سليمان باشا نفسه، الذي أقسم أن يحرق بلاد بشارة. وزحف بجيشه حتى نزل في مرج قدس في أقصى جنوب شرق جبل عامل، لكنه مرض هناك عدة أيام، توفي بعدها فتراجع جيشه، ونجا الجبل من الحريق[٥٠].

كانت معركة أنصار الثالثة (على اعتبار أن هجوم ملحم المعني سنة١٦٣٨ هو المعركة الأولى وهجوم ملحم الشهابي سنة ١٧٣٤ هو الثانية) حداً فاصلاً بين مرحلتين وانتقالاً حقيقياً إلى حالة من القوة والشدة تركت آثارها على مجريات الأحداث في المنطقة طيلة الربع القرن القادم. فلم تكد تمضي سنة واحدة على معركة أنصار الثالثة حتى بادر العامليون للهجوم مُتَحَدّين الوجود الشهابي في وادي التيم مقر الشهابيين الأصلي. جرت المعركة إلى الشمال من قرية مرجعيون، وتمكن العامليون من تحقيق انتصارهم الميداني الأول، بينما تراجع الشهابيون وقد تركوا وراءهم جثث ثلاثماية قتيل. وحاول العامليون بعد

معركة مرجعيون أن يقوموا بهجوم عام على جبل الدروز لكن الباشا تدخل ومنعهم من تنفيذ ما أرادوا.

لقد أدى انتصار مرجعيون إلى يقظة شاملة في جبل عامل، وتحول الجبل إلى ما يشبه الثكنة الكبرى لتجمع مدني ـ عسكري متناسق. كانت القيادة التي فتحت هذا الفتح المبين هي القيادة الفذة للقائد التاريخي ناصيف بن نصار (بن أحمد... بن علي الصغير) المعروف اختصاراً بناصيف النصار.

الشيخ ناصيف النصار

ناصيف، شيخ جبل عامل، شخصية تاريخية اكتسبت هالة أسطورية للانتصارات الرائعة التي تحققت أيام زعامته على بلاد بشارة وتقدمه على شيوخ العشائر في جبل عامل.

ولد الشيخ ناصيف على وجه التقريب سنة ١١٢٥/ ١٧١٣ في بيت عرف الزعامة في بلاد بشارة (القسم الجنوبي من جبل عامل) طيلة حوالي قرن.

يبدأ اسم الشيخ ناصيف النصار بالظهور ابتداءً من سنة ١١٦٣/ ١٧٤٩ حيث تحدثنا بعض المصادر التاريخية عن اقتسام القلاع في بلاد بشارة بين ناصيف وأقربائه من أحفاد أحمد بن مشرف وهذه القلاع هي تبنين وهونين ودوبية (دُبي) ومارون. بينما سيطرت العائلة الصعبية على قلعة الشقيف (أرنون) قبل ذلك بعقدين من الزمن على الأقل، أي أصبحت في موقع الحاكم لإقليم بلاد «الشقيف». كما سيطر آل منكر على قلعة ميس قرب الصرفند، وعلى بعض الحصون الأخرى خصوصاً في ناحية جباع، فسيطروا فعلياً على أقليمي الشومر والتفاح.

بنيت القلاع الموجودة في جبل عامل في فترات زمنية متعاقبة، فمعظم هذه القلاع يعود تاريخها إلى أزمنة موغلة في القدم، ربما منذ أن عرفت المنطقة الحضارة والصراع العسكري. مواقع هذه القلاع لا زال يُظهر آثاراً لحضارات متعاقبة حيث كانت كل دولة تسيطر على المنطقة تعيد ترميم أو بناء القلاع في مواقعها الاستراتيجية الهامة.

وقد عرفت القلاع العاملية فترة ازدهار عمراني وعسكري مميز أثناء الحروب الصليبية حيث قام الصليبيون ببناء أو إعادة بناء وتحصين لمعظم القلاع القائمة في جبل عامل، وبعضها كان مهملاً منذ زمن طويل. هكذا بنى الصليبيون مثلاً قلعة تبنين على مقربة من القلعة العربية القديمة التي كانت قائمة هناك، كما أعادوا بناء قلعة مارون قرب ديركيفا، وأعادوا بناء وتحصين قلعة ميس «الصرفند» في مكان قلعة أبي الحسن الفاطمي.

وبنهاية الحروب الصليبية لجأ الأيوبيون ثم المماليك، كما مر أثناء الحديث عن الحروب الصليبية، إلى تدمير معظم القلاع والحصون، وعندما تنبهوا إلى الخطأ الفادح الذي ارتكبوه بهدم بعض القلاع الاستراتيجية، عادوا يبنونها من جديد على أسس القلاع القديمة مستخدمين نفس الحجارة، حتى ظن كثيرون فيما بعد أن هذه القلاع هي ذات القلاع الصليبية. كما بنوا بعض القلاع الأخرى على خطوط المواصلات الأساسية مثل قلعة شمع جنوب مدينة صور، وقلعة دوبيه (دُبي) إلى الشمال الغربي من ميس الجبل التي تسيطر على الطريق التي كانت تربط صفد ببلاد الشقيف.

لكن هذه القلاع أهملت في العهد العثماني إهمالاً كبيراً ولم تراعَ لها أهمية تذكر حتى أخذت بالانهدام والخراب تدريجياً.

كان ينقص هذه القلاع حتى تعود لها الحياة قائد ماهر يستطيع أن يسيطر عليها ويرممها دون أن يلفت إليه أنظار الباشاوات وحكام المقاطعات، وقد تهيأت الظروف لمثل هذا العمل عندما انتصر العامليون في معركة مرجعيون على التيميين (أهل وادي التيم). لقد أصبح العامليون بقيادة شيخهم وزعيمهم ناصيف النصار قوة صغيرة، لكن هذه القوة فاعلة وقادرة على التحرك، وما أطلت سنة ١١٦٣/ ١٧٥٠ (أو بعد ذلك بسنة واحدة حسب بعض المصادر) حتى وجد الشيخ ناصيف، بدعم من الشيخ ظاهر العمر، أنه قادر على السيطرة على القلاع والحصون الموجودة في بلاد بشارة وإتخاذها مراكز عسكرية ومقرات للإقامة والحكم.

فقد أقام الشيخ ناصيف في قلعة تبنين بعد أن أعاد بناءها بنفس حجارة القلعة الصليبية وعلى نفس الأسس تقريباً وسكنها مع عائلته. في نفس الوقت توجه الشيخ ظاهر بن مراد النصار إلى قلعة دوبيه(دُبي) وأعاد بناءها ليتخذها مقراً له. لكنه مات يوم اكتمل بناؤها، فقد صعد إلى سطحها لينظر البناء وما حوله فسقط ومات يوم الأحد ٢٤ ربيع الأول سنة ١١٦٤/ ٢٤ شباط ١٧٥١[٥١]. وتسلم الشيخ عباس العلي مدينة صور وقلعة مارون[٥٢]. وكان الشيخ قبلان الحسن (بن أحمد المشرف) قد استقر قبل ذلك في قلعة هونين، ليصبح فيما بعد أحد المنافسين للشيخ ناصيف على الزعامة.

ويروج المؤرخون العامليون لأمر مهم وهو أن مدينة صور كانت في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي خراباً وأن الشيخ عباس العلي (بن محمد بن أحمد المشرف) حاكم قلعة مارون، هو الذي أعاد تمدينها، وقد تناقل هذا الخبر معظم من كتب عن تاريخ جبل عامل مستنداً إلى ما

كتبه شبيب الأسعد في مقدمة ديوانه. وبالعودة إلى بعض الوقائع التاريخية سنجد أن بناء مدينة صور قد جرى سنة ٨٢٤/١٤٢١ على أيدي أسرة بشارة وقد مرت الإشارة إلى ذلك، وهذا يعني أن صور قد بنيت قبل ثلاث مائة سنة من الشيخ عباس العلي. أضف إلى ذلك أن كثيراً من المؤرخين قد ذكروا أن الأمير يونس المعني شقيق فخر الدين الثاني قد نزل مدينة صور وبنى فيها قصراً سنة ١٦١٣ فدهمه علي باشا القبودان وتفقده فيها[٥٣].

وفي بعض الكتابات التاريخية للكنيسة المارونية ما يفيد أن المطران جبرائيل عواد أسقف عكا قد كتب سنة ١٧٤٠ رقيماً كنسياً يعين فيها لخدمة موارنة صور وقرية علما الشعب الخوري إبراهيم اسحاق من قرية دبل (شمال غرب بنت جبيل) [٥٤].

والملاحظ من التاريخ الذي ذكر حول اقتسام القلاع والأماكن الأخرى يفيد أن الاقتسام والشروع في إعادة بناء القلاع قد جرى في سنة ١١٦٣/ ١٧٥٠ وهو ما قال به الشيخ السبيتي صاحب (جبل عامل في قرنين) في أحداث سنة ١١٦٣، بينما كان الشيخ الفقيه (صاحب جبل عامل في التاريخ) يعتقد أن اقتسام القلاع قد تم في سنة ١١٦٤/ ١٧٥١.

وبعد أن تم بناء وترميم القلاع شعر العامليون أنه بامكانهم خوض الحروب وهم مطمئنون إلى قوتهم فشرعوا بالتحرك بثقة تامة مبتدأين، على ما كان شائعاً في تلك الآونة، بتنفيذ غزوات متلاحقة على المناطق المجاورة.

ففي يوم الأثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ١١٦٦/ ١٩ آذار ١٧٥٢ هاجم الشيخ ناصيف بخيله عرب القنيطرة غازياً. ولنفس الهدف، وفي

٢٤ جمادى الآخرة١١٦٦/ السبت ٢٧ نيسان ١٧٥٣، هاجم الشيخ عباس المحمد والشيخ قبلان الحسن عرب مرج رميش في جبل عامل (قبل أن يعطى مرج رميش لبعض العائلات المسيحية الوافدة من جبل لبنان وتبنى عليه قرية رميش الحالية في قضاء بنت جبيل).

في سنة ١١٦٨ في ١٨ شعبان / ٢٢ نيسان ١٧٥٥ هاجم ناصيف وعباس شريعة منذور (اسم مكان) فقتلوا من الأهالي عشرين رجلاً وعادوا بغنائم.

واستمرت عمليات الغزو متلاحقة ودائمة وكانت إحداها سنة ١١٧٩ حيث جرى الهجوم على قرية آبل القمح إلى الشمال الشرقي من قلعة هونين حيث قتل ستين رجلاً.

لكن وجود الشيخ ناصيف النصار لم يتخذ طابعاً أقليمياً إلا بسبب معركة خاضها ضد الصفديين الذين كانوا يتبعون الشيخ ظاهر العمر الزيداني في موقعة يسميها العامليون معركة «طربيخا» أو معركة الدولاب، كما يسميها بعض الكتاب.

كان الشيخ ظاهر العمر متسلم سنجق صفد، أي الحاكم العام الذي يتبعه جبل عامل، قد استولى على قرية البصة، الواقعة قرب قرية الناقورة في جنوب بلاد بشارة، وهي من أملاك العامليين، أي يتولى شيوخ بلاد بشارة جمع الضرائب منها وتجنيد المجندين، وضم الشيخ ظاهر هذه القرية إلى أملاكه في الجليل. فأرسل الشيخ ناصيف النصار وفوداً تطلب من ظاهر العمر إعادتها إلى أصحابها، لكن ظاهر رفض الطلب. وبعد مدة ظهرت إمارات تدل على رغبة الشيخ ظاهر بأخذ قرية طربيخا من أصحابها العامليين وضمها إلى ممتلكاته. حاول العامليون منع أخذها بالسلم والحوار، لكن الشيخ ظاهر العمر متسلم صفد كان

يشعر أنه ليس من العرف محاورة أتباع يخضعون له في سنجقه. وفي يوم الإثنين ٨ جمادى الأولى سنة ١١٨٠/ ٢٤ تشرين الثاني ١٧٦٦ هاجم الصفديون قرية طربيخا دون سابق إنذار، وبوصولهم إليها اشتبكوا مع مجموعات من الرجال العامليين غالبيتهم من أهل القرية، الذين استنجدوا بالشيخ ناصيف، وكان يرابط في قلعة تبنين، فهب سريعاً لنجدتهم مع عدد من رجاله، فوصل إليهم بعد وقت قصير، بسبب قرب المسافة بين تبنين وطربيخا، وقاد المعركة بنفسه، وتمكن مع جنوده من إنزال هزيمة بجيش الصفديين وردهم على أعقابهم. واسترد العامليون كنتيجة لذلك قرية البصة، وأثبتوا أنهم قادرون على هزيمة حاكم صفد الذي يشكل حسب النظام العثماني، الحاكم لمنطقتهم.

انتصار الشيخ ناصيف في معركة الدولاب مهدت للعامليين مواجهة الشهابيين في جبل الدروز بقوة أكبر، لقد استنتج قسطنطين بازيلي أن العامليين قد أصبحوا قوة هامة فوصفهم بأنهم «كانوا بقواهم الجامحة يرفضون التعايش مع الباشاوات، كما يرفضون ذلك مع أمراء جبل (لبنان)، وهم أي «المتاولة «كان يقودهم الشيخ القوي ناصيف نصار الذي كان يستطيع أن يرسل إلى الميدان عدة ألاف من الفرسان الممتازين وكان يملك أراضي غنية والعديد من الحصون»[٥٥].

هذه القوة العاملية الهامة أغرت الشيخ ظاهر العمر لإقامة حلف معهم حيث اتفق ظاهر مع الباشا على أن يدفع الإتاوة عوضاً عنهم[٥٦]. مما يفيد بأن حلف الشيخ ظاهر العمر للعامليين كان حلف تبعية سياسية لا حلف تكافوء، فالشيخ ظاهر أصبح برضا الباشا وقبوله، حاكماً على جبل عامل وما على الشيخ ناصيف ومن يتبعه إلا أن يكونوا تحت إمرة الشيخ ظاهر كلما استدعاهم إلى حرب ما.

معارك البحرة وكفرمان والحارة

الحلف بين العامليين والشيخ ظاهر العمر، رغم شوائبه، قد مهد لانتصارات العامليين في ثلاث معارك متعاقبة ضد باشا دمشق وأمير جبل الدروز وباشا صيدا.

المعركة الأولى التاريخية تعرف عند العامليين بمعركة البحرة. ويمكن اختصار أسباب هذه المعركة بأن الشيخ ظاهر العمر حليف العامليين قد أقام حلفاً مع حاكم مصر علي بك الكبير واتفقا معاً على أمور معينة أرسل بنتيجتها علي بك جيشاً لاحتلال دمشق بقيادة صهره محمد أبي الذهب. لكن هذا القائد سرعان ما خان سيده رغم استيلائه السهل على عاصمة الشام، وارتد بجيشه نحو مصر قاصداً القضاء على علي بك. ففر هذا منه والتجأ إلى حليفه ظاهر العمر. عند ذلك تحرك باشا دمشق عثمان باشا الصادق «الكرجي» على رأس جيش لجب متوجهاً نحو عكا لتأديب الشيخ ظاهر. كان عدد جيش الباشا يزيد على تسعة آلاف مقاتل، ويتبعه أعداد غفيرة من أبناء قبائل البادية الطامعين في الغزو والنهب. كانت وجهة جيش الباشا هي جبل عامل وبلاد صفد فتحرك الصفديون والعامليون بقواتهم نحو غور الحولة حيث أقام جيش الباشا على ضفة بحيرتها للاستراحة. وهناك فاجأه العامليون والصفديون بهجوم صاعق، فلم يصمد الباشا بل فر مع جنوده شرقاً، حيث راح رجاله يلقون أنفسهم بالبحيرة فمات منهم ثمانية آلاف غرقاً، ونجا الباشا بصعوبة بعد أن حمله عبدان من عبيده.

كانت هزيمة جيش الباشا مقدمة لهروب باشا صيدا من مقر حكمه[٥٧]. الملفت أثناء معركة البحرة هو أن العامليين كان عددهم

ثلاثمائة فقط من أصل الجيش الصفدي البالغ بضعة آلاف، وهم الذين بادروا إلى الهجوم مما أدى إلى هزيمة العدو.

بعد معركة البحرة وجد درويش باشا والي صيدا أنه يكاد يفقد كل شيء خصوصاً بعد هزيمة أبيه المنكرة في البحرة. فلجأ إلى الأمير يوسف الشهابي أمير جبل الدروز وحرضه على القيام بهجوم مباشر على جبل عامل كعمل تأديبي، ومنحه مقابل ذلك السلاح والعتاد اللازمين للهجوم، كما وهبه خراج بيروت وجبل الدروز (لبنان) لمدة سنة[٥٨].

عند ذلك حشد الأمير يوسف عشرين ألف مقاتل قرب مدينة صيدا وسار بهم صعداً نحو أقليم التفاح مدمراً وحارقاً القرى العاملية التي مر عليها حتى وصل إلى قرية جباع فأحرقها وانتقل عنها جنوباً نحو عرب صاليم فأحرقها ثم نزل وادي الميذنة بين قرية كفرمان وتل الجرمق فبات هناك، ثم انتقل صباح اليوم التالي إلى كفرمان فأحرقها، وتوجه من هناك نحو النبطية حيث كان يحتشد فيها حوالي خمسماية مقاتل عاملي لم ينتظروا طويلاً حتى بادروا للتصدي للمهاجمين. وبعيد بدء المعركة بدأت خيالة الأمير يوسف بالفرار من المعركة تاركين المشاة بلا حماية، فيما وصلت نجدة ضخمة للعامليين من الشيخ ناصيف النصار من تبنين، فانقض العامليون على جيش الأمير يوسف وفتكوا بأعداد كبيرة من رجاله. بلغ عدد قتلى أهل الشوف حوالي ثلاثة آلاف قتيل وربما أكثر من ذلك.

كانت الهزيمة شاملة وقاتلة بالنسبة لأهل الشوف، حيث لبست النساء الأسود وبدا جبلهم كأنه أرض الغربان لكثرة السواد[٥٩].

أدت الهزيمة المنكرة للأمير يوسف إلى فرار باشا صيدا من المدينة فأرسل الشيخ ظاهر العمر حاكماً عليها من قبله.

يذكر الشيخ السبيتي في تاريخه المختصر (جبل عامل في قرنين) هذه المعركة باختصار شديد رغم أهميتها، وجعلها سنة ١١٨٤ كما جعل معركة البحرة في نفس السنة أيضاً، فيقول: «وسنة أربعة وثمانين... ركب الأمير يوسف على بلاد المتاولة من صيدا إلى جبع وصارت الوقعة في كفر رمان إلى جرجوع وقتل من الدروز ثلاثة آلاف»[٦٠].

تركت معركة كفرمان في الوجدان العاملي أثراً بيناً، تحولت إلى ملحمة مجدها الشعراء الزجليون في قصائدهم المطولة، ذكروا في تلك القصائد أسماء كل الزعماء العامليين، حتى الذين لم يشاركوا في القتال مباشرة، ووصفوهم بأوصاف البطولة والمجد، وهم في ذلك محقون، فتاريخ جبل عامل العسكري قد يختصر في معركة كفرمان قدرة الشعب العاملي الصغير والمحاصر بالأعداء من كل صوب، هؤلاء الأعداء الذين يستمدون قوة من عداء الدولة العثمانية للعامليين، ثم يتمكن هذا الشعب من الانتصار في معركة ستترك أثرها الكبير في جبل الدروز (جبل لبنان) لأنها ستخل بميزان القوى بين الدروز والمسيحين. فبعد معركة كفرمان أصبح المسيحيون، خصوصاً الموارنة، هم أصحاب الكلمة العليا في الجبل حتى تمكنوا أخيراً من الاستيلاء على السلطة فيه، بينما تراجع الدروز الذين كانوا أصحاب الجبل، والذي عرف دهراً باسمهم (جبل الدروز) إلى المرتبة الثانية.

بعد معركة كفرمان وسقوط مدينة صيدا حاول والي دمشق الجديد الذي خلف الكرجي أن يسترجع مدينة صيدا مركز الباشالك ويعيد واليها إليها، لذلك استعان بكل القوى الممكنة من حوله، فاستجاش والي حلب ووالي طرابلس وسنجق بك القدس وأمير الدروز[٦١].

كان منسق الاتصالات بين الأمير يوسف الشهابي وباشا دمشق أحمد بك الجزار الذي سيبدأ من هذا التاريخ بالظهور على مسرح الأحداث في ولايتي صيدا ودمشق حيث يقع جبل عامل.

تحرك أحمد بك الجزار ومعه مملوكَيْه سليم وعبده أبو الموت إلى دير القمر ولبث فيها أياماً حتى أقنع الأمير يوسف بالدور العسكري الذي سيناط به. كان الأمير يوسف لا زال يعيش تحت وطأة الخسارة العسكرية الفادحة التي حلت به في كفرمان وكان من الصعب عليه أن يجمع جيشاً جديداً يكون قادراً على تحريكه للهجوم على العامليين وهو واثق من قدرتهم عليه، لذلك كان بقاء الجزار أياماً في دير القمر هي لإغرائه بالمشاركة في الحرب ضد العامليين والصفديين.

في نفس الوقت أرسل باشا حلب جيش ولايته بقيادة الوزير (الدالي) خليل، عدد جيش حلب لم يزد على ألف مقاتل، لكنه كان يصطحب معه عدداً من المدافع وأدوات الحصار، وكان أحمد بك الجزار معه أثناء تحركه، مما يعني أن أحمد بك الجزار قد أصبح منسق عام الجيش العثماني الزاحف على صيدا. وبانضمام الوحدات العسكرية القادمة من دمشق أصبح عدد الجيش المهاجم عشرين ألفاً شكل جيش جبل الشوف قسمه الأكبر.

رابط جيش الأمير يوسف قرب جسر الأولي إلى الشمال من صيدا، ليكون خطاً خلفياً مسانداً، فيما تقدم باقي الجيش قرب الشاطىء نحو مدينة صيدا.

في نفس الوقت كان جيش الصفديين والعامليين يبلغ عشرة آلاف مقاتل على أقل تقدير معظمهم من العامليين، وكان الشيخ ظاهر والشيخ

ناصيف النصار موجودان على رأس قواتهما. وكان جيشاهما مدعومين بعدد من مماليك علي بك الكبير بقيادة المملوك علي بك الطنطاوي، وهو قائد عسكري فذ وشجاع.

تقدم الجيش العثماني يوم الخميس ٩ ربيع الأول ١١٨٦/ ١٠ حزيران ١٧٧٢ بادئاً الهجوم، فأطلق قذائف مدافعه على الجيش العاملي فأسقط فيه حوالي مائة قتيل، فارتبكت صفوفهم ولكنهم حافظوا على مواقعهم ولم يتراجعوا. عندئذ قام مماليك علي بك الكبير بقيادة علي بك الطنطاوي بهجوم مباشر على المدفعية العثمانية وقضوا على سدنتها، واستولوا عليها، ووجهوها نحو باقي الجيش العثماني الذي سرعان ما تفككت صفوفه بعد ضربات المدفعية الأولى. وتراجع الجيش العثماني منهزماً بشكل مريع. كان الفرار من الميدان يؤدي بالجنود للتوجه نحو جسر الأولي حيث كان يرابط جيش الأمير يوسف، وعندما علم هؤلاء بهزيمة حلفائهم، تراجعوا نحو الشعاب المجاورة في أقليم الخروب حيث راحوا من هناك يهاجمون الجنود العثمانيين فيقتلون من يقع بأيديهم، ويستولون على ثيابه وسلاحه. «كان الدروز هذه المرة هم الذين يذبحون حلفاءهم بعد انقلاب الجيش، لأن خيالة عثمان باشا كانوا يملكون سلاحاً جميلاً وثياباً موشاة بالذهب وسروجاً مصفحة بالفضة، فارتمى الدروز عليهم لينهبوهم»[٦٢].

خسائر العامليين والصفديين التي لم تزد إلا قليلاً عن مائة قتيل بدت قليلة مقارنة بخمسماية قتيل من العدو. لكن ما غطى على هذه الخسارة هو النصر المؤزر الذي حازه العامليون والصفديون، حيث تأكد للشيخ ظاهر العمر، الحاكم العام، أن صيدا أصبحت ملك يديه.

أما الباشا والأمير يوسف المهزومان فقد كانت تلك المعركة وبالاً عليهما، خصوصاً على الأمير يوسف الذي أصبح متهماً بخيانته للدولة وباشاواتها، ونُظِرَ إليه على أنه غادر لا يمكن الوثوق به، وقد حقد عليه القائد المنسق أحمد بك الجزار وانتقم منه عندما أصبح والياً على صيدا بعد سنوات معدودة من هذه المعركة.

بعد معركة حارة صيدا تمكن أحمد بك الجزار من الانسحاب ومعه عدد من الجنود الخاصين به، وبعض أعوانه الذين عملوا معه في أوقات سابقة، فتوجه بهم إلى بيروت حيث تعهد لباشا دمشق بأنه سيقوم بحمايتها من هجوم محتمل للأسطول الروسي. كانت بيروت في حينه قرية غير ذات بال يقيم فيها عدد من أمراء الشهابيين، وقد منحها باشا صيدا قبل وقت قصير للأمير يوسف ضماناً. لكن الجزار سرعان ما راح، بتأييد بَيِّن من الباشا، يحصن المدينة، فبنى سوراً حولها لحمايتها، وهدم من أجل ذلك عدداً من بيوت الشهابيين لأخذ حجارتها واستعمالها في بناء السور. ولم يأبه لاحتجاجات الأمير يوسف، ولم يعره اهتماماً. عند ذلك لجأ الأمير يوسف إلى عدوه القديم الشيخ ناصيف النصار وحليفه الشيخ ظاهر العمر، وتحول أعداء الأمس فجأة إلى حلفاء، واشتركوا معاً في الهجوم على بيروت، فحاصروها أربعة أشهر، حتى استسلم الجزار، ونقلته سفينة روسية إلى ظاهر العمر في صيدا حيث أطلق سراحه(٦٣).

عهد الجزار

بعد سنة ١١٨٦/ ١٧٧٢ جرت الأحداث متسارعة في المنطقة، فقد تحرك محمد أبو الذهب حاكم مصر نحو الشام. والتقى بجيش سيده

علي بك ومعه الصفديين والعامليين في صفر سنة ١١٨٧/أيار ١١٧٣ في غزة، حيث وقع قتال عنيف انجلى عن انتصار محمد أبو الذهب نصراً ساحقاً. في تلك المعركة قتل علي بك الطنطاوي المملوك الشجاع الذي كان له الفضل في انتصار العامليين في معركة الحارة، كما أصيب علي بك بجراح بليغة مات بعد أيام متأثراً بها(٦٤).

في مطلع سنة ١٧٧٥ استحصل أبو الذهب على تفويض من السلطان بالزحف على عكا والقضاء على ظاهر العمر.

وفي شهر آذار سنة ١٧٧٥ دخل محمد بك أبو الذهب بلاد الشام بجيش قوامه ٦٠ ألف جندي مدججين بالسلاح، ترافقهم قوافل طويلة من الجمال حاملة المؤمن، معلناً باسم السلطان، خيانة ظاهر العمر واستعداده لاعدامه(٦٥). وبوصوله إلى يافا وجد أن حاميتها بقيادة الشيخ كريم الأيوب التابعة للشيخ ظاهر العمر مصرة على القتال، فحاصرها ستين يوماً حتى سقطت بيده، وأمر بقتل كل أهلها صغاراً وكباراً، نساءً ورجالاً، حتى الغرباء النازلين فيها، ثم جمعت الرؤوس وكومت على شكل هرم كبير. كان أبو الذهب يريد أن يقذف الرعب في قلوب سكان المدن الأخرى التي تفكر في مقاومته(٦٦).

بعد أيام من مذبحة يافا تحرك أبو الذهب شمالاً نحو مدينة عكا، فاستولى عليها بيسر بعد أن غادرها الشيخ ظاهر متوجهاً إلى قلعة هونين التي كان يحكمها الشيخ قبلان الحسن، ثم عاد وفر من هناك إلى البادية بعد أن رأى أن كل شيوخ المنطقة بما فيهم الشيخ ناصيف النصار، يعلنون ولاءهم للمنتصر. لقد وصل الشيخ ناصيف إلى عكا وقد أصحب معه عشرين حصاناً من جياد الخيل، فقدمها لمحمد أبي الذهب معلناً

ولاءه للحاكم الجديد الذي عينه السلطان، فطيب أبو الذهب خاطره وأمره أن يقيم عنده حتى وصول باقي زعماء جبل عامل إلى عكا[٦٧].

لكن أبا الذهب لم يعش طويلاً بعد استيلائه على عكا، إذ أصيب بصرع غريب ولازمته الحمى، ولم تطل به الأيام حتى توفي.

بعد وفاة أبي الذهب عادت الأمور إلى سابق عهدها، واجتمع العامليون واتفقوا على مهاجمة أحمد آغا الدنكزلي الذي تسلم صيدا من أبي الذهب، لكن مماليك الدنكزلي صدوهم عنها، وقتلوا منهم خمسة رجال[٦٨]. ثم عاد الدنكزلي وأعلن ولاءه لسيده السابق الشيخ ظاهر الذي عاد إلى عكا ليواصل حكمها وقد استرد روعه، ولكنه لم يسترد قوته السابقة، خاصة أن الدولة العثمانية قد حركت جيوشاً جرارة نحو عكا ولديها مهمة واضحة: القضاء على ظاهر العمر، وقد اختصر أحمد آغا الدنكزلي مهمة الجيوش العثمانية عندما أقدم على اغتيال الشيخ ظاهر أثناء محاولته الفرار من عكا[٦٩].

بعد القضاء على الشيخ ظاهر العمر (أواخر آب ١٧٧٥) عَين القبطانُ حسن باشا قائد الأسطول العثماني أحمد بك الجزار حاكماً على مدينة عكا (١٩ أيلول ١٧٧٥). وفي ٢٠ كانون الأول سنة ١٧٧٥ وصل فرمان سلطاني بترقية أحمد بك الجزار إلى رتبة بيلر بك ولاية صيدا (أي باشا صيدا).

لبث الجزار في عكا وجعلها مركزاً لولايته، ولم ينتقل إلى صيدا كما كان يفعل الولاة السابقون، بل أرسل من يتسلم صيدا باسمه. كانت عكا تمثل بالنسبة للوالي الجديد أحمد باشا الجزار مدينة حصينة آمنة ومنيعة من كل الجهات، في المقابل كانت صيدا مدينة صغيرة وضعيفة ومعرضة للأخطار.

في غضون أشهر قليلة من تسلمه للولاية، تمكن أحمد باشا الجزار أن يجمع حوله عدداً كبيراً من المقاتلين، كما استطاع أن يجمع أموالاً وافرة من الضرائب المتأخرة. وعندما شعر بأنه بلغ من القوة ما يكفي لمواجهة الأخطار المحدقة به، شرع يستأصل أعداءه بالتدريج متبعاً طرقاً سياسية ذكية، لكن خبيثة المرامي. بدأ أولاً بأولاد الشيخ ظاهر العمر فقضى عليهم واحداً تلو الآخر مستعملاً الخداع والغدر في اعتقالهم أو اغيالهم.

ثم بدأ بملاحقة الأمير يوسف الشهابي حيث أمر الجزار بطرد الشهابيين من بيروت وصادر بيوتهم وكل ممتلكاتهم فيها، ووضع المدينة مباشرة تحت حكمه، باعتبارها خارج إمارة الأمير يوسف، ثم بدأ يفرض ويحمع بالقوة الإتاوات من أهالي جبل الدروز.

كان الجزار لا يثق أبداً بأبناء البلاد، لذلك اصطنع حرسا وجنوداً من الأفاقين والقتلة الذين استطاع أن يجمعهم من كل أنحاء السلطنة، وتدفق عليه أعداد من البوسنيين والألبان والمغاربة والفرسان الدالاتية، فشكلوا نخبة قواته، ثم انضاف إليهم الفارين من جماعة اللاوندية[٧٠]. وهؤلاء كانوا من فرقة من الفرسان العثمانيين غضب عليهم السلطان وأمر بالقضاء عليهم ففر ستماية خيال منهم وانضموا إلى قوات الجزار، وعرفوا بالقبسيس. كانت قوات الجزار تعيث في الأرض فساداً، ولم تترك أمراً سيئاً إلا ارتكبته. كان الجزار ينفذ انتقامه من أهالي جبل الدروز وأميرهم بظلم فظيع، حتى أثخن البلاد بكل مكروه، لكنه حتى ذلك الوقت لم يقم بأي حركة تظهر حقده على العامليين.

لقد تمكن الشيخ الفذ ناصيف النصار من انقاذ الأوضاع في جبل

عامل أطول مدة ممكنة، ولبى دون تأخير ما طلبه الجزار، كما أظهر ولاءً للباشا شبيهاً بذلك الولاء الذي كان يقدمه للشيخ ظاهر العمر. ففي الثاني من ربيع الأول سنة ١١٩٠/١٧٧٦ التقى الشيخ ناصيف بالباشا في صور عند حاكمها الشيخ عباس العلي حيث أظهر ولاءه له، وفي وقت لاحق من نفس السنة سار الشيخ ناصيف على رأس رجاله، بأمر من الجزار، لقتال ابن حليفه السابق الشيخ علي الظاهر الذي فر قبل وصول الشيخ ناصيف إليه، وبعد شهر قام الشيخ ناصيف بهجوم آخر استهدف الشيخ علي الظاهر ففاته أيضاً. كما شارك الشيخ ناصيف جيش الباشا في الهجوم على جيش باشا دمشق محمد باشا العظم سنة ١١٩٤/ ١٧٨٠. وكان الشيخ ناصيف في مطلع هذه السنة قد شارك مع الباشا في الهجوم على جبل الشوف في محاولة لإعادة الأمير يوسف إلى الحكم بالقوة بعد أن أبعد عن دير القمر عاصمته بسبب اختلافه مع إخوته على السلطة.

لكن الجزار كان ينتظر فرصة مناسبة للإيقاع بالشيخ ناصيف، ولم يقم بأي حركة قبل أن يحصل على تصريح من الباب العالي بأهمية عمل عسكري ضد جبل عامل، فوصله بعد حين فرمان من الاستانة يأمره بالسير على جبل عامل لتأديبه. الأسباب كثيرة كلها من الماضي، كتمرد أهله أيام ظاهر العمر، ومشاركتهم في الحملات على والي دمشق، وغزواتهم على منطقة دمشق، وامتناعهم عن دفع الميري رغم تعهدهم السابق بدفعها[٧١].

وبالطبع كان الجزار ينتظر مثل هذه الفرصة، فجهز جيشاً قوامه ثلاثة آلاف محارب بقيادة معاونه سليم وأوكل إليه مهمة اجتياح جبل عامل بالحيلة. كان الشيخ ناصيف ومعه العامليون يتوقعون أن يقوم

الجزار بعمل ما ضدهم وقد استعدوا لمثل هذا الحدث، فشحنوا قلاعهم بالمقاتلين وبالمؤن.

في سنة ١١٩٥ / ١٧٨١ تحرك جيش سليم من عكا وهو يدعي قصد وادي التيم، فكانت طريقه على جبل عامل حكماً، ووصل إلى قرية يارون حيث التقاه الشيخ ناصيف ومعه ألفاً من رجاله في ٢٣ أيلول ١٧٨١، حيث جرى قتال بين الفريقين قتل فيه ثلث الجيش العكاوي وثلث الجيش العاملي وكان الشيخ ناصيف بين القتلى.

يتفق مؤرخو جبل عامل على أن الشيخ ناصيف قد كبا به جواده فسقط به عن صخرة عالية قرب قرية يارون تعرف إلى اليوم بصخرة ناصيف، وربما يكون قد أصيب بالرصاص قبل سقوطه أو بعده فقتل.

قد يكون هناك تأويلات كثيرة لنهاية الشيخ ناصيف بهذا الشكل، ولكن بعض الروايات تلمح إلى وجود خيانة ما، أو مؤامرة اشترك فيها الشيخ قبلان الحسن حاكم قلعة هونين مع أحمد باشا الجزار، قال بهذه الرواية الشيخ السبيتي في تاريخه المختصر لحوادث سنة ١١٩٥ حيث يقول: «وفي سنة خمسة وتسعين أرسل الجزار عساكراً إلى حاصبيا فجاء إلى يارون فظن أهل بلاد بشارة أن العسكر يريدهم، فحضر ناصيف وصارت وقعة ناصيف وخربت البلاد وقيل إن عسكر الجزار حضر البلاد بواسطة صاحب قلعة هونين وصار قتل ناصيف بواسطته وظن أن البلاد تصفى له فلم يبق على أحد منهم»[٧٢].

بعد مقتل الشيخ ناصيف فر رجاله وتفرقوا في البلاد حيث لم يبق لهم قائد يجمعهم، وتقدم جيش سليم لتحطيم القلاع العاملية الكبرى في تبنين وهونين ويارون وشمع وميس (الساحل) وصربين وجباع، وقام مع

جنوده باحراق القرى وقتل وشرد ونهب وسلب كل ما أمكن الوصول إليه. كما أخذ النساء والأطفال سبياً فبيع الولد بقرش والمرأة بقرشين في أسواق عكا[٧٣]. كما فرض على الأهالي غرامة مالية ضخمة كان من العسير على الأهالي متضامنين أن يجمعوها، وقد قام الشيخ علي الخاتون بالدوران على القرى العاملية ليجمع الأموال للجزار طالباً من الفلاحين اعتبار تلك الإتاوة من الزكاة، وكان يسجل ما يحصل في دفتر خاص[٧٤].

كانت لعملية الجزار العسكرية في جبل عامل صداها في الأستانة حيث عبر السلطان عن رضاه عن الباشا، وأرسل إليه هدية هي عبارة عن سيف وخلعة ثمينة، مع مطالبة له بتأدية ما يترتب عليه من حساب عن الثروة التي استولى عليها في هذه الحملة[٧٥].

بعد القضاء على ناصيف توجه الشيخ قبلان من هونين إلى دمشق لمقابلة واليها محمد باشا العظم، وقد اصطحب معه الشيخ عقيل بن ناصيف النصار، في محاولة على ما يبدو للحلول محل الشيخ ناصيف، لكن خطته هذه باءت بالفشل نظراً لابتعاد الناس عنه.

يعتبر الشيخ ناصيف النصار بحق، صاحب تاريخ جبل عامل الناصع. وليس للشيخ ناصيف رغم ما قدمه لأهل الجبل من مجد، أي لقب إضافي، فهو الشيخ فقط، وليس البك ولا الباشا ولا الأمير. لقد أنصفه التاريخ وأنصفه أهل الجبل العاملي حين لم يضيفوا إلى اسمه ما ينقص من قيمته التاريخية، بل بقي اسم ناصيف مشرقاً ما دام لم يحرز ألقاباً عثمانية جوفاء. لقد تمكن الشيخ ناصيف، رغم قلة عدد سكان الجبل وتعرضه للظلم والاضطهاد دهراً طويلاً، ورغم إفقار الجبل من

قبل السلطنة وجلاوزتها، من تشكيل قوة عاملية استطاعت أن تسدد ضربات هامة لهيكلية الدولة العثمانية في بر الشام.

حرب الطيّاح وانتقام الجزار

بعد مقتل الشيخ ناصيف النصار التجأ عدد من شيوخ جبل عامل إلى دمشق عند واليها الذي كان يحقد على الجزار، كما التجأ آخرون إلى بعلبك وعكار.

كان يحدو هؤلاء الأمل بأن يعودوا قريباً إلى بلادهم ولكن أملهم خاب بعد أن تحكم الجزار بالبلاد طولاً وعرضاً وازداد قوة.

عند ذلك بدأت حركة مقاومة عنيفة لحكم الجزار قام بها أبناء البلاد الذين شكلوا مجموعات عسكرية كانت تشن حرب عصابات خاطفة على جنود الجزار والمتعاملين معه، وقد عرفت هذه الجماعة بـ«الطياح» أي قطاع الطرق. كان عدد الطياح يزداد باستمرار بسبب عودة الهاربين التدريجي إلى جبل عامل سراً عن أعين جلاوزة الجزار. وكان من بين العائدين الشيخ فارس ناصيف النصار الذي تولى توجيه الطياح في السنوات التالية.

يعتبر عهد الطياح، كما عرف عند بعض مؤرخي جبل عامل، من أسوأ العهود وأكثرها ظلماً في التاريخ العاملي، وقد امتدت الحرب فيها طيلة ثلاث وعشرين سنة ذاق فيها الاهالي الأمرين ووقعوا بين نارين، نار عساكر الجزار ونار الطياح. كان الطياح يطلبون من القرى الميري والذخائر فالقرية التي تدفع المطلوب منها تسلم من أذيتهم وشرهم والتي تتردد في ذلك أتوا إليها ليلاً ونهبوها وقتلوا مشايخها ثم يختفون بسرعة قبل قدوم العساكر.

كان على الجزار أن يواجه مثل هذه الحركة بحركة مضادة خاصة بعد أن صارت هذه الحركة تشكل خطراً على الجباية، عند ذلك انشأ الجزار فرقة من الجند من رجاله الخاصين ومن أبناء جبل عامل، عرفت هذه الفرقة بـ«السردلة» وأنيطت بها مهمة قمع الطياح والقضاء عليهم. كانت فرقة السردلة تفرض على القرى تموينها كما كانت تسخّر الرجال في بعض المهمات الخطرة، فيما كان الطياح يراقبون تحرك رجال هذه الفرقة فيبقون على حذر منها، ويختفون من طريقها في الأحراش والأودية. وصار الأهالي يدفعون الميري والذخائر للمتسلمين والعساكر السردلة الذين كانوا يدعون بأنهم يحافظون عليهم من التعديات. هذا إلى جانب ما كانت تعانيه البلاد التي يمر عليها هؤلاء من أعمال السخرة ومصادرة الغلال والمواشي والدواب، كما كانوا يدفعون الميري والذخائر للمشايخ المذكورين (الطياح) بحجة أن البلاد بلادهم وأهاليها عبيدهم(٧٦).

في سنة ١١٩٧/ ١٧٨٤ تحولت حركة الطياح إلى حركة عسكرية شاملة، فقد استغل المشايخ الأزمة بين أحمد باشا الجزار والأمير يوسف الشهابي للقيام بأعمال عسكرية قتالية في جبل عامل، وعاد عدد من المشايخ من دمشق على عجل وتجمعوا في جبل عامل مشكلين قوة قوامها ستماية فارس، كانت هذه الجماعة بقيادة الشيخ عقيل ناصيف النصار، يعاونه القائد مرعي فتوني حيث جرى الهجوم على قلعة تبنين، وفتك المهاجمون بحامية القلعة ثم فروا بعد أن نهبوا ما في عنابرها.

في نفس الوقت كان الشيخ علي الزين الشحوري وهو عالم دين بارز، يرأس اجتماعاً في قريته شحور محرضاً على التخلص من حكم الجزار. الذين استجابوا لدعوة الشيخ علي الزين كانوا حوالي ألف من

الفلاحين الناقمين والمسلحين تسليحاً بدائياً، يتقدمهم الشيخ حمزة المحمد النصار.

في ٤ حزيران، أي بعد يومين فقط من اجتماع شحور، بادرت قوات الجزار إلى الهجوم على شحور وعلى أربع قرى قريبة منها، حيث قامت مدفعية الجزار بتدمير هذه القرى تدميراً تاماً، وهُزِم الفلاحون العامليون بعد أن سقط منهم أكثر من مائتي قتيل، وأسر عدد كبير بينهم الشيخ حمزة النصار، واقتيد الأسرى إلى مدينة صيدا مع رؤوس القتلى التي علقت خارج أبواب المدينة، واحتفل الجزار وجنوده بالنصر المبين الذي أحرزوه، وأمر بأعدام الشيخ حمزة على الخازوق في واحدة من طرق الجزار الكثيرة للتشفي من أعدائه.

شعر الأهالي بالخوف من جيش الجزار الذي استباح البلاد بعد معركة شحور، فراح الوجهاء يفرون نحو دمشق، كان على رأس الفارين أولاد ناصيف النصار واقرباؤه الذين وصلوا إلى العراق والتجأوا عند بعض القبائل هناك، أما الشيخ علي الزين الشحوري فقد وصل به الهرب إلى إيران ثم الهند.

كانت معركة شحور معركة فاصلة بين العامليين والجزار، كان انتصار الجزار فيها حاسماً فلم يسمع بعدها بأي حركة للعامليين ضد الجزار. لقد أصبح المتسلمون جميعهم غرباء عن البلاد، واستكان الفلاحون العامليون للأمر الواقع طيلة العشرين سنة التالية.

هكذا أسدل الستار على الوجود السياسي العاملي الذي تمكن من الانبعاث ردحاً من الزمن ليخبو بعد ذلك مدة طويلة، وامتدت الفاجعة إلى منطقة بعلبك حيث أصيب الوجود الشيعي السياسي هناك أيضاً بضربات قاصمة.

ويصف بازيلي الذي أدرك بعض هذه الأحداث وكتب عنها وعن تغير الوضع السياسي والاجتماعي في بلاد الشام في تلك الحقبة فيقول: «على هذا النحو تدهورت قبيلة المتاولة في سوريا منذ ذلك الوقت. هكذا تغادر القبائل والأسر مسرح سوريا السياسي واحدة إثر أخرى تاركة مكانها للتأثير المباشر للسلطة الحكومية لترث أكثر التقاليد تجرداً من الأخلاق»[٧٧].

مما لا شك فيه أن الوضع السياسي في جبل عامل قد وصل إلى الحضيض، ولم تبق فيه زعامة سياسية وإن بشكل عرضي، يمكن أن تتولى بعض الأمور الداخلية، حتى جباية الإتاوات التي كان يفرضها الجزار على الأهالي، لم تعد تجد من الوجهاء من يقوم بها، خاصة بعد أن قضى الجزار على معظم الرجال الذين كان يظهر عليهم أنهم يتمتعون باحترام وإن بسيط، من الأهالي. مما اضطر علماء الدين للقيام بهذا الدور[٧٨].

العهد الجديد بعد الجزار

«في سنة ١٢١٩/ نيسان ١٨٠٤ هلك الجزار وخلفه سليم باشا أحد مماليكه، فالتاث عليه الجند وقتلوه ونصبوا مكانه سليمان باشا» هكذا اختصر الشيخ السبيتي أحداث سنة ١٢١٩/ ١٨٠٤[٧٩]. حيث تنفس الناس في جبل عامل وباقي المناطق الشامية الصعداء، فالجزار كان جزاراً حقيقة، ليس بسبب تعصب ديني أو مذهبي، ولا بسبب وفائه للسلطان، وإن كان حقيقة وفياً له، ولكن لأنه كان يهوى القتل.

وفي الخبر الذي نقله السبيتي خطأ في الاسماء، فالذي تولى السلطة مباشرة بعد موت الجزار هو مملوكه الشاب اسماعيل باشا وليس

رفيقه القديم سليم باشا. كان الجزار قد غضب على مملوكه اسماعيل فأمر به إلى السجن وتوفي الجزار واسماعيل سجيناً، فأخرج بسعي من خازن الجزار حاييم وعين والياً على عكا. ولكن الولاية انتقلت بفرمان من السلطان إلى سليمان باشا والي دمشق ورئيس قافلة الحج تلك السنة. وهو صديق الجزار الصدوق وصاحبه القديم المقرب.

لقد تمكن سليمان باشا بخبرته التاريخية من التقرب إلى أبناء جبل عامل وحصل على دعمهم وتأييدهم لولايته وهم يستبشرون بنهاية السنوات العجاف التي قضوها تحت حكم الجزار. فَتَحْتَ حُكْمِ سليمان باشا استراح الشعب قليلاً من المحن القاسية التي عاناها زمن الجزار[٨٠].

أدرك سليمان باشا ومعاونوه، ما أصاب مناطق ولاية صيدا من خراب خصوصاً جبل عامل، وكان ذلك يعني خسارة خزينة الولاية لمبالغ كبيرة يمكن الحصول عليها فيما لو استقرت البلاد. لذلك كان من المهم الاتصال بزعماء الطياح (قطاع الطرق) بقصد التخلص من حركتهم وإلجائهم إلى السلم والاستقرار. وقد اختصر السبيتي ذلك ببضع سطور فقال: «فاستبد الثلاثة (معاونو سليمان باشا حاييم وحسن آغا وعلي باشا) بتدبير البلاد، فكان أول أمرهم أن صانعوا أولاد العشاير وأرضوهم وعوضوهم عن أملاكهم المغصوبة التي اغتصبها (الجزار) وردوهم إلى أوطانهم بعد التشريد، فبذلك استراحت البلاد من فسادهم (أولاد العشاير) أيام تشريدهم، ومن فساد عساكر الجزار. وهدأت الحال أيام سليمان باشا وعمرت البلاد عمراناً زائداً ونمت نمواً فائقاً فعمرت الأبنية وغرست الأشجار، وسار سيرة حسنة إلى سيرة حسنة إلى أن هلك»[٨١].

استدعى سليمان باشا الشيخ فارس ناصيف النصار ومحمد المحمود النصار وأظهر لهما الإكرام والعناية والرعاية، وعرض عليهما إعطاءهما أقليم الشومر فقط على أن تستثنى منه قريتي الصرفند وأنصار وقلعة ميس، وليس كل جبل عامل، وليس لآل النصار فقط، بل للأسر الثلاث الكبرى صعب ومنكر وعلي الصغير. واشترط عليهما أن يقوما باقتسام قرى الأقليم (الشومر) بين تلك الأسر بشكل منصف. كما منع الزعماء الجدد من القيام بأي تحرك في بلاد بشارة (جنوب الليطاني) رغم أن هذه المنطقة هي بالذات منطقة زعامة ناصيف السابقة. واعفيت هذه المقاطعة (أقليم الشومر) بكاملها من الضرائب المفروضة عليها. كما منحهما الباشا مائتي كيس سنوياً (يساوي الكيس خمسماية قرش ذهبي) وتدفع فوق ذلك للزعماء الجدد ذخائر مرجعيون. وفي مقابل ذلك يتعهد الزعماء بتقديم ألفي مقاتل للباشا عند الحاجة.

كان لهذا الاتفاق اثر جيد على الجبل بكامله، فقد ارتاح السكان من عصابات الطياح ومن تعديات المشايخ. وعندما توفي سليمان باشا سنة ١٨١٨ ترك بلاداً عامرة عمراناً زائداً ونامية نمواً فائقاً. كما ترك، وهذا مهم جداً، جبل عامل وقد خمل ذكر الزعماء فيه، وأصبح هؤلاء أقرب ما يكونون إلى وجهاء القرى العاديين، خاصة وأن القسم الاكبر من جبل عامل في بلاد بشارة وبلاد الشقيف وأقليم التفاح ظل يعيش في ظل متسلمين يعينهم الباشا مباشرة، ويتصرفون حسب مشيئته، دون أن يذكر وجود ظلم أو فساد في هذه المقاطعات طيلة عهد سليمان باشا.

الملفت أيضاً في عهد سليمان باشا الذي امتد ١٤ سنة أنه لم تقع حروب مهمة ولا غزوات، وكأن البلاد كلها في عهده قد جنحت للسلم. فقط يذكر سنة ١٨١٠ وقوع مواجهة بين سليمان باشا والي صيدا

ويوسف باشا الكنج والي دمشق بأمر مباشر من السلطان الذي أوعز إلى سليمان باشا بمحاربة والي دمشق. وقد تمكن سليمان باشا الذي اصطحب في جيشه المتاولة والدروز (جبل عامل وجبل الشوف) من إرغام الكنج على الفرار ومعه خزائنه إلى إنطاكية[٨٢].

من إبراهيم باشا إلى نهاية الدولة العثمانية

سنة ١٢٤٧/ ١٨٣١ أرسل محمد علي باشا والي مصر ابنه إبراهيم باشا للاستيلاء على سوريا.

بدأت الحملة المصرية بالتجمع والاستعداد في خريف سنة ١٨٣١ وفي ١٤ تشرين الثاني غادر الجيش المصري القاهرة يقوده إبراهيم باشا والضابط النابليوني سليمان باشا الفرنساوي (الكولونيل سيف).

بوصول الجيش المصري إلى ضواحي عكا يؤازره الاسطول المصري من جهة البحر، واجهه جيش الولاية الذي جمعه عبد الله باشا والي عكا بعد سليمان باشا، من كل الولاية، بما فيها جبل عامل الذين شاركوا في معركة الدفاع عن عكا في موقعة البهجة.

كانت المعركة منذ البداية غير متكافأة، فبعد أن أطلقت المدفعية المصرية طلقات كثيفة نحو جيش الولاية بدأ رجال عبد الله باشا بالفرار، قسم منهم دخل إلى عكا، ولاذوا وراء الجدران والحصون القوية فيها، فيما تفرق رجال جبل عامل عائدين إلى قراهم وقد أدركوا سلفاً أن الحرب قد حسمت لصالح إبراهيم باشا المصري.

وفي نفس الوقت سير إبراهيم باشا جيشاً إلى دمشق فاستولى عليها في ١٣ حزيران سنة ١٨٣٢. وكان الأمير بشير الشهابي أمير جبل

الشوف (أو جبل الدروز كما كان يعرف) قد انضم لإبراهيم باشا مما جعل ولايتي عكا (صيدا) ودمشق بكاملهما تحت سلطة إبراهيم باشا، وفي أقل من سنة واحدة بعد ذلك استولى إبراهيم باشا على ولايتي حلب وطرابلس ووصل في فتوحاته حتى قلب الأناضول حيث وقع معاهدة في كوتاهية في ٤ أيار سنة ١٨٣٣ أتاحت له اعتراف السلطان بحكم سوريا.

وبعد أن ثبت إبراهيم باشا وجوده العسكري في بلاد الشام راح يطبق مجموعة من الإصلاحات الإدارية والسياسية في طول البلاد وعرضها. لكن الاصلاحات الإبراهيمية لم تكن لتروق في أعين أعيان البلاد الذين انتزع الباشا الجديد امتيازاتهم وساوى بينهم وبين رعاياهم. كانت الاصلاحات تقوم في الأساس على إلغاء الإقطاعية وبالتالي حرمان زعماء القبائل والأسر من حقها في تجنيد وقيادة الجيوش الخاصة، كما حرم الإقطاعيين من مواردهم التي كانوا يجبونها من فلاحي إقطاعاتهم، ومن الرسوم التي تفرض على التجارة والعابرين، لذلك كان لا بد للاقطاعيين أن يواجهوا الاجراءات التي تحد من نفوذهم.

وتحول نظام الضرائب إلى جباية منظمة تجبى لخزينة الدولة مباشرة. كما وجد جيش (ودرك وشرطة) نظامي مستعد دائماً للتدخل لدعم السلطات المدنية، مما يبقى الشعب في حالة خضوع تام للنظام العام دون تدخل من الزعماء الإقطاعيين وهذا ما حدّ بشكل كامل من ثقل طبقة الإقطاعيين وانتزع منها كل مكتسباتها الموروثة.

في المجال الإداري أنشأ إبراهيم باشا مجالس في المدن ومنحها صلاحيات واسعة في الأمور المدنية، كما أنشأ في القرى المجالس

الاختيارية التي يرأسها مختار يكون ممثلاً للسلطة ولأبناء قريته في وقت واحد، ويتبع مباشرة للمتسلم الحكومي المقيم في القلعة. وقد ألغي وجود المختار بعد رحيل المصريين، ثم أعيد العمل به في نهاية القرن التاسع عشر.

في ظل الاصلاح الواسع للنظام والإدارة في البلاد الشامية كانت بقايا الإقطاع تحاول بإيعاز من السلطنة إعادة تنظيم صفوفها والانقضاض على النظام الجديد. فاستغلوا مسألة التجنيد الإجباري الذي فرضه إبراهيم باشا، ونظام السخرة والإهانات التي وجهت إلى بعض وجهاء القرى ورجال الدين، وراحوا يحرضون الناس على الثورة، فاستجاب لهم كثير من الناقمين، وحدثت اضطرابات عنيفة في جبال النصيرية وفي الهرمل. لكن أسوأ الاضطرابات كانت في حوران حيث أهلك الثوار ثلاث حملات عسكرية. وبمرور الوقت اتسع نطاق الثورة ليشمل كل البلاد الشامية خصوصاً بعد أن وجهت الدول الأوروبية الكبرى وعلى رأسها بريطانيا والنمسا إنذاراً لإبراهيم باشا تلزمه فيه بالانسحاب خلال أيام من سوريا.

وامتدت حركة الثورة إلى جبل عامل حيث تشكلت فرق من العصابات أغلب رجالها من الشبان الفارين من التجنيد، وقد اتخذت معظم العصابات في جبل عامل محطات لها في وادي أرنون ـ القاسمية أي وادي مجرى نهر الليطاني، وبعض الأودية الصعبة مثل وادي السلوقي ـ الحجير ووادي عاشور في بلاد بشارة، كذلك بعض الأحراش والأوعار مثل وعر يارون.

وكان أبناء جبل عامل قد حاولوا الثورة سنة ١٨٣٥ لكن ثورتهم قمعت بشدة بواسطة جيش الأمير بشير الشهابي الذي خرب بلاد بشارة(٨٣).

وفي سنة ١٨٣٩ تمرد الشيخ حسين الصعبي في منطقة الشقيف فهاجمت المنطقة قوات شهابية واذاقت الناس الويلات طيلة شهرين، واعتقل الشيخ حسين بعد هروبه إلى حوران وتم إعدامه.

يجب التذكير هنا أن مقاطعة جبل هونين ومرجعيون التي تمتد من المالكية شرقي قرية عثرون إلى سوق الخان على مجرى نهر الحاصباني شمالاً كانت تعتبر منفصلة عن بلاد بشارة أثناء حكم المصريين، ويحكمها الشيخ حسين السلمان النصار. وقد ظلت كذلك بعد استعادة الدولة العثمانية لسلطتها على المنطقة. كان الشيخ حسين سلمان صديقاً للأمير بشير الشهابي، وقد تمتع من خلال هذه الصداقة بموقع مميز في النظام المصري. وعند انتهاء حكم المصريين حافظ الشيخ حسين على موقعه في حكم مقاطعة هونين ومرجعيون وأضيف إليه ساحل قانا. وكان يقيم في قلعة هونين حتى سنة ١٨٣٧ عندما ضرب المنطقة زلزال فخربت القلعة وانتقل الشيخ حسين إلى قرية بنت جبيل وأقام فيها، وكان يتنقل باستمرار بين بنت جبيل وهونين. وقد توفي في بنت جبيل ودفن فيها. وبعد وفاته انتقل حكم المقاطعة لابنه تامر الحسين الذي واصل ما كان أبوه يفعل من الانتقال باستمرار بين بنت جبيل وهونين، وفي إحدى رحلاته تلك توفي في ميس (الجبل) في منتصف الطريق بين بنت جبيل وهونين ودفن فيها إلى جانب الطريق الدولي الذي كان يربط هونين بطبريا وهونين بعكا وكانت هذه الطريق تمر في تلك المرحلة إلى الشرق من ميس الجبل، وقبره هناك مبني بحجارة منحوتة بشكل ملفت، وعلى الشاهد الحجري كتابة تثبت اسم صاحب القبر وتاريخ وفاته، وقد جرت محاولة لتحطيم الشاهد فتشوهت الكتابة عليه وهي بالكاد تقرأ.

ويمكن الاستنتاج هنا بأن مقاطعة هونين قد نجت فعلياً من

الاضطهاد الذي تعرضت له باقي مناطق جبل عامل في بلاد بشارة والشقيف، وظلت هذه المقاطعة هادئة عندما تحركت الجيوش المتحالفة للدول الكبرى لإخراج المصريين من البلاد.

تمكن عدد كبير من الثوار في جبل عامل من الحصول على السلاح من الإنكليز الذين أقدموا على توزيع البنادق مع الذخائر بالمجان على من يرغب، حتى وجدت صنادق البنادق والذخائر بكميات كبيرة على الساحل دون أن يكون هناك من يسجل أسماء المتسلحين(٨٤). كان الإنكليز يهدفون على ما يبدو، إلى تهيأة البلاد السورية بكاملها لحرب أهلية قد تأمنت مادتها سلفاً.

في فترة لاحقة حصل الشعب على أسلحة المصريين الذين خلفوا وراءهم، لدى انسحابهم العاجل من الساحل الشامي، كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر.

لقد تحول عديد الرجال في جبل عامل إلى جماعات مسلحة، كانت هذه الجماعات بلا قيادة عسكرية ولا زعيم يجمعها تحت لوائه، ولا راع يرعاها أو يوجهها، فنشأت قيادات أسرية بدت للوهلة الأولى وكأنها امتداد لوجهاء الأسر التاريخية. فقبل سنة ١٨٤٠ لم يكن هناك ذكر لأي وجه عاملي بارز باستثناء الشيخ حسين السلمان حاكم مقاطعة هونين ومرجعيون والشيخ حسين الشبيب الصعبي وجيه منطقة الشقيف البارز المتمتع بتأييد أهالي منطقته.

لكن الشخصية التي طغت على الأحداث هي بلا شك شخصية الشيخ حمد المحمود النصار ابن شقيق الشيخ ناصيف النصار الذي ظهر فجأة أثناء هجوم الحلفاء على إبراهيم باشا، ولم يكن له قبل ذلك أي

ذكر، تماماً ككل زعماء جبل عامل الذين خمل ذكرهم في الفترة الممتدة من ١٧٨١ وحتى سنة ١٨٤٠.

بدأ الشيخ حمد المحمود يتحرك بسرعة وذكاء وقد التف حوله عدد من الشبان الذين تسلحوا ببنادق الإنكليز المجانية. ثم كبرت حركته بمن انضم إليها من الرجال الذين كانوا يبحثون عن قائد، حتى زاد مجموع من معه على ألفي مقاتل حيث شاركوا كقوات رديفة للجيش العثماني الذي كان يتحرك على طريق الساحل بين صور وعكا. وبعد انتهاء الحرب حصل الشيخ حمد المحمود على لقب شيخ مشايخ بلاد بشارة من الباشاوية، وحصل بالتالي على حقوق إقطاعية كانت قد انتزعت من آل النصار منذ استشهاد الشيخ ناصيف النصار في فتنة أحمد باشا الجزار.

استولى الشيخ حمد المحمود على قلعة تبنين وأعاد ترميمها، واتخذها مسكناً له ومقر حكم، وكان لشخصيته المميزة أثر بالغ في تأكيد زعامته، رغم أن المنطقة التي حكمها كانت صغيرة نسبياً ولم تشمل سوى مقاطعة جبل تبنين، بينما بقي خارج حكمه مدينة صور الساحلية ومنطقة الشقيف وأقليمي التفاح والشومر، حيث ظهرت زعامات أسرية أخرى أهمها بروز الشيخ قاسم الزين الذي يذكّر اسمه بتلك الزعامة التي أثبتها الشيخ علي الزين أثناء مواجهة الجزار في حادثة شحور. كما برز في هذه الفترة السيد علي إبراهيم في منطقة الشقيف.

كذلك لم يكن للشيخ حمد سلطة على مقاطعة هونين ـ مرجعيون ومقاطعة ساحل قانا التي ظل يحكمها كما مر، نسيبه ومنافسه في نفس الوقت حسين السلمان النصار.

مؤرخو جبل عامل أغدقوا على الشيخ حمد المحمود ألقاباً وتكلموا عنه بمبالغات لا يمكن الأخذ بها دون مناقشة وتحقيق. إن أقصى ما حصل عليه الشيخ حمد هو لقب شيخ مشايخ بلاد بشارة، والهدية الوحيدة التي تلقاها من الصدر الاعظم هي سيف مرصع. ولا يعني هذا في مطلق الأحوال الانتقاص من مكانة الشيخ حمد المحمود الذي اعتبر أهم زعيم في بلاد بشارة بعد خروج المصريين، لا بل يمكن أن يذكر التاريخ بفخر للشيخ حمد المحمود تلك الأريحية العاملية التي جعلته رغم صغر المنطقة التي يحكمها، يغدق العطاءات على الشعراء والأدباء مظهراً حساً عربياً وكرماً فياضاً. لقد تحول ديوان الشيخ حمد إلى ما يشبه النادي الأدبي الذي تبارى فيه الشعراء والكتاب في إظهار الصورة المثالية للشيخ حمد حتى وصف في بعض القصائد بالملك والأمير. وكانت هذه اللفتة الأدبية البالغة الأهمية في ذلك الزمن باعثاً على تحريك العقل العربي العاملي الذي قضى أجيالاً في ما يشبه السبات. لقد أراد الشيخ حمد أن يضارع ما كان يفعله أمير جبل الشوف بشير الشهابي الثاني، رغم فارق الإمكانيات بين الشيخ حمد وهو لا يحكم إلا مقاطعة محدودة في بلاد بشارة، وبين بشير الشهابي الذي حكم معظم مناطق جبل لبنان وما حولها.

لقد اشتهر عدد من الشعراء والأدباء الذين عاشوا في ظل الشيخ حمد وفي قصره في قلعة تبنين، وكان من أهم هؤلاء الشعراء والأدباء الشاعر صليبي الواكد والشيخ علي مروة والشيخ علي سبيتي والسيد موسى عباس والشيخ علي زيدان والشيخ إبراهيم صادق إضافة إلى الشاعر حبيب الكاظمي العراقي[٨٥].

كان لدور الشيخ حمد في النهضة الأدبية والفكرية في جبل عامل

ما جعل الكتاب والمؤرخين العامليين يدعونه بـ«حمد البك» على طريقة الألقاب العثمانية التي كانت شائعة في ذلك الوقت، ولم يذكر الشيخ حمد المحمود بغير هذا اللقب عند المؤرخين العامليين.

توفي الشيخ حمد سنة ١٨٥٢ بعد أن أوصى بنقل كل أملاكه إلى حفيد شقيقه علي الأسعد المحمد النصار الذي حصل فوراً على لقب شيخ مشايخ بلاد بشارة من الباشا. فاستغل لقبه وأصدر أمراً بعزل قريبه تامر حسين السلمان حاكم مقاطعة هونين ومرجعيون من منصبه وعين مكانه شقيق زوجته محمد الأسعد بن خليل بن ناصيف النصار. وحسب القانون العثماني الشائع في حينه لم يكن يحق لعلي الأسعد أن يعزل وأن يعين في مقاطعة خارج مقاطعته. وعندما أمره الباشا بعدم الاستمرار في مسألة العزل والتعيين أعلن عن رغبته في الاستقالة وكان ذلك يعني التمرد على الباشا أو تهديد الأمن، فقام الباشا باعتقاله مع قريبه محمد الأسعد ونقلهما إلى سجن الولاية في بيروت بعد أن اتهمه بسرقة أموال الضرائب التي جمعها من الفلاحين. بعد عشرة أشهر من الاعتقال نقل علي الأسعد ومحمد الأسعد إلى دمشق حيث ماتا هناك.

ولم يطل الوقت بعد ذلك حتى ألغت الدولة العثمانية الإقطاع وسنت قوانين وتنظيمات جديدة في البلاد حدت من سلطة زعماء الأسر ووجهاء القرى.

في النظام الجديد أصبح جبل عامل تابعاً لولاية بيروت، وقسم جبل عامل في الولاية الجديدة إلى ثلاثة أقضية هي قضاء صيدا وقضاء صور وقضاء مرجعيون. وألحق بقضاء صيدا ناحية شبه مستقلة هي ناحية النبطية، كما ألحق بصور ناحية تبنين وألحق بمرجعيون ناحية حاصبيا.

يمكن بسهولة ملاحظة أن الأقضية الثلاثة التي ألحقت ببيروت (صيدا وصور ومرجعيون) تؤلف بالتحديد ما يعرف عند العامليين بجبل عامل. وليس هناك من إثبات على أن السلطنة قد تعمدت توحيد جبل عامل سياسياً داخل ولاية بيروت، بل حدث الأمر بالصدفة. لأن المنطقة التي تعتبر خارج جبل عامل جنوباً (جنوب الرأس الأبيض ووادي القرن) قد ألحقت بسنجق آخر، مما مهد مستقبلاً لما يشبه الحدود بين لبنان وفلسطين، رغم أن ذلك قد جرى بالصدفة ولم يكن متعمداً بشكل من الأشكال.

وشاع في هذه الفترة اسم جبل عامل بشكل عام على كل المنطقة، وقل استعمال اسم بلاد بشارة. كان عدد سكان الأقضية الثلاثة أكثر من مائة ألف ساكن سنة ١٩٠٣ غالبيتهم الساحقة من الشيعة. كان كل قضاء يتألف من نواحي يكون مركز كل ناحية في بلدة تسمى قصبة.

كانت حدود قضاء صيدا تمتد من مصب نهر الأولي شمالاً حتى مجرى نهر القاسمية جنوباً وتمتد صعداً حتى أوائل أقليم التفاح حيث كانت عدة قرى تتبع متصرفية جبل لبنان. بينما كان حده الشرقي مجرى نهر الليطاني في وادي الخردلي.

تبعت منطقة الشقيف قضاء صيدا وقد تشكل منها مديرية جعلت بلدة النبطية التحتا قصبتها، كانت هذه المديرية تضم أربعين قرية وعدد سكانها ١٥ ألف نفس. غالبيتهم العظمى من المسلمين الشيعة. وكان سكان مدينة النبطية أربعة آلاف نفس.

وكانت حدود قضاء صور تمتد من مجرى القاسمية شمالاً حتى الرأس الأبيض ووادي القرن جنوباً بينما شكل مجرى نهر الشريعة في

أغوار الحولة حده الشرقي حتى سنة ١٨٨٣ عندما استحدث قضاء مرجعيون حيث ألحقت به بعض القرى في الأغوار الشمالية.

كان قضاء صور يتألف من ثلاث نواحٍ واحدة منها كانت ناحية تبنين التي تحولت لاحقاً إلى مديرية حملت نفس الاسم أي مديرية تبنين.

بلغ عدد سكان قضاء صور سنة ١٣٣٢/ أول سنة ١٩١٤، ٤١٢٤٠ نفساً غالبيتهم العظمى من المسلمين الشيعة. واستناداً إلى ما كتبه صاحبا كتاب «ولاية بيروت» كان يبلغ تعداد مدينة صور وحدها في السنة السابقة ٦٥٧٣ منهم ٣٧٤٩ مسلم (بينهم ٥٠٠ سنة والباقي شيعة) فيما بلغ عدد المسيحيين ٢٨٢٤ غالبيتهم من الروم الكاثوليك(٨٦). وهذا الرقم مشكوك بدقته لهدف غير واضح، فقبل تاريخ هذا الاحصاء بسنوات قليلة كان عدد سكان مدينة صور خمسة آلاف نفس تقريباً بينهم ٨٠٠ مسيحي(٨٧).

أما تبنين الملحقة بقضاء صور، والتي تحولت إلى مديرية فقد بلغ عدد سكانها حوالي ٩٠٠ شخص في أول سنة ١٩٠٦ منهم ٦٠٠ مسلم (شيعة) و٣٠٠ روم كاثوليك وكان أبناء الطائفتين يقيمان في حيين منفصلين(٨٨).

أما قضاء مرجعيون فهو قضاء مستحدث بقانون أصدره والي الشام مدحت باشا(٨٩). وقد أنشىء القضاء الجديد من ناحية مرجعيون التي كانت تتبع ناحية النبطية في قضاء صيدا وتمتد حتى مجرى نهر الحاصباني شمالاً وشرقاً، ومن ناحية جبل هونين التي كانت تمتد من مجرى نهر الشريعة (الأردن) في غور الحولة شرقاً حتى وادي السلوقي - الحجير غرباً وينتهي جنوباً عند الوادي الذي يفصل قرية بليدا عن قريتي المالكية وقدس اللتان كانتا تتبعان مديرية تبنين. وقد جعل مدحت باشا

قرية كفركلا مركزاً لقائمقام مرجعيون حيث ظل القائمقام يسير الأعمال من مركز كفركلا (في تل النحاس) حتى نهاية الدولة العثمانية.

كان عدد سكان قضاء مرجعيون سنة ١٣٣١/١٩١٣ عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى ٣١١١٥ نفساً منهم ٢٢٠٣٥ مسلماً غالبيتهم العظمى من الشيعة.

عند اندلاع الحرب العاملية الأولى، عمدت السلطنة إلى التجنيد الإجباري حيث اقتادت الشبان بين ١٨ سنة وحتى الأربعين إلى الحرب، في كثير من الأحيان بالقوة. كثيرون من الذين جندوا قتلوا في الطريق إلى الجبهة بسبب اطلاق النار عليهم من قبل الحرس العثماني الذي كان يقودهم إلى مراكز التجمع.

وفي سنة ١٩١٥ و١٩١٦ أقدم جمال باشا قائد الفيلق الرابع على إعدام عدد من أبناء جبل عامل بتهمة الاتصال بالعدو وكان على رأسهم الشهيد عبد الكريم الخليل الذي قيل بأنه اعتقل وأعدم بوشاية من أحد زعماء المنطقة.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ أصبح جبل عامل تحت الحكم الفرنسي ثم ضم سنة ١٩٢٠ مع متصرفية جبل لبنان إلى كيان سياسي مستحدث عرف بدولة لبنان الكبير التي ضمت بالإضافة إلى جبل لبنان وجبل عامل، وادي البقاع ومدينتي بيروت وطرابلس وجبال عكار أيضاً.

بعد إنشاء دولة لبنان الكبير أطلق على منطقة جبل عامل اسم محافظة الجنوب وتوقف الناس عن استعمال اسم جبل عامل لتحل محلها التسمية الشائعة «الجنوب».

هوامش الفصل الأول

١ ـ علي الزين، للبحث عن تاريخنا في لبنان، ص ١٦٠

٢ ـ محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص ٢٥

٣ ـ مجلة المشرق، مجلد السنة ١٩٢٠، ص ٥٢١ ـ ٥٢٢

٤ ـ Paul Deschamps, Les chateaux des croises en terre saint, pp119.

٥ ـ JOSEPHUS. FL. B.J.3.2.4.

٦ ـ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢ ص ٥٨٧

٧ ـ ابن خرّادذبّة، المسالك والممالك، ص ٧٨

٨ ـ المصدر السابق، ص ٢٥٥

٩ ـ نفس المصدر السابق

١٠ ـ المقدسي (أحمد بن أبي بكر)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٩٠

١١ ـ المصدر السابق، ص ١٧١

١٢ ـ المصدر السابق، ص ١٨٨

١٣ ـ محمد علي مكي، لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني (٦٣٥ ـ ١٥١٦)، ص ٩٣

١٤ ـ ابن جبير (محمد بن أحمد الكناني)، رحلة ابن جبير، ص ٢٧٥

١٥ ـ حسن محمد صالح، تاريخ تبنين، ص ٧٧ نقلاً عن الفتح القسي للعماد الأصفهاني

١٦ ـ ابن جبير، ص ٢١٦

١٧ ـ ابن الأثير (علي بن محمد الشيباني)، الكامل في التاريخ، ج ٩ ص٢٣٧

١٨ ـ E. REY: Les colonies Franques en syrie aux XII et XIII siecles. pp.(488).

١٩ ـ The Catholic Encyclopedia Volume XV تحت عنوان صور

٢٠ ـ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١ ق ٢ ص ٣٠٤
٢١ ـ المصدر السابق، ج١ ق ٢ ص ٣١٢ ـ ٣١٦
٢٢ ـ شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٢٠٢ ـ ٢١٠
٢٣ ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، إنباء الغمر في انباء العمر، ج ٥ ص٢١٣
٢٤ ـ المصدر السابق ج ٦ ص ٨٦
٢٥ ـ محمد علي مكي، ص ٢٦٨
٢٦ ـ نفس المصدر السابق نقلاً عن خطط الشام لمحمد كرد علي
٢٧ ـ حمزة بن أحمد بن عمر المعروف بابن سباط، تاريخ ابن سباط، ج ٢ ص ٩٢٩
٢٨ ـ أ. ن. بولياك، الإقطاعية في مصر وسوريالبنان وفلسطين، ص ٧٣
٢٩ ـ حسن الصدر، تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٥
٣٠ ـ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٤
٣١ ـ زين الدين العاملي، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، مقدمة لمحمد مهدي آصفي، ص ١٤١
٣٢ ـ ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج ١ ص ٣١١
٣٣ ـ المصدر السابق، ج ٢ ص ١٨١
٣٤ ـ علي درويش، جبل عامل بين ١٥١٦ ـ ١٦٩٧، ص ٣٧
٣٥ ـ الشيخ عبد الباسط الفاخوري، تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام، ص١٧٢
٣٦ ـ علي درويش، ص ٢٨
٣٧ ـ حيدر الشهابي، تاريخ الأمير حيدر، ص ٦٢٣
٣٨ ـ اسطفان الدويهي، تاريهي الأزمنة، ص ٤٥٥
٣٩ ـ محمد جابر، ص ٣٩
٤٠ ـ المصدر السابق، ص ٣٩ ـ ٤٢
٤١ ـ أحمد الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٣٩ ـ ٤٠
٤٢ ـ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ٨ ص ٢٩
٤٣ ـ الصفدي، ص ١٦

٤٤ ـ محمد تقي الفقيه، جبل عامل في التاريخ، ص ١٧٦
٤٥ ـ تكملة أمل الآمل (جبل عامل في قرنين للشيخ السبيتي) ص ٤٤٩
٤٦ ـ أعيان الشيعة، ج ٣ ص ٤٤
٤٧ ـ قسطنطين بازيلي، سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص ٣٧
٤٨ ـ حيدر الشهابي، ص ٧٦٥ (باختصار)
٤٩ ـ تكملة أمل الآمل، ص ٤٥٠
٥٠ ـ نفس المصدر السابق
٥١ ـ الفقيه، ص ٢٠٢
٥٢ ـ تاريخ تبنين، ص ١٠٦
٥٣ ـ علي درويش، ص ٩٢
٥٤ ـ مجلة المشرق، مجلد السنة ١٩٠٧ عدد ١٨ تاريخ ١٥ ايلول ١٩٠٧ ص٨١٨
٥٥ ـ بازيلي، ص ٥٢
٥٦ ـ نفس المصدر السابق
٥٧ ـ المصدر السابق ص ٥٦
٥٨ ـ الفقيه، ص ٢١٦
٥٩ ـ بازيلي، ص ٥٧ ـ ٥٨
٦٠ ـ تكملة أمل الآمل، ص ٤٥١
٦١ ـ تاريخ تبنين، ص ١٦٦
٦٢ ـ محمد جابر، ص ١٣٢
٦٣ ـ بازيلي، ص ٦٢
٦٤ ـ حيدر الشهابي، ص ٨١٤ (باختصار)
٦٥ ـ بازيلي، ص ٦٥
٦٦ ـ تاريخ تبنين، ص ٢٠٢
٦٧ ـ المصدر السابق ص ٢٠٤
٦٨ ـ المصدر السابق، ص ٢٠٨
٦٩ ـ المصدر السابق، ص ٢٣٦
٧٠ ـ بازيلي، ص ٧٠

٧١ ـ الفقيه، ص ٢٦٤
٧٢ ـ تكملة أمل الآمل، ص ٤٥٢
٧٣ ـ الفقيه، ص ٢٦٥
٧٤ ـ المصدر السابق ص ٢٧٩
٧٥ ـ نفس المصدر السابق
٧٦ ـ المصدر السابق ص ٢٦٩
٧٧ ـ بازيلي، ص ٧٢
٧٨ ـ الفقيه، ص ٢٧٩
٧٩ ـ تكملة أمل الآمل، ص ٤٥٤
٨٠ ـ بازيلي، ص ٩٢
٨١ ـ تكملة امل الآمل، ص ٤٥٤
٨٢ ـ بازيلي، ص ٩٣
٨٣ ـ تكملة أمل الآمل، ص ٤٥٦
٨٤ ـ بازيلي، ص ٢٥١
٨٥ ـ تاريخ تبنين، ص ٣٢٣
٨٦ ـ محمد رفيق ومحمد بهجت، ولاية بيروت، القسم الجنوبي ألوية بيروت وعكا ونابلس، ص ٢٨٥
٨٧ ـ مجلة المشرق، مجلد ١٩٠٧، عدد ١٨ تاريخ ١٥ أيلول ١٩٠٧
٨٨ ـ المصدر السابق مجلد ١٩٠٧ ص ١١٢٦
٨٩ ـ محمد جابر، ص ١٧٢

الفصل الثاني:

صفة ميس الجبل

موقع ميس

اسمها

أسماء الأراضي وتوزيعها

الأحراش

البيادر

الينابيع

البئر الارتوازي

البركة

الطرق

موقع ميس

تقع ميس في طرف جبل عامل الشرقي، تلامس أراضيها من ناحية الشرق مجرى نهر الشريعة (الأردن) وتنته في الغرب عند وادي السلوقي (وادي الاسطيل). فيبدو من ذلك أن ميس محصورة بشكل طبيعي بين حدين، النهر في الشرق، والوادي في الغرب. في الشمال تفصل الوادي (كانت تسمى وادي الجمال في منتصف القرن التاسع عشر وهي حالياً تعرف بالوادي فقط) بين ميس وحولا، بينما تتصل ميس بقرية بليدا من جهة الجنوب دون فاصل بينهما.

كان طول أرض ميس من نهر الشريعة إلى وادي السلوقي (الاسطيل) تبلغ ١١ كلم قبل سنة ١٩٢٣ وبعد تعديل الحدود في السنة المذكورة ثم سيطرة إسرائيل على فلسطين لم يتبق من أرض ميس سوى ستة كلم فقط من خط الحدود بين لبنان وفلسطين حتى وادي السلوقي. أما المسافة من حدود أرض ميس مع حولا شمالاً وحتى حدود بليدا جنوباً فتبلغ ٧ كلم. وهكذا يمكن تقدير مساحة أرض ميس ما يقارب ٣٥ كلم مربع. فأرض ميس واسعة فسيحة قياساً إلى باقي القرى العاملية، لا بل ربما تكون أكبر القرى العاملية مساحةً.

وصفها الدكتور إدوارد روبنصون الذي مر فيها في منتصف القرن

التاسع عشر (ربيع سنة ١٨٥٢) ولاحظ أنها: «منطقة ريفية جميلة تتبع ناحية تبنين وتبدو مزدهرة والناس فيها يعيشون ببحبوحة نسبية[١].

تتصل أراضي ميس بأراضي عدد من القرى يقول البعض أنها اثنتي عشرة قرية، شرقاً تتصل أراضي ميس بأراضي مدينة الخالصة وقرية البويزية في فلسطين، وكان أهل البويزية يسمون الجبل الغربي المشرف على قريتهم والمنحدر من جبل عامل ب(الميس) نسبة إلى ميس الجبل[٢]. وتتصل أراضي ميس بالمنارة وهونين والنبي يوشع وقدس، وهذه القرى محتلة حالياً مثلها مثل الخالصة والبويزية. في الجهة اللبنانية تتصل ميس بقرى بليدا في الجنوب ومحيبب في الجنوب الغربي وبأراضي كونين وبرعشيد وشقرا في الغرب وبحولا في الشمال.

في الأصل بنيت ميس على تلتين متقابلتي شرقية وعليها حي الضيعة، وغربية ويقوم عليه حي الغربية كما يسمونه. فميس منذ بدايتها معروفة بهذا الشكل. بين الحيين يوجد وادٍ صغير يعرف ب(جورة الغسيل) كانت تتجمع فيه مياه الأمطار وتبقي فيه المياه محصورة إلى أواخر الربيع. عرض جورة الغسيل قرابة المائة متر. في هذا المكان نصب إدوارد روبنسون خيمته وبات ليلة واحدة ووصف ميس سنة ١٨٥٢ بأنها قائمة على تلتين شرقية وغربية[٣].

اتصال الضيعة بالغربية لم يتم إلى حديثاً ولم يصبح واقعاً إلا بعد أن امتد البناء بعيداً خارج التلتين ليشمل التلال التي تحيط بميس مع تفاوت في عدد المساكن على كل تل.

اسمها

يتفق معظم الذين تحدثوا عن ميس أن اسمها مشتق من اسم شجر

الميس الذي يقال بأنه كان يكثر فيها[٤]. وربما يكون أنيس فريحة قد اعتمد ما قاله السيد محسن الأمين العاملي حول هذا الموضوع في خطط جبل عامل. الإسم في هذه الحالة عربي وليس آرامياً ولا لاتينياً.

وهذه المقولة حول الإسم واشتقاقه من اسم شجر الميس تحتاج إلى اثبات، خاصة أن شجر الميس المقصود لا وجود له في المنطقة بكاملها، وعلى فرض أنه وجد في زمن ما، فإن نسبة الإسم إليه تحمل نفس قيمة نسبة الإسم إلى أي صنف آخر من الشجر الذي كان يكثر فيها. وهذا الشك سيدفع للتساؤل عن الزمن الذي أطلق فيه الإسم على موقع ميس، وهل جرى ذلك عندما أصبح اللسان العربي هو الغالب، أم أن الإسم قد انتقل إلى العرب من آخرين قبلهم؟ وفي هذه الحالة ما هي الكلمة غير العربية التي استعملت للدلالة على اسم ميس؟

لقد عرفت ميس بهذا الإسم في الوثائق الصليبية، التي أوردت اسم ميس لأول مرة بعد أن بني في ميس حصن صغير كان يتبع ناحية مارون. هذا الحصن عرف باسم حصن ميس (Casal de Mees)[٥]. وفي أثناء حكم الصليبيين للمنطقة، مر ابن جبير في ميس وبات ليلة فيها، وسماها «المسية» إما خطأً، وإما أن يكون النقلة قد أخطأوا وحرفوا الإسم حتى اعتقد (E. Rey) أن (المسية) هو موقع آخر غير ميس موجود في موقع الميسات على نهر الحاصباني[٦].

لقد جرى أيضاً تحريف الإسم ثانية بإضافة كلمة (جبل) بعده، فاسم (ميس الجبل) أي بإضافة كلمة (الجبل) بعد اسم ميس، لم يجر استعماله إلا في الزمن الحديث. فذكر ميس في فترة الحكم العثماني وحتى منتصف القرن التاسع عشر، كان يتم باستعمال اسمها الأول فقط.

وجميع شيوخها وعلمائها الذين نسبوا إليها في القرون الأربعة الماضية كانوا ينسبون إلى اسمها الصغير (ميس) فقط، فيقال الشيخ الميسي نسبة إلى ميس إحدى قرى جبل عامل، ويحرك الاسم بميم مفتوحة وياء ساكنة، كما يعرفها أبناؤها، وكما يصر عليه السيد محسن الأمين العاملي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فيما أخطأ الشيخ البحراني صاحب كتاب اللؤلؤة، حين قال أنها بكسر الميم والياء المثناة بعدها[٧]. ولم يذكر أحد من علماء الدين الذين تكلموا عنها أنها ميس (الجبل). فإضافة اسم (ميس) إلى (الجبل) تم حديثاً واعتباطاً، وقد أورده روبنسون تحت اسم ميس (Meis) ثم أضاف أنها تعرف أيضاً باسم ميس الجبل (Meis El Jebel).

أسماء الأراضي وتوزيعها

ككل القرى العاملية، وكل القرى في البلاد العربية، تحمل الأرض أسماءً تميزها عن أراض أخرى لتحديد موقعها عند أصحابها. أسماء الأراضي عادة يكون بلغة أبناء البلد، لكن في ميس كثير من الأسماء الغريبة لبعض النواحي، فيما يبدو الاسم العربي بلهجة جبل عامل شائعاً في معظم نواحيها الأخرى. في الغالب يوحي ذلك الاسم بحادثة جرت فيه، أو الشكل الهندسي للأرض أو اسم شخص كان يملكه أو يزرعه. أو اسم نوع من الزروع يكثر فيه، كالبلان والزعتر والقندول... الخ.

فالذي يقف في وسط ميس حالياً ويتجه شمالاً سيمر على مرج صغير يتجه من الغرب إلى الشرق يعرف بـ«المرج الشمالي» وهو مقفل، لذلك يتحول إلى مستنقع كبير للمياه عند سقوط المطر. شمالي هذا المرج يمتد تل من الغرب إلى الشرق له حدبتان وكأنه قسمان، يسمى «الجبل» (هكذا)، وليس من علاقة بين هذا الإسم وبين إضافة كلمة جبل

إلى اسم ميس. شمالي هذا الجبل يمتد مرج آخر صغير يتجه من الشرق إلى الغرب يدعى «وادي البير»، في وسطه خلة تدعى «خلة الدحروج» نسبة إلى شخص ما. هذا المرج مفتوح من جهة الغرب في مكان يدعى «باب الوادي». إلى الشمال من وادي البير ينتصب تل مرتفع نسبياً، هو «جل العين» وفي أعلاه موقع «الجديدة»، وهي خرائب قرية كانت تحمل نفس الإسم، وكانت ملكاً لآل صعب وآل زريق وقد غادروها إلى ميس (الضيعة) في نهاية القرن الثامن عشر لأسباب مجهولة، ربما تكون بسبب الأحوال القاسية التي عانى منها الأهالي أثناء حكم الجزار. وفي «جل العين» عين الماء الوحيدة الدائمة الجريان في ميس. وهي شحيحة، خصوصاً بعد أن أقدمت قوات إسرائيلية على نسف أصل النبع والخزانات الثلاثة التي كانت موجودة منذ أزمنة بعيدة. وقد جرى النسف والتخريب ليل ٢٨ ـ ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٦٥.

شمال الجديدة تل صخري يدعى «قليعة القط» إلى غربه خلّة صغير تدعى «خلة الذيبة»، وإلى شماله مباشرة أرض «المنارة» و«تلة العباد» التي تقع بين ميس وهونين وحولا ومركبا والمنارة. إلى الغرب من «الجديدة» تسمى الأرض «المساحب» في الشمال، و«القاتلة» في الجنوب حيث تقع عين موسمية تسمى «عين ترخة»، وتتصل الأرض هناك بـ«باب الوادي» إلى جهة الغرب، حيث يبدو المكان كمرج صغير بين مجموعة من التلال.

أما إذا توجه الإنسان من وسط ميس جنوباً فإنه يصادف أولاً مرجاً يدعى «المرج القبلي» وهو يتجه من الغرب إلى الشرق، وهو مقفل لذلك يتحول الجزء الشرقي منه في الشتاء إلى مستنقع يدعى «المغاريق». وينتهي «المرج القبلي» غرباً عند البركة التي تفصل بين

«المرج القبلي» والأراضي السهلية الواقعة إلى الغرب منها بشكل مرج سهلي متواصل يعرف كل جزء منه باسم مختلف، فالقسم الذي يجاور البركة يعرف بـ«بيادر الترمس» ثم يأتي بعده إلى جهة الغرب «كروم القندولة»، ثم بعده إلى الغرب «العلمنية»، ثم بعدها «البركة الغربية» التي تنتهي في وادٍ ضيق يدعى «وادي الشحارير» وينتهي في «وادي السلوقي».

إلى جنوب «المرج القبلي» يرتفع تل كلسي يعرف بـ«درب الحورات» في الجهة الشمالية منه أما الجهة الجنوبية فتعرف بـ«البياض». وإلى غرب هذا التل ينبسط سهل هضبي يدعى «الشَرَفَة»، إلى الغرب منها يرتفع تل يعرف بـ«المجدل». هذا المكان كان مأهولاً من عائلة شحرور وعائلة الطويل، وبعض الأسر الأخرى قبل قرنين من الزمن، وقد هجروه لنفس الأسباب التي أدت بأخوانهم في «الجديدة» إلى الهجرة.

إلى الغرب من «المجدل» ينبسط سهل هضبي آخر يعرف بـ«الكُنَيْسة» حيث يوجد بقايا آثار صليبية من العصر الوسيط عبارة عن بقايا دير وكنيسة وبعض القبور. إلى الغرب من الكنيسة يقع تل يعرف بـ«الطرّاش» ويمتد على شكل هضبة صخرية وينتهي مشرفاً على «وادي السلوقي». بين «المجدل» جنوباً و«كروم القندولة» تعرف الناحية باسم «ظهر المغارة»، بسبب وجود مغارة طبيعية في الأرض تمتد إلى حوالي مائة متر تحت أرض «المجدل».

مقلب الأرض الذي وراء المجدل إلى جهة الجنوب يسمى «الصافح» وهو يشرف على مرج خصب يتجه من الغرب إلى الشرق وهو

مقفل ويتحول في الشتاء إلى مستنقع كبير ويدعى «طوفة» (من الطوفان) وأوله من موقع «الطراش» في الغرب حيث يعرف هناك بـ«كرم الزيتون» وينتهي شرقاً عند تل صخري (محتل حالياً من قبل اليهود) ويعرف بـ«كروم الشراقي».

جنوب «طوفة» ينتصب تل يعرف بـ«بو زلطة» نسبة إلى رجل من آل قاروط رفض أن يدفع ضريبة مقدارها زلطة في العهد العثماني، ونصب خيمة في ذلك التل فعرف باسمه. ومقلب الأرض لـ«بو زلطة» من جهة الجنوب يعرف بـ«البياض الجواني» تمييزاً عن «البياض» الذي يطل على «طوفة» من جهة الشمال. بعد هذه الناحية يوجد مرج صغير يعرف بمرج «نْعَيْ» وهو يتجه من الغرب إلى الشرق ومخدد في أكثر من موقع وينتهي جنوباً عند بير المزرعة أو بئر النبي شعيب. بينما ينتهي غرباً في موقع يدعى «قليعة القط» وهو نفس الاسم الذي يستعمل للتل الصخري جنوب المنارة.

من جهة الشرق يوجد تل شبه صخري هو امتداد لـ«كروم الشراقي» ويعرف في جهته الشمالية باسم «ضهر العاصي» والقسم الأدنى منه يعرف بـ«الكساير»، وهو حي سكني حديث. وفي أعلى «ضهر العاصي» علامة من علامات الحدود بين لبنان وفلسطين. ويطل «ضهر العاصي» شمالاً على مرج يتصل بـ«المرج الشمالي» ويدعى «كروم المراح» وكان مغروساً بشجر البطم، لكن معظم الأشجار قد جرى قطعها لأسباب مختلفة. إلى الشمال منه وامتداداً لـ«تل الجبل» يوجد تل صخري يدعى في جهته الجنوبية «دبشة عبد عيسى» نسبة إلى شخص، كما تعرف الجهة الشمالية والوسطى منه باسم «الدّبّاكة» وفيها حي سكني حديث.

إلى جهة الغرب من ميس يقف تل مشرف يعرف بـ«رأس الضهر» وهو ينحدر سريعاً من جهة الشمال على مرج صغير يتصل بالمرج الشمالي ويدعى «كروم العتاق» و«عين صرصر» وينتهي عند «باب الوادي» حيث يلتقي بـ«وادي البير». بينما ينحدر «رأس الضهر» ببطء نحو الجنوب حيث يسمى هناك «القرينة» التي تتصل بـ«كروم القندولة». وينقسم «رأس الضهر» غرباً إلى تلين متقابلين يعرف الجنوبي منهما بـ«القرينة» و«كروم البلايط»، بينما يعرف الشمالي منهما بـ«الريحانية» ومن هذين الموقعين يمكن مشاهدة معظم جبل عامل والجليل وأغوار الحولة وهضبة الجولان وجبل الشيخ ومناطق الشقيف والريحان. يتحول تل «كروم البلايط» بعد انخفاضه غرباً إلى تل صخري كبير يعرف بـ«الدبش» وهو موقع صخري عسير المسالك. بينما يتجه التل الشمالي الريحانية، نحو الشمال الغربي ليصبح اسمه «المفيلحة»، ثم أبعد شمالاً فغرباً يتحول إلى تل صخري يدعى «العاصي» الذي يشرف غرباً على «مرج دوبية». يفصل بين التلين، الريحانية وكروم البلايط واد يعرف بـ«خلة حسين» التي يرتفع إلى شمالها سهل هضبي يعرف بـ«خلة الخشب» يأتي بعدها إلى الشمال وادي صغير يحمل نفس الاسم حيث تلتقي بعدها بأرض المفيلحة.

الوادي الصغير «خلة الخشب»، ينتهي غرباً في وادٍ أضيق يعرف بـ«خلة فرطة» وهي شبيهة بخندق متعرج ينتهي في وادي السلوقي، أما الأرض التي ترتفع جنوبه فتعرف بـ«حوشين» من جهة الشرق و«السّآر» في الغرب، وهما سهلان هضبيان فيهما صخور كثيرة.

على أن هناك أسماء لمواقع أراضي صغيرة المساحة ضمن منطقة أوسع مثلاً:

ـ خلة الزواوي تحت المنارة لجهة الجنوب.

ـ الحوارة وهي اسم لثلاثة مواقع واحد في الجبل في الجهة الغربية منه، والثاني غربي درب الحورات والثالث في ضهر العاصي حيث يعرف بالحوارة الصفرا تمييزاً عن الموقعين الآخرين الأبيضين.

ـ في الجهة الشمالية الغربية تفصل بين ميس وحولا أرض تسمى الوادي (وادي الجمال سابقاً) وهي تمتد من الشرق إلى الغرب وتنهي في وادي السلوقي الذي يفصل بين ميس وشقرا وميس وبرعشيت. حيث تشرف عليها قلعة دوبية (دُبَيْ) (يأتي الحديث عنها).

ـ إلى الغرب من تل العاصي يقع مرج دوبية (دُبَيْ) (تقع في زاويته الشمالية الغربية قلعة دوبية (دُبَيْ) المار ذكرها، والمنسوبة إلى اسم المرج، كما تقوم خرائب مزرعة دوبية (دُبَيْ) التي كانت قرية عامرة حتى قبل قرنين وقد انتقل أصحابها إلى شقرا وأقاموا فيها، ثم انتقلت ملكية الأراضي فيها لأهالي ميس وحولا وبقي قسم منها لأهالي شقرا.

ـ تعرف المنطقة الغربية من الدبش باسم أرض المنزلة.

ـ المنحدر القادم من رأس الضهر شرقاً نحو القرية يعرف بـ«كروم العرض».

كما يوجد مواقع أخرى مختلفة الأسماء تدل على أشخاص كانوا يملكونها في زمن مجهول ككرم العنقا وكرم عبيد وتين وهبي وكروم بوعرموش وكرم الغادي وبيادر توبة وخلّة الزواوي ومرج نعي وخلّة الدحروج ودبشة عبد عيسى وكرم موسى رزق وبوزلطة ومرج دوبية وخلّة حسين، ومعظم أسماء هؤلاء مجهولة الأصل والتاريخ.

الأحراش

ليس في ميس ـ أو ما تبقى من أراضيها بعد ضم أكثر من نصف أراضيها إلى فلسطين سنة ١٩٢٣ ـ أحراش، كان في ميس قديماً (قبل أقل من قرن) حرشين كبيرين، الأول في الشرق ويمتد من أعلى التلال شرقي ميس ثم نزولاً نحو غور الحولة حتى يحاذي السهل وكانوا يسمونه العريض. وقد عمل فيه الحطابون زمناً. وبعد ضمه إلى فلسطين حسب تقسيمات سنة ١٩٢٣ قل من يعمل فيه وانحصر عدد الحطابين بثلاثة أو أربعة. وبعد سنة ١٩٤٨لم يعد من الممكن الوصول إليه.

أما الحرش الآخر فكان يقع إلى الغرب ميس. حده في أوله من جهة الشرق، شجرة بطم دهرية عملاقة كانت تعرف باسم «بطمة باب الوَعْرَة». وقد حدّث بعض المعمرين الذين رأوا الوعر في طفولتهم، أن ذلك الحرش كان من شجر الإجاص البري، وكان يمتد من البطمة إلى قلعة دوبية. وقد تمكنت فؤوس الحطابين وأنياب الماعز من القضاء عليه قضاءً تاماً، ولم يبق منه إلا ثلاث شجرات في أرض الوادي. أما البطمة العملاقة فقد هبت ريح عاتية سنة ١٩٥٨ وقلعتها من الجذور وألقت بها إلى الأرض، فكانت عبرة للناس نظراً لضخامتها وعظم جذعها. وقد أخذ الناس الاغصان العملاقة وقطّعوها للتدفأة، ولم يبق منها سوى الجذع الضخم جداً الذي تم نقله بواسطة جرار لأحد اصحاب المشاحر سنة ١٩٧١. ولا تزال المنطقة تعرف «ببطمة باب الوعرة» رغم أنه لم يبق لا بطمة ولا وعرة.

البيادر

ككل القرى في بلاد الشام، كان الفلاحون يحصدون غلاتهم ويجمعونها في الحقول ثم ينقلونها على ظهور الجمال، وفي بعض الاحيان على ظهور الحمير، إلى البيادر. والمفرد من هذه الكلمة هو بيدر.

وجود البيادر حول ميس يشبه الدائرة التي تحيط بالقرية من معظم الجهات. في الجنوب، إلى الجهة الشرقية من البركة كان يقع بيادر توبة. ويبدو أن اسمه منسوب إلى رجل أو اسم عائلة، لكن لا أحد يعرف من صاحب هذا الإسم. وبيادر توبة مقسم إلى أجزاء كانت تنسب إلى أشخاص أو عائلات تملكها أو تملك حصصاً فيها. بيادر توبة مربع الشكل تقريباً طول ضلعه حوالي ١٥٠ متراً. وقد تم البناء حوله ابتداءاً من سنة ١٩٦٨ ولا زال أكثره إلى الآن (سنة ٢٠٠٠) يستعمل كبيادر.

في شرقي بيادر توبة، وعلى الزاوية الجنوبية الشرقية لحي الضيعة يقع بيادر المغاريق. وهذا البيدر أصغر مساحة من بيادر توبة وملاكه من أهالي الضيعة (الحيين الشرقي والجنوبي). في جهة الشمال يقع بيادر المغاريق الشمالي وهو شبيه ببيادر المغاريق (الجنوبي) من حيث المساحة. وقد بدأ العمران يغزوه ابتداءً من سنة ١٩٦٤.

هذه البيادر الثلاثة لا تزال قائمة (حتى سنة ٢٠٠٠) في نفس الوقت الذي زال فيه عدد من البيادر التي كانت متوزعة حول القرية، ومن أهمها بيادر الترمس الذي يقع غربي الحي الغربي وقد بدأ العمران فيه في مطلع الستينات من القرن العشرين وسرعان ما تزايد البناء فيه حتى تلاشى وجوده كبيادر.

وفي المرج الشمالي كان يقوم بيادر خاص بآل فرحات قسم قطعاً صغيرة ثم انتقلت ملكيته بالبيع والشراء إلى مالكين جدد فاستعمل كأرض زراعية. وكان يوجد بيادر لآل عمار جنوب جبانة الغربية مباشرة يفصلها عنها الطريق العام الحديث وبعدها مباشرة لجهة الغرب كان يقوم بيادر آل رزق، وهذان الموقعان قد تحولا إلى ابنية ولم يبق ما يذكر بأنهما كانا بيادراً في يوم من الأيام. كما كان يوجد بيادر خاص بآل قبلان إلى

الجهة الجنوبية من موقع الصيرة (حالياً المدرسة الابتدائية) وقد تحول هذا البيادر إلى حي سكني مكتظ بعد سنة ١٩٦٠.

أيضاً، كان هناك عدد من البيادر تجاور بيوت أصحابها وتستعمل فقط في موسم الدراسة الذي كان يمتد أربعة أشهر أو أكثر كل سنة، بينما يتحول البيادر نفسه إلى مرعى في باقي الشهور.

وبما أن هذا الموضوع يرتبط بشكل ما بتراث شعبي وذكريات عامة كان يعيشها الفلاحون من أبناء ميس والقرى المجاورة، فمن المناسب ذكر أن كلمة «دَرَس» كانت تستعمل للدلالة على فصل الحبوب عن التبن، وكانت الوسيلة المتبعة لذلك حتى سنة ١٩٦٢ هي الوسائل القديمة التي تختصر بالثورين والنير والمورج، وهذا اسم الآلة التي تدرس الحصيد بينما تستعمل الكلمة في أماكن أخرى مثل جبل لبنان بالنون «نورج».

تسمى قطعة الخشب التي تربط المورج بالنير «ذَكَر». ويسمى الحصيد الموضوع على الأرض ليمر عليه المورج، طَرْحَة. فإذا انتهى الدارس منها جمعها بشكل هرمي، فتسمى حينئذ عَرَمَة. ثم تبدأ عملية التذرية في الهواء حتى يفصل الحب عن التبن. تُسمى قطع القش الصلبة التي حجمها أكبر من حجم قش التبن «أَصَلْ» والكلمة هكذا بالألف والصاد واللام. وتشترك بنفس المصدر مع كلمة أصيل التي تعني نبات الشعير الأخضر قبل أن يسنبل، أي يحمل سنابل. ولا علاقة بين هذه الكلمة وكلمة أصل، أو أصيل، أو أصلي التي تستعمل في اللغة العربية لمعانٍ مختلفة كلياً عن استعمالها عند الفلاحين، وربما يكون أصل الكلمة بحرف القاف: قصل، وقصيل. . . .

يستعمل الأهالي كلمتين مختلفتين للتفريق بين حصاد القمح وحصاد القطاني. فكلمة حصاد تعني في لهجتهم حصاد القمح فقط، أما القطاني فحصادها يسمى «حَلْش». وليس من الشائع لغوياً معنى لهذه الكلمة التي يستعملها العامة في بعض المعاني الأخرى للدلالة على إزالة أي شيء من أصوله.

أثناء الحصاد تجمع رزم القمح المحصود، أو القطاني في كومات، تسمى كل كومة «غُمْر». وتهيأ الأغمار لتنقل على ظهور الجمال فتشد في رزمة كبيرة جداً تسمى الواحدة منها «بَنْدَك»، فإذا كان «البندك» صغيراً بمعدل النصف سمي «أتّة» (المصدر اللغوي لهذه الكلمة غير شائع، وربما أيضاً يكون ألفها قافاً). يوضع على ظهر الجمل بندكين في كل مرة، وعندما توضع البنادك مجتمعة على البيادر اعتبر كل أربعة منها «حِمْل»، وعلى أساس الأحمال يُكَيَّل التبن أو يباع لاحقاً.

عملية الدرس المتواصلة كانت تستمر بلا انقطاع طيلة أربعة أشهر أو أكثر وتبدأ عادة بعد الإنتهاء من جمع القطاني في منتصف شهر أيار، ويستمر العمل على البيادر حتى أوائل تشرين الثاني. كان هذا العمل أشق ما في شغل الفلاحة في القرى. وربما من أجل ذلك ابتدع الدرّاسون أغنيات شعبية ذات تعابير فنية جميلة.

الينابيع

في ميس عين واحدة دائمة الجريان تقع إلى الشمال من ميس، وتسمى «العين» دون إضافة اسم آخر، ربما لأنها العين الوحيدة. كمية المياه السائلة من العين شحيحة جداً. كانت هذه العين حتى سنة ١٩٦٥ أحد المصادر المهمة لمياه الشرب، لكنها تعرضت للنسف بالمتفجرات

في تلك السنة على أيدي الجيش الاسرائيلي، فتوقفت عن الجريان طيلة عام كامل ثم عادت للانبجاس لكن بشح واضح.

وقبل أن تنسف كان النبع يجري من دهليز مبني بالحجارة وطوله حوالي العشرين متراً في داخل الأرض ويصب في جرن صخري منحوت، ومنه يفيض الماء ليصب في خزان مبني بشكل قبو كبير مكعب الشكل كانوا يسمونه العين الفوقا، ومنه تسير المياه في حال فيضانه إلى خزان آخر يجاوره منحدراً عنه يسمونه العين الوسطى، فإذا فاض الثاني أيضاً، فإن المياه تجري في قناة ضيقة تشبه نفقاً صغيراً، مغطى بحجارة منحوتة، وينتهي في خزان على مسافة خمسة وعشرين متراً، موقعه في أول سهل العين وكان يدعى العين التحتا. وقليلة هي السنين التي كان يتجمع الماء في هذا الخزان.

بعد نسف العين من قبل الإسرائيليين قامت البلدية بإعادة بنائها بخزاناتها الثلاثة بالاسمنت والحجارة تقريباً كما كانت، وهو الشكل الذي لا زال موجوداً إلى الآن (سنة ٢٠٠٠).

بالإضافة إلى العين يوجد في نفس التل إلى الغرب من العين نبع آخر يسمى عين ترخة وهو يجري حتى أواسط الصيف كل سنة، وتتجمع مياهه في حفرة طبيعية ولا يستفاد منها.

إلى الشمال الغربي من ميس مكان يدعى عين صرصر يعتقد انه كان عيناً جارية فيما مضى ولكن عوامل ما قد أوقفت جريانها. وقد تم اكتشاف بعض الآثار في نفس الموقع المفترض للعين، ولكنها ليست آثار ذات بال، وليس لها أهمية تاريخية تذكر.

على مسافة ثلاثة كلم ونصف إلى الجنوب من ميس يقع نبع في

قاع بئر مبني بالحجارة والطين يدعوه الناس بير المزرعة. والبعض يسميه بير النبي شعيب. يزعمون أن النبي شعيب كان يعيش في بليدا، ربما لأنهم يجدون علاقة بين اسم بليدا القريب من اسم بلدة وبين اسم مدين القريب من لفظة مدينة.

النبع موجود إلى الشرق من قرية بليدا، في موقع يشكل نقطة التقاء بين أراضي ميس وأراضي بليدا، وفي سنوات الشح والقحط كان الناس من ميس ومن بليدا أيضاً، يتهافتون عليه للحصول على مياه الشرب. ونظراً لأن كمية المياه في هذا البئر لا تكفي للجميع فإن البئر تحول إلى باب للصراع بين أهالي القريتين.

في سنة ١٩٧٤ وضع الجيش الإسرائيلي الأسلاك الشائكة حول البئر وزرع المنطقة بحقل ألغام مما منع الناس من الاقتراب منه وظل كذلك حتى تحرير المنطقة سنة ٢٠٠٠ فجرى ابعاد الإسرائيليين وأسلاكهم الشائكة وحقول ألغامهم عن البئر الذي لم يعد هناك حاجة فعلية له في الزمن الحالي.

في سنة ١٩٥٨ أوصلت الحكومة اللبنانية أنابيب المياه من مشروع الليطاني للشرب إلى خزان القرية الذي بني في نفس السنة في رأس الضهر إلى الغرب من ميس، وفي السنة التالية بدأت المياه تتدفق في «الحاووز»، وصار بامكان الأهالي الحصول على المياه منه مباشرة. كان إيصال الماء يتم مرة في الأسبوع أو مرة في الأسبوعين. وفي سنة ١٩٦٠ توقف الضخ إلى القرى المرتبطة بالمشروع أكثر من شهرين متعاقبين، فسارت مظاهرة من المدرسة، وكانت ابتدائية فقط، إلى مخفر الدرك تطالب بالمياه للشرب. وقام رقيب المخفر باجراء اتصال بجهاز

اللاسلكي الذي كان يستخدم في تلك الآونة بالسلطة المختصة، وحصل المتظاهرون على وعد قاطع بتنفيذ مطالبهم، فعادت المياه في تلك الليلة تتدفق في الحاووز.

سنة ١٩٦٢ جرى وضع الأنابيب في الأحياء كلها وفي نفس السنة بني عدد من السبل (جمع سبيل) لكل مجموعة بيوت (بين عشرة وعشرين) وصارت المياه تصل إلى الأحياء، وفي السنة التالية جرى إيصال مياه الشرب إلى كل البيوت.

البئر الارتوازي

حاولت الحكومة اللبنانية منذ أمد بعيد الحصول على مياه جوفية في القرية، ففي الأربعينات أرسلت بعثة للاستكشاف في المنطقة، وقد توصلت تلك البعثة إلى قرار شبه حاسم بأن بقعة ما في المرج الشمالي هي منفذ إلى بئر ارتوازي غزير. فوضعوا علامات على البقعة المقررة، وبوشرت عملية الحفر التي تمت يدوياً، وبعد أن وصل العمق إلى حوالي العشرين متراً توقف الحفر لسبب غامض وانسحب المهندسون وصرف النظر عن المشروع، فاستعاد أصحاب الأرض أرضهم وطمرت الحفرة فعادت بقعة الأرض كما كانت، وذهب الجهد سدى.

وفي سنة ١٩٧١ أرسلت الحكومة بعثة للاستقصاء عن المياه الجوفية فقررت عدم وجود مياه في ميس أو حولها.

في سنة ١٩٩٦ قررت بعثة حكومية جديدة وجود مياه في موقع تحت العين (وادي البير) فجرى الحفر في ذلك الموقع بصورة شكلية ثم رفع تقرير ينفي وجود المياه في تلك البقعة. لكن في سنة ١٩٩٧ وبجهود كثير من الأيادي الخيرة تم الكشف عن بئر ارتوازي عذب في

منطقة البركة الغربية غزير المياه حيث بدأ استثماره وتوزيع مياهه على القرية. ويعتبر هذا البئر بحق، أحد المنجزات المهمة في ميس.

البركة

ربما يكون وجود البرك الاصطناعية سمة تميز كل قرى بلاد الشام، البركة باختصار، سد لحجز مياه الأمطار شتاءً من أجل استعمالها صيفاً. الفكرة بسيطة جداً وكانت مطبقة في معظم القرى، وكل قرية تتفاخر على القرى التي حولها بحجم بركتها وعمقها، وربما ورث العامليون فكرة إنشاء البرك «السدود الصغيرة» عن أجدادهم اليمنيين.

بركة ميس موجودة منذ دهر طويل، لا أحد من معمري القرية يعرف من أنشأها أو متى، كانت موجودة واستمر هذا الوجود. وصفها الرحالة روبنسون أثناء مروره في ميس في منتصف القرن التاسع عشر بأنها مجمع لمياه الأمطار تستعمل لسقي البهائم، وأن ماءها يستعمله السكان أيضاً[٨].

ما كان يطرأ على البركة هو أن الأوحال التي تجرفها الأمطار والسيول كانت تتراكم فتجعل البركة أقل عمقاً وبالتالي أقل استيعاباً للمياه. فارتأى وجهاء ميس، منذ زمن بعيد، أن يقوم الأهالي كلهم بتنظيف البركة سنوياً. كان موعد التنظيف يتم بعد جفاف البركة في أوائل الخريف، وعادة بعد انتهاء البيادر. عند ذلك يتوجه كل الرجال والنساء إلى البركة ويبدأون بعمل قد يستغرق أسبوعاً أو أكثر فينقلون التراب والأوحال من وسط البركة إلى أطرافها، كل عائلة كانت تتجمع مع وجيهها أو من تحالف من العائلات الكبرى، على البركة، ترتفع البيارق والرايات التي كانت تستعمل رموزاً وشعارات للعائلات، وتغنى

الأغنيات الحماسية التي تمدح العائلة وزعيمها. مدة العمل في تنظيف البركة كان يعتبر هدنة بين العائلات التي كانت تتصارع على النفوذ في القرية، فكان ذاك الموسم شبيه بالأشهر الحرم عند عرب الجاهلية. أما التراب الذي يرفع من البركة فكان يوضع عند حافاتها الثلاث الشرقية والغربية والشمالية. وقد ترك منفذين من جهتي الشمال والجنوب. بمرور الوقت تراكم التراب حول البركة بشكل دائري. ودعي هذا التراكم تلال (جمع تل). ولم يكن هناك مشكلة لأن الأراضي المحيطة بالبركة لم يكن لها أهمية من جهتي الشرق والجنوب، أما من جهة الغرب فإن أصحاب الأراضي كانوا يزرعونها بالأشجار البعلية كالتين والعنب، وهي بعيدة نسبياً عن البركة، وأعلى منها باتجاه المجدل (تل إلى الجنوب الغربي من ميس). وفي الجهة الشمالية كان آل الطويل وأنسبائهم آل وهبي يملكون الأراضي إلى مسافة قريبة من حدود الماء وهؤلاء، أي آل وهبي ورثوا حصة أقربائهم آل الطويل بعد فناء آخر بيت من أولئك في الحرب العالمية الأولى. وعندما بني الحائط الذي يحيط بالبركة اعتبرت الأراضي التي في داخله مشاعاً للبركة.

كانت الأرض التي وراء حائط التل في الجهة الشرقية طريقاً دولية عريضة في العهد العثماني، وقد جرى الإستيلاء على أجزاء من هذه الطريق بالتدريج حتى ضاقت واصبحت بالكاد تسمح اليوم بمرور السيارات، لقد أهملت تلك الطريق خاصة بعد أن تحولت الطريق العام إلى شمالي البركة أثناء فترة الإنتداب الفرنسي على لبنان.

هناك كثير من الحكايات التي تتعلق بالبركة وما كان يجرى حولها. فمما يحكى أنه قبل قرنين من الزمن، كان يقيم في ميس ثلاث عائلات مسيحية، في الغربية جنباً إلى جنب مع العائلات المسلمة التي كانت

تعيش في الحي. وبما أن البركة كانت ملكاً جماعياً لأهل ميس فقد كان للمسيحيين نفس الحقوق في استعمال المياه التي للمسلمين. لكن، نظراً لأحكام الشريعة بالنسبة للطهارة والنجاسة عند الشيعة، أو ربما لأسباب اقتصادية لا علاقة لها بالدين، قسمت البركة قسمين، بين أبناء الملتين. حصة المسلمين كانت في الجهة الشمالية وحصة المسيحيين تقابلها. وقد ارتحل النصارى عن ميس بعد انشاء متصرفية جبل لبنان، لكن حصتهم من البركة لم ترحل معهم، فظل القسم الجنوبي من البركة يعرف ببركة النصارى حتى جرف البركة وتوسيعها سنة ١٩٦٦.

الطرق

ميس مربوطة تاريخياً بما حولها بمجموعة من الطرق جرى عليها تغيير وتعديل في فترات متلاحقة، رغم أن الأصل لا زال واضحاً.

في القديم، ربما في العهد المملوكي، أو ربما قبل ذلك، كانت الطريق تتوجه من ميس جنوباً نحو صفد، وهي مركز النائب (الحاكم) أيام حكم المماليك، فتمر قرب بير النبي شعيب ثم تنزل إلى قدس، ومن هناك تتجه الطريق إلى طبريا. لكن هذه الطريق كان يتفرع منها فرع ينطلق نحو بليدا من منطقة الصافح وهو المقلب الجنوبي للمجدل. ومن بليدا كانت الطريق تتابع إلى المالكية.

وهذه الطريق هي كما يبدو نفس الطريق العربية القديمة التي كانت تستعمل في العهود الإسلامية العربية الأموية والعباسية عندما كانت قدس قصبة جبل عامل. وربما أيضاً هي نفسها الطريق التي كانت تربط المنطقة بقدس في العهد الروماني ـ البيزنطي.

عندما تدخل الطريق إلى ميس من ناحية الجنوب (من طوفة) كانت

تمر في الشرفة ثم إلى الجهة الشرقية من البركة على طرف بيادر توبة الغربي ثم تنحرف شرقاً فتمر قبل بيوت القرية في طرف المرج القبلي إلى الجنوب مباشرة من مقبرة آل القاروط، وتتابع شرقاً حتى مقبرة الشيخ إبراهيم حيث تنحرف من هناك شمالاً مروراً بكروم الشَّراقي فالدّباكة فكركزان فالمنارة فهونين. هكذا كانت الطريق في سنة ١٨٣٥ أثناء حكم إبراهيم باشا المصري حيث حاولت فصيلة من جيشه إدراك بعض المتمردين، فتوقفت في مكان يفصل حي الضيعة عن مقبرة الشيخ إبراهيم وانتظرت هناك ليلة تامة. وظلت هذه الطريق تستعمل كمعبر من بنت جبيل إلى هونين خاصة بعد أن سكن حسين السلمان (من آل علي الصغير) في بنت جبيل وكان حاكماً على مقاطعة جبل هونين. وبعد وفاته في بنت جبيل أصبح ابنه تامر الحسين حاكماً في نفس المقاطعة فكان يسلك نفس الطريق، وفي سنة ١٨٤٨ توفي تامر الحسين السلمان أثناء مروره في ميس فدفن إلى جانب الطريق غربي مقبرة الشيخ إبراهيم[٩]. مكان القبر اليوم في الجهة الشرقية من ميس مقابل مقبرة الشيخ إبراهيم وعليه بناء حجري جرى محو الكتابة عنه بشكل تخريبي.

وهذه الطريق سلكها الرحالة روبنسون حتى وصل إلى جورة الغسيل، الحد الفاصل بين حيّي ميس الغربية والضيعة، حيث بات ليلته، وقال بأن الطريق من عكا إلى حاصبيا تمر هناك، وتابع طريقه منها متوجهاً نحو هونين[١٠].

في فترة لاحقة جرى تحويل الطريق من عند مقبرة آل القاروط (المجراية) باتجاه الشمال دون المرور على مقبرة الشيخ إبراهيم، وصارت الطريق تتجه بين حيّيّ ميس في جورة الغسيل ثم تنزل في طريق العقبة، وهي طريق إلى الغرب من جامع أبي ذر، نحو المرج الشمالي،

فتعبره حتى تلتقي بالطريق القديمة في أول كروم المراح قبل الدبشة المنسوبة إلى عبد عيسى شمال ميس.

أما إلى جهة الغرب فكانت الطريق من ميس إلى شقرا، القرية التي تقع إلى الشمال الغربي من ميس على مقربة من قلعة دوبية، تمر عبر البقعة المسماة بطمة باب الوعرة وتتجه غرباً مروراً بالعاصي ثم بمرج دوبية، وتهبط هناك إلى وادي السلوقي لتصعد منه في عقبة شقرا. وفي وادي السلوقي كانت الطريق الأساسية التي تربط مدينة صفد ببلاد الشقيف عبر وادي الحجير ومنه إلى القعقعية. وعلى هذه الطريق وقع كثير من الحروب المحلية بين زعماء العائلات العاملية في عهدي المماليك والعثمانيين.

الطريق من ميس إلى بنت جبيل كانت تبدأ بمفترق قرب البركة وتتجه غرباً عبر كروم القندولة حتى بركة اليابسة ومن هناك تتجه جنوباً فجنوب ـ غرب حتى شرقي مزرعة محيبيب، ثم تتجه غرباً حتى تمر في الوادي إلى الشرق من قرية كونين ومن هناك صعداً إلى أول قرية عيناثا فبنت جبيل.

في سنة ١٩٣٤ رسمت السلطات المختصة تصميماً جديداً للطريق العامة هو ذاته الطريق المعبدة حالياً، وقد جرى شق الطريق بالمعاول. لقد اهتم المهندسون الفرنسيون واللبنانيون بمرور الطريق في الأراضي اللبنانية دون أن تخترق الحدود التي رسمت بين لبنان وفلسطين سنة ١٩٢٣. هكذا لم تمر الطريق جنوباً على بئر المزرعة نحو قدس، ولا شمالاً على المنارة نحو هونين، بل مرت في بليدا جنوباً وفي حولا شمالاً ولم يبق هناك طريق تربط بليدا بالمالكية بل اتجهت من بليدا إلى عثرون.

بالمقابل ظلت الطريق إلى شقرا غرباً بلا تعبيد لأسباب مجهولة، رغم أنها تختصر مسافة تصل إلى ثلاثين كلم بين القريتين، وكانت السلطة اللبنانية (قبل الحرب الأهلية) دائماً تعطي ذرائع مختلفة لعدم تعبيد الطريق. وبعد التحرير العظيم سنة ٢٠٠٠ تم شق الطريق ورصفها وتعبيدها وأصبحت صالحة لسير السيارات عليها، وقد تم الشق والتعبيد في مدة لم تتجاوز أسابيع قليلة.

هوامش الفصل الثاني

١ - E, Robinson. Biblical researches in Palestine and the adjacent regions p369.

٢ - مصطفى الدباغ، فلسطين بلادنا، ج ٦ ق ٢ ص ١٥٩

٣ - E, Robinson. p369.

٤ - أنيس فريحة، معجم أسماء القرى اللبنانية، ص ١٧٨

٥ - E. REY: Les colonies Franques en syrie aux XII et XIII siecles. pp490.

٦ - نفس المصدر السابق

٧ - يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين، ص ١٧٠

٨ - E, Robinson. p369.

٩ - أعيان الشيعة، ج ٤ ص ٢٠

١٠ - E, Robinson. p369.

الفصل الثالث:

تاريخ ميس

تمهيد تاريخي

أبو ذر الغفاري في ميس

ميس العربية والقلعة الصليبية

الآثار في ميس

قلعة دوبية (دُبَي)

طريق ابن جبير

التعليم الديني في جبل عامل

مدرسة ميس

علماء ميس المشهورون

تمهيد تاريخي

ليس لميس أهمية خاصة، وليس لها موقع استراتيجي خطير ليطمع بها الطامعون، ولم تبلغ من الاتساع ما يجعلها تصبح مدينة لا قديماً ولا حديثاً. لقد كانت ميس ولا تزال قرية كبيرة كثيرة السكان قياساً إلى باقي القرى في المنطقة.

ولا شك أن ميس كانت موجودة في فترة موغلة في القدم، ربما في عصور الحضارة الأولى حيث يمكن التثبت من ذلك من الآثار الكثيرة والمتنوعة فيها.

وليس في الآثار الكثيرة والقديمة ما يثبت لميس إسماً قديماً، أو على الأقل لم يكتشف إلى الآن ما يثبت ذلك، فليس في الآثار الموجودة كتابات معينة. ربما لأنه لم يجرِ التنقيب عن الآثار في المنطقة بشكل علمي، الكلمة الوحيدة التي وجدت مكتوبة في خرائب الكُنَيْسة (تقع إلى الغرب من ميس على طريق محيبيب) هي كلمة (KYPTS) وهذه كلمة لاتينية تدل على المدافن، ويبدو أن الذين نقلوا الصخرة التي كتبت عليه هذه الكلمة لم ينتبهوا إلى وجود مقبرة في الناحية، كل ما كان مشهوراً بين الناس أن هذه البقعة من الأرض تدعى «قبر النصراني». وفي ذلك دليل كاف على نوع السكان الذين كانوا يعيشون في تلك البقعة في زمن ما، الأرجح أنه الحقبة الصليبية.

أبو ذر الغفاري في ميس

لعل أقدم اسم ارتبط بوجود ميس في التاريخ هو اسم الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، لكن الآثار التاريخية التي تحدثت عن أبي ذر ووجوده في الشام منفياً أو مرابطاً أو محارباً لم تذكر اسم ميس صراحة وإنما ذُكرت ميس عند مؤرخي الشيعة خاصة العامليين منهم، في زمن لاحق.

لقد ارتبط اسم ميس ومن ثم اسم جبل عامل، باسم الصحابي أبي ذر وكأنهما كانا معه على قدر فجاءه متمماً أمراً لا بد من اتمامه.

كان أبو ذر يحمل عقيدة الولاء لعلي وقد تشربها قلباً وعقلاً، وآمن بحق علي حتى أصبح هذا الإيمان طابعاً له وتعبيراً عن جزء مهم من عقيدته الدينية، فالخلافة كما بشر وكرر أبو ذر وصية رسول الله ﷺ إلى علي عليه السلام أدلى بها على ملإٍ من الناس يوم غدير خم في حجة الوداع.

لكن ما حدث في المدينة بعد وفاة الرسول قد قلب الأمور، وتبدلت الأسماء، وولي الخلافة قرشي آخر غير علي، على غير ما أوصى رسول الله ﷺ، فآثر تقليد مولاه علياً في السكوت، وعدم إثارة الأمور أمام الخلافة الناشئة، لمصلحة استقرار الدولة، حتى يقوى الدين وتستقر الدعوة.

بداية وجود أبي ذر في الشام، كان عن طريق التحاقه بجيوش الشام، فقد كان أبو ذر أحد المقاتلين المسلمين الذين التحقوا بجيش الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح. وبعد أن أتم الجيش العربي سيطرته على بلاد الشام أقام المقاتلون في قلاع وحصون وأبراج كانت تعتبر

مراكز مرابطة. كان العرب يستعملون للتعبير عن المراكز العسكرية كلمات متخصصة كقلعة، وبرج، وحصن، و. . . مجدل. وهذه الكلمة الأخيرة قد استعملت فقط في العهد العربي الإسلامي ٦٣٦ ـ ١٠٩٩. لذلك يجب أن يكون واضحاً أن وجود موقع في ميس يسمى «المجدل» يعني أن مركزاً عسكرياً عربياً كان موجوداً في نفس المكان. وسيكون من الممكن العثور على آثاره لو جرى التنقيب يوماً ما عنه.

استقر أبو ذر في الشام مع جيش الفتح، وكان مسجلاً في ديوان الجند (جند الشام) ويتلقى عطاءه من هذا الديوان. ومن الشائع عند علماء الشيعة تاريخياً، خصوصاً العامليين منهم، أن أبا ذر قد أقام في موقعين، الأول في قلعة الصرفند، وكان موقعها في مكان ما قرب شاطىء الصرفند وقد تهدمت كلياً في حوادث طبيعية مما دفع الفاطميين أثناء حكمهم للشام ٩٧٣ ـ ١٠٩٩ إلى إقامة قلعة بديلة عرفت باسم منشأها أبي الحسن علي ابن الحاكم بأمر الله (قلعة أبي الحسن) حيث أقام الصليبيون في زمن لاحق قلعة عرفت بقلعة الصرفند، بينما أقاموا على آثار القلعة العربية القديمة ديراً سموه دير القديس إيليا.

أما المكان الآخر الذي رابط فيه أبو ذر فهو بلا شك ميس. كان الموقع العسكري العربي موجوداً في ما يعرف اليوم بـ«المجدل»، لكن العرف الشائع يخبر أن أبا ذر قد أقام في المكان الذي بني فيه مسجد أبي ذر.

قد يكون هناك تبرير منطقي لإقامة أبي ذر في ذلك المكان وهو وجود موقع عسكري آخر على شكل حصن صغير، وموقعه إلى الجنوب مباشرة من موقع مسجد أبي ذر الحالي، وما يزيد في القناعة بذلك هو إقدام الصليبيين على إعادة بنائه واتخاذه موقعاً عسكرياً لهم.

لقد أقام أبو ذر منذ البداية (في حدود سنة ٦٣٦) في ميس التي تشرف على الأردن وتقع قريباً من مركز كورة قدس، التي ربما كانت ميس تتبع إدارياً لها، قبل أن تنشأ قلعة في هونين. ومن ميس راح أبو ذر الصحابي يحدث، ويعلم الناس من حوله، حتى استطاع في السنوات الطويلة التي قضاها في المنطقة من تطويع الناس لعقيدته في الولاء لعلي والتشيع له. وهكذا أصبح جبل عامل وميس أصلاً، أول بلاد الدنيا تشيعاً، فكان أهل جبل عامل الأسبق للانتماء إلى مذهب أهل البيت، حتى قيل أنه لم يسبق أهل جبل عامل إلى التشيع إلا جماعة محصورون من أهل المدينة[١].

كانت المدة التي قضاها أبو ذر في الشام موضع جدل واسع، فقد توهم كثيرون، خصوصاً مؤرخو جبل عامل، أن أبا ذر لم يأت إلى الجبل إلا زائراً مرتين، الأولى بعد الفتح حين جاء مرابطاً فأقام أقل من سنة في الصرفند، والثانية حين نفاه أو سيره عثمان إلى الشام مباعداً له عنها، فجاء إلى ميس وأقام فيها حتى طلبه معاوية إلى دمشق. ثم شاور فيه عثمان فأمره بإرساله إلى المدينة حيث نفاه إلى الربذة.

هذه المقولة لا تبدو صحيحة وليس لها مصداقية تاريخية، فأبو ذر رحمه الله كان من مقاتلة الفتح المسجلين في ديوان الشام، كما مر، وعليه فإنه كان يجب عليه أن يبقى في موقعه العسكري منتظراً لأوامر الوالي - القائد العام للجيش في الولاية. وكان أبو ذر يزور المدينة في بعض السنين حاجاً أو معتمراً فيستأذن عثمان في البقاء قليلاً في المدينة مجاوراً لقبر الرسول صلى الله عليه وآله فيأذن له ثم يعود فيلتحق بديوانه في الشام.

ويبدو أن تاريخ مغادرة أبي ذر للمدينة إلى الشام قد أصبحت دائمة بعيد موت أبي بكر، حسب رواية يسوقها ابن كثير دون سند فيقول:

«. . .ثم لما مات النبي ﷺ ومات أبو بكر خرج إلى الشام (أي أبو ذر) فكان فيه حتى وقع بينه وبين معاوية فاستقدمه عثمان إلى المدينة ثم نزل الربذة فأقام بها حتى مات في ذي الحجة من هذه السنة (٣٢/ ٦٥٣)»[٢].

بقاء أبي ذر في الشام هذه المدة يجد سنده أيضاً في رواية نقلها ابن الأثير في تاريخه تجعل أبا ذر من الذين شاركوا في الصائفة سنة ٢٣/ ٦٤٤ بقيادة معاوية بن أبي سفيان، كما شارك تحت إمرة معاوية أيضاً في الحملة البحرية لفتح قبرص سنة ٢٨/ ٦٤٩[٣].

لقد ظهر خلاف أبي ذر مع عثمان إلى العلن بعد سنة ٢٩/ ٦٥٠، بعد انتهاء موسم الحج تلك السنة، فأمره عثمان بالالتحاق ببريده في الشام، فعاد إلى كورته، وهي على ما يبدو كورة قدس (أو كورة آبل) التابعة لولاية الأردن، فألب الناس كأشد ما يكون التأليب، فاستدعاه معاوية إلى دمشق سنة ٣٠/ ٦٥١ ووضعه تحت أنظاره فصار أقرب إلى الناس في قلب العاصمة من وجوده في ميس في أعالي جبل عامل، مما جعل معاوية يخشى منه على استقرار البلاد «فبعث في أمره إلى عثمان الذي أمره أن يحمله على أغلظ مركب وأوعره»[٤]. وقد نقل ابن أبي الحديد ذلك عن روايات متعددة للواقدي والجاحظ والجوهري وعدد من أرباب السير، وفي روايته عن الواقدي ينقل حديثاً لأبي الأسود الدؤلي يقول فيه عن أبي ذر أنه قال عندما سأله إن كان خرج من المدينة طائعاً أم منفياً: «كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغني عنهم، فأخرجت إلى المدينة. . .»[٥]. ووجود المقاتل المسلم في ثغر من الثغور كان يعني انتماءه إلى ذلك الثغر، فقد عرف مقاتلة العراق بالعراقيين ومقاتلة مصر بالمصريين. . . إلخ.

وعليه فإن أبا ذر كان شامياً عاملياً أقام في جبل عامل بشكل مستمر أو متقطع من سنة الفتح الأولى ١٤/ ٦٣٥ حتى إخراجه مرغماً إلى المدينة سنة ٣٠ أو ٣١ حيث نفي مباشرة إلى الربذة فمات فيها. فمدة بقائه في الشام، وجبل عامل تحديداً، يزيد عن ١٦ سنة.

ميس العربية والقلعة الصليبية

بعد سيطرة المسلمين العرب على بلاد الشام جرى تقسيمها إلى أربع ولايات وهي دمشق والأردن وحمص وفلسطين. وفي فترة لاحقة جرى إنشاء ولاية خامسة عرفت بولاية قنسرين.

ويعود الفضل للخليفة الثاني عمر بن الخطاب في تمصير الشام وتنظيمه، فقد زار عمر الشام أربع مرات، وفي زيارته الأخيرة وضع التنظيمات الإدارية لولايات الشام(٦). التي استمرت كما نظمها حتى سنة ١٠٩٩ عند اجتياح الفرنج للبلاد.

كانت عاصمة ولاية الأردن مدينة طبريا وتتألف الولاية من عدد من الكور (ما يشبه القضاء في هذا العصر) وهذه الكور هي: كورة طبرية، كورة السامرة، كورة بيسان، كورة فحل، كورة جرش، كورة بيت راس، كورة جدر، كورة آبل، كورة سوسية، كورة صفورية، كورة عكا، كورة قدس، كورة صور(٧). وحسب هذه التقسيمات فإن ميس كانت تتبع إحدى الكورتين قدس أو آبل. موقع قدس (حالياً محتلة من قبل اليهود منذ سنة ١٩٤٨) هو على مسافة ستة كلم تقريباً جنوب ميس، بينما تقع آبل (وهي قرية آبل القمح، وهي أيضاً محتلة من قبل اليهود منذ سنة ١٩٤٨) على مسافة مساوية شمال ميس (حوالي ستة كلم). ويمكن ترجيح تبعية ميس لكورة آبل بعد خراب قدس بسبب الزلازل،

وربما من أجل ذلك جرى ربط ميس لاحقاً بقلعة هونين التي بنيت على مسافة تقل عن كيلومترين من قرية آبل.

وليس هناك من أثر مختص يحدد شكل العلاقة بين السكان العامليين وبين الولاة وأساليب التعامل بين الطرفين، ولكن ما هو شائع في التاريخ العربي الإسلامي، أن الفلاحين المسلمين الذين استمر وجودهم في البلاد بعد الفتح كانوا يدفعون طسق أراضيهم وهي ضريبة تساوي خمس انتاج الأراضي المروية وعشر الأراضي البعلية بعد حذف كلفة الزرع. وقد تبدل هذا النظام في عهد دولتي الإخشيديين والفاطميين، ليتحول إلى شكل استبدادي يقوم على أساس الضمان الذي تسلم الولاية بكاملها بموجبه إلى أمير مقابل جزية سنوية مقطوعة.

ظلت ميس تابعة لكورة آبل حتى خراب هذه القرية لأسباب مجهولة في منتصف القرن الحادي عشر، وكانت قدس قد خربت قبل ذلك بوقت غير بعيد، وتبدو المراجع التاريخية التي تتحدث عن هذه الحقبة قليلة جداً ولا تعطي صورة واضحة عن الإدارة في جبل عامل، سوى ما يقال عن مدينة صور وحصانتها وأهميتها.

سنة ١٠٩٩ دخلت جيوش الصليبيين إلى البلاد وتوجهت مباشرة إلى مدينة القدس فاستولت عليها وفتكت بمعظم سكانها حيث قتل فيها سبعون ألفاً بعد أن أسلمتها حاميتها المصرية. وبعد أن أتم الصليبيون السيطرة عليها شرعوا في السيطرة على المناطق المجاورة، فدخلوا مدينة طبريا سنة ١١٠٠ وحولوها إلى مركز إمارة تماماً كما كان العرب قد فعلوا، وأطلقوا على تلك الإمارة إسم إمارة الجليل «La princee de Galilee». ثم شرعوا يتوسعون منها شمالاً وغرباً فاستولوا على المنطقة

المحيطة بميس حوالي سنة ١١٠٣. وفي سنة ١١٠٥ شرعوا في بناء قلعة تبنين التي دعوها طورون (Toron) كان صاحب قلعة تبنين وبانيها الكونت هيو دي سانت أومير (Hugues de Saint - Omer) الذي تسلم إمارة الجليل في نفس الوقت الذي بنى فيه قلعة تبنين، مما أوحى لكثيرين أن تبنين تقع في دائرة إمارة الجليل، وهذا خطأ كبير. فهيو دي سانت أومير قد حكم منطقتين منفصلتين وبعد وفاته وجد لكل منهما حاكم خاص. كما أن إمارة الجليل حسب المؤرخين الصليبيين كان يحدها من جهة الشمال خط يمتد من نقطة تدعى التلول جنوبي بحيرة الحولة، ومن هذه النقطة يتجه الخط غرباً عبر وادي أيوبة حتى يمر شمالي جبل الجرمق على موازاة قرية كفربرعم وينتهي عند البقيعة عند الشاطىء(٨). وهذا الحد هو تقريباً في الجزء الغربي منه يشكل خط الحدود الطبيعي المعروف بين جبل عامل وجبال الجليل عند وادي القرن وامتداداً حتى بحيرة الحولة.

حُكم الصليبيين للبلاد التي سيطروا عليها كان يتم من خلال عدد من الحكام الإقطاعيين الذين يقيمون في بعض القلاع والحصون والقصور الإقطاعية، كانت مملكة القدس اللاتينية بكاملها مقسمة إلى أربع إمارات وإثنتي عشر مقاطعة من بينها مقاطعة صور ـ عكا ومقاطعة تبنين. وكانت كل مقاطعة مقسمة إلى نواحي. عدد هذه النواحي كان غير واضح الحدود بسبب تبدل الإدارة باستمرار بحيث ينشأ نواح جديدة وتختفي أخرى.

كان يتبع حاكم تبنين ناحية هونين (Le chateau neuf)، وناحية الصبيبة وبانياس (L'Assebebbe et Belinas)، وناحية مارون وموقعها مكان خرائب قرية مارون الركبة (Le Maroun)، وهي غير ناحية مارون

(الغرب) التي كانت تتبع إدارياً لمدينة صور والواقعة على مقربة من قرية دير كيفا.

بنى قلعة مارون (الركبة) النبيل غي دي سكاندليون (Gui De Scandalion) ثم بنى مجموعة من الحصون التي شكلت ناحية مارون وعددها ثمانية حصون أولها (Le Maroun) صاحب الإسم، ثم حصن (Quabriquem) قبريخا، وحصن (Belide) بليدا، وحصن (Cades) قدس، وحصن (Lahare) حاريص؟، وحصن (Mees) ميس (الجبل)، وحصنان باسم المغارتين (Les deux mageras)[٩].

كانت هذه الحصون أولاً من أملاك سكاندليون كما مر، وقد تم نقل ملكيتها للبارون جوسلين الثالث ابن آخر حكام الرها من الصليبيين بالإضافة إلى نواح أخرى مثل تبنين وهونين وناحية السان جورج دي لاباين قرب عكا، ومنطقة قصر الملك التي تشمل منطقة الشعب وجزء من شمال المنطقة التابعة لعكا وليس لإمارة الجليل. وعندما مات الكونت جوسلين ترك بنتين فاقتسمتا هذه المنطقة ثم جرى بيعها على مراحل فاشترى معظمها الفرسان التيوتون الإلمان في شهر نيسان سنة ١٢٢٩ بسبعة ألاف بيزان صوري[١٠].

بالنسبة لقلعة هونين أي ما كان يعرف بالقلعة الجديدة (Le chateau neuf) فقد جرى بناؤها سنة ١١٧٩ في مكان يشرف على سهل الحولة وعلى مجرى نهر الحاصباني. بانيها هو الكونت همفري الثالث صاحب تبنين، وتحولت فوراً إلى مركز ناحية كانت تتبع صاحب تبنين، ثم قدمها للملك بودوان الرابع، ومن ثَمَّ قُدِّمَت للكونت جوسلين الثالث. وبعد سنوات قليلة أي سنة ١١٨٧ سقطت هذه القلعة وملحقاتها بأيدي

المسلمين. وقد ألحق بقلعة هونين قلعتان هما قلعة (Sophie) التي اشتراها الكونت جوسلين من الفيكونت (Petronille) حاكم عكا. كما تبع قلعة هونين حصن ميس (الجبل) مدة من الزمن بين انشاء هذه القلعة سنة ١١٧٩ وبين استسلامها لصلاح الدين في كانون الأول سنة ١١٨٧[١١].

موقع حصن ميس في الحي الشرقي، شكله كان شبيهاً بالحصون الصليبية الصغيرة حيث يتخذ شكل مستطيل طول اضلاعه سبعين إلى ثمانين متراً طولاً وأربعين إلى خمسين متراً عرضاً. والمساحة المتأتية عن ذلك تجعل الحصن يبدو صغيراً نسبياً ويبدو شبيهاً بقصر إقطاعي كبير ومحصن. ويمكن تقدير موقع الحصن بالضبط في المنطقة الواقعة على طرف الجامع الكبير ومن هناك غرباً مسافة تقدر بين سبعين إلى ثمانين متراً ثم يتجه الجدار شمالاً حتى الطريق التي تفصل حرم جامع أبي ذر عن البيوت ومن هناك شرقاً بنفس طول الضلع الجنوبي. يمكن الاستناد إلى بقايا حصن بليدا في تقدير شكل حصن ميس، فحصن بليدا لا يزال جزء منه قائماً إلى الآن في مسجد بليدا الذي بني على بقايا جزء من الحصن، ثم نقل إليه بعض الحجارة المزخرفة من موقع الخربة القريبة من قرية قدس.

كان حصن ميس والحصون التابعة لناحية مارون أولاً من أملاك سكانداليون بانيها، كما مر ثم امتلكها البارون جوسلين الثالث ثم ابنتاه اللتان اقتسمتا هذه المنطقة. ثم عرفاً، صارت الملكية تنتقل بالإرث إلى أولاد وأحفاد هاتين البنتين. ورغم استيلاء المسلمين على المنطقة، إلا أن الورثة اعتبروا أنفسهم مالكين شرعيين لها في حال عودتهم إليها.

عندما استولى صلاح الدين الأيوبي على قلعة هونين وما حولها أمر بتدمير عدد من الحصون الصغيرة القائمة في المنطقة فربما كان نتيجة ذلك تهديم حصن ميس حتى حين.

في سنة ١٢٢٩ تمكن الأمبراطور فريديريك الثاني من انتزاع القدس ومعظم الأراضي الفلسطينية من الملك الأيوبي الكامل بدون حرب. وقد اشترط قبل عقد الصلح أن تسلم له أيضاً قلعتي تبنين وهونين. فوافق الملك الكامل على ذلك. وهكذا انتزعت المنطقة من أيدي المسلمين وتحولت إلى ملكية الصليبيين الذين كان قد مضى على جلائهم عنها ٤٢ سنة. عند ذلك تقدمت جمعية الفرسان التيوتون (الإلمان) ممن كانوا ورثة ملاك القلاع والحصون التابعة لقلعتي تبنين وهونين، بما فيها حصون ناحية مارون وميس ضمناً، واشتروها في شهر نيسان سنة ١٢٢٩ بسبعة ألاف بيزان صوري[١٢]. فأعاد الفرسان التيوتون بناء الحصون المدمرة.

لكن الأمور لم تستتب طويلاً للصليبين بل تعرضوا لهجمات المسلمين واضطروا لاخلاء المنطقة من جديد. حيث حافظوا على وجود محدود في منطقة الساحل حتى سنة ١٢٥٤ عندما وقعوا اتفاقية مع الملك الناصر الأيوبي ملك دمشق مدتها عشر سنوات وستة أشهر وأربعين يوماً، تنازل بموجبها عن كل الأراضي الواقعة غربي نهر الشريعة (القسم الواقع شمال بحيرة طبريا من نهر الأردن) للصليبيين[١٣]. فأعادوا بناء الحصون من جديد، واستقروا فيها حتى سنة ١٢٦٣ عندما نقضوا صلح الناصر. فهاجمهم الظاهر بيبرس، واستولى على صفد وعلى المنطقة الجبلية من جبل عامل بما فيها ميس. وأمر السلطان بهدم الحصون المقامة في المنطقة، فجرى، كما يبدو، تهديم حصن ميس ربما للمرة الرابعة.

في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي حكمت المنطقة أسرة بشارة العاملية، فقامت باستحداث عدد من القلاع في بعض المواقع الهامة، ومن المرجح أن يكون بنو بشارة قد بنوا قلعة دوبية (دُبَيْ) في هذه الفترة من أجل حماية الطريق التي تربط صفد وبلاد الشقيف عبر وادي السلوقي ـ الحجير. كما قام بنو بشارة بإعادة ترميم القلاع القديمة ويبدو أنهم اعادوا بناء قلعة ميس.

لكن القلعة أهملت في العهد العثماني حتى تهدمت بمرور الزمن عليها وسقطت جدرانها. ثم قام الأهالي بنقل حجارتها واستعملوها في بناء بيوتهم.

ظل مكان القلعة واضحاً حتى الربع الأخير من القرن التاسع حيث اندثر بالكامل، واستولت بعض الاسر على أرض القلعة فاقتسموها وبنوا بيوتهم على أسسها حتى لم يبق لها أثر.

الآثار في ميس

كما في كل مناطق سوريا ولبنان تنتشر الآثار في ميس في كل مكان تقريباً، ويمكن بسهولة معرفة أن هذه القرية قد سكنت منذ أقدم العصور. ورغم وفرة الآثار في ميس وفي كل الناحية، إلا أن التنقيب العلمي عنه لا وجود له.

تقوم ميس على أنقاض قرية كانت موجودة في نفس الموقع، وربما تلك القرية أيضاً تقوم على أنقاض أخرى قبلها. التلتين في الشرقية والغربية تبدوان متراكبتين من بقايا البيوت وأسس جميع البيوت في الغربية القديمة قائم على أسس أكثر قدماً، ومعظم آبار المياه في الغربية هي آبار قديمة جداً كانت قد حفرت في الأزمنة الغابرة وتعطلت

لأسباب مجهولة، وبعد أن سكنت ميس من جديد أعيد تنظيفها واستعمالها من قبل أبناء الحي. ويمكن تمييز الآثار التالية في ميس:

ـ الأثار القديمة التي يمكن إعادتها إلى الفترة الهيلينة وهي موجودة تحت بيوت الغربية وقد كشف عنها أثناء محاولات بعض الناس إعادة ترميم بيوتهم أو توسيعها. وفيها بعض تيجان الأعمدة الضخمة والتي لم يستطع البناؤن رفعها. فتركوها في مكانها. ويمكن بسهولة التأكد من وجود بناء ضخم بشكل قصر تمتد معالمه مكان بيوت الغربية حيث الأزقة الضيقة وواجهته إلى الشمال حيث عثر على تماثيل لثلاثة أسود تعود لنفس القصر. كما أن الآبار الموجودة في الحي الغربي ربما تعود لنفس البناء ويبدو أنها كانت مصدر تزويده بالمياه. وربما يكون اسم ذلك القصر أو اسم أصحابه هو الذي أعطى المسية، أو ميس، اسمها.

ـ أثار قديمة تعود إلى فترة ما قبل الإسلام (أي من العهدين الروماني والبيزنطي) وهي أثار بيوت ومعاصر موجودة تحت الحي الشرقي، حيث جرى الكشف عليها في سنة ١٩٧٧. وفي نفس الموقع الذي يدعى حي المعاصر في طرف الضيعة (الحي الشرقي) بقايا لعدد من المعاصر التي كانت تستعمل لعصر الزيتون أو البطم أو غير ذلك، وقد دفن معظم المعاصر تحت الأرض، ولم يبق منها ما يدل عليها إلا القليل.

كما عثر على بعض الحجارة المتفرقة وعليها صلبان بالشكل الذي تستعمله الكنائس الشرقية (الأرثوذكسية) مما يدل على وجود كنيسة أرثوذكسية واحدة على الأقل في مكان ما في الضيعة (الحي الشرقي)، وقد نقلت حجارة كبيرة من ذلك الموقع واستعملت في بناء

البيوت المجاورة. وقد أخبر أحد المعمرين أنه قام بنفسه بتحطيم بعض الحجارة الضخمة المنحوتة بفأس ورمى بقطعها في أساس بيته. كما يوجد حجر ضخم نحت عليه صليب أرثوذكسي مع كتابة بالحروف السريانية غير واضحة. كما يوجد في نفس الموقع في الحي الشرقي بقايا أعمدة حجرية ضخمة قد جرى تحطيمها واستعمال أجزائها في بناء البيوت.

ويوجد في موقع المجدل إلى الجنوب الغربي من ميس بقايا أبنية ضخمة تتشابه نقوش بعض أعمدتها مع النقوش التي توجد في آثار قدس الكنعانية. ورغم عدم قيام أحد بالتنقيب في الموقع إلا أن ما يظهر من الآثار على سطح الأرض يثبت وجود بقايا مدينة أو قلعة هامة.

تحت بيوت الضيعة (الحي الشمالي) قريباً من جامع أبا ذر، يوجد مغارة كبيرة جداً ومتسعة جداً وفيها أثار مختلفة جرى تغطيتها بالطين والحجارة بعد الكشف عليها سنة ١٩٧٥. تتصل هذه المغارة بمغارة أخرى مدخلها في حي المعاصر في شرقي الضيعة مما يوحي بأن حي الضيعة على الأقل قسمه الشمال معلق فوق سقف مغارة.

كما توجد مجموعة من المدافن تعود للعصر الهليني - الروماني محفورة في مغاور في موقعين الأول في الجبل وهو تل إلى الشمال الغربي من ميس، وفيه مجموعة من المغاور يزيد عن عشر محفورة جميعها في الصخور الكلسية. أما الموقع الثاني فموجود في موقع درب الحورات وهو تل إلى الجنوب الشرقي من ميس وهو يشبه جداً الموقع الأول من حيث عدد المغاور وشكلها، وقد نحت على مداخل بعض المغاور فيها رموز منسقة ومتشابهة على جانبي المداخل إضافة إلى بناء

بعض القناطر الحجرية على مدخل إحدى المغاور. وقد عثر في بعض من هذه المغاور على هياكل عظمية متشابهة من حيث الأحجام مما يثبت أنها كانت تستعمل لدفن موتى من صنف واحد (محاربين أو رجال بالغين. . .).

الجدير بالذكر هنا هو أن القوات الإسرائيلية قد قامت أثناء احتلالها للمنطقة ١٩٧٨ ـ ٢٠٠٠ بنقل كثير من الآثار التي وجدت في هذه المدافن.

كما تم العثور على تمثال (رأس رجل) كامل وعليه كتابة، تثبت أنه تمثال أحد القديسين الذين بني المكان على اسمه. وهناك اعتقاد عام بوجود آثار مهمة جداً في الناحية تلك تنتظر من يكشف عنها.

ـ الآثار الصليبية التي تعود إلى فترة ما من القرن الثاني عشر الميلادي وهي موجودة في بقايا كنيسة كبيرة في موقع الكُنَيْسة بالإضافة إلى أثار بعض البيوت، وقد كُتِبَ على حجر نقل من ذلك الموقع كلمة (kypts) وهو يعني مكان الدفن، وهذا يثبت وجود مدفن في المكان الذي أخذ منه الحجر. ومن الشائع بين أهل القرية وجود شبه كهف يدعوه الناس «قبر النصراني» حيث يحتمل أن المدفن المذكور كان موجوداً في ذات المكان، أو على مقربة منه.

ـ الآثار التابعة مباشرة لأجداد القرية: وهذه الآثار موجود في عدة مواقع ومنها:

ـ الجديدة: وفيها آثار قرية تامة حيث تبدو بقايا البيوت والآبار والمقبرة فيها.

ـ المجدل وفيه بقايا بيوت واضحة المعالم ومقبرة اسلامية واسعة

واضحة. كما يعتقد أنه كان يقوم في المكان قليعة صغيرة عادة ما كان يطلق عليها الناس اسم مجدل خصوصاً في عصر العرب المسلمين، ولكن ليس هناك أي اثبات حسي يثبت ذلك.

- القرينة: فيها بقايا بيوت.

- الجبل: وفيه بقايا بيوت وآثار واضحة.

- شرقي حي الضيعة (الحي الشرقي) قريباً من موقع حي المعاصر، توجد المقبرة الشرقية وهي ثلاثة أقسام متجاورة تدعى الشرقية منها مقبرة الشيخ إبراهيم. بعض مؤرخي جبل عامل يعتقدون أن الشيخ إبراهيم المقصود هو الشيخ إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي وهذا خطأ واضح لأن الشيخ المذكور لم يمت في جبل عامل ولم يدفن فيه. ويدل هذا على وجود شيخ آخر يحمل نفس الاسم وتنسب المقبرة إليه. وربما الشيخ إبراهيم المذكور أحد الأولياء شبيه بالمنذر والهمام المدفونين في المقبرة التي كانت تتوسط القرية.

أما داخل القرية فهناك بقايا آثار الخان الذي كان موجوداً قبل قرنين، وكان يقوم في الغربية إلى الجهة الشمالية. وتسمى الأرض المحيطة به اليوم (حاكورة الخان). وقد تم ترميمه وهدمت معظم جدرانه القديمة ليبنى مكانه بيت حديث.

هذا بالإضافة إلى وجود أبنية المساجد الأربعة المتفاوتة في القدم والتي يبدو أنه أعيد ترميمها أكثر من مرة. بالإضافة إلى وجود بيت الحاج حسين فرحات الذي بني في منتصف القرن التاسع عشر على طريقة الأبنية العثمانية.

قلعة دوبية (دُبَي)

الأرجح أن اسمها «دُبَيْ» وهو اسم عربي شائع.

تقع قلعة دوبية على مقربة من ميس، وقد بنيت على الأرجح في عهد المماليك. فبمراجعة أولية لجميع أسماء الحصون والقلاع الصليبية التي بنيت في فترة وجودهم في المنطقة لا يعثر على اسم قلعة دوبية أو أي اسم يشبهها من قريب أو بعيد لا بعدد الأحرف ولا بمخارجها.

هذه القلعة لم تكن موجودة سنة ١١٨٤ عندما مر ابن جبير في المنطقة، فالطريق التي سلكها من ميس إلى تبنين هي نفسها الطريق الطبيعية المعروفة بين ميس وشقرا. وعندما هبط ابن جبير والقافلة التي كان يرافقها في وادي السلوقي، في المكان الذي يسميه أبناء ميس باسم عقبة شقرا، لم يلحظ وجود أي قلعة في المنطقة.

لقد كانت رحلة ابن جبير سنة ١١٨٤ أي قبل ثلاث سنوات من معركة حطين التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي وجيش المسلمين على الصليبيين، وتمكنوا من انتزاع معظم القلاع والحصون التي كانت بحوزتهم في منطقة جبل عامل (باستثناء مدينة صور). ولم يذكر أحد أن الصليبيين قد بنوا قلاعاً جديدة بعد سنة ١١٨٥م في هذه المنطقة، ربما فعلوا ذلك في فترة لاحقة في أماكن أخرى، لكن ليس في جبل عامل، خاصة وأنهم فقدوا السيطرة عليها حتى سنة ٦٢٧/١٢٢٩ عندما استعادوها باتفاق مع الملك الكامل الأيوبي[١٤].

إذن يمكن أن نقول بثقة أن قلعة دوبية بنيت في وقت ما في عهد المماليك، ليس لسبب عسكري مهم ولكن لتكون موقعاً يشرف على وادي السلوقي (الاصطيل) الذي كان طريق مواصلات تربط بين ولاية

الشقيف وحاكمها يقيم في قلعة أرنون، وبين مدينة صفد عاصمة مملكة صفد في ذلك الزمن. وبما أن ذلك الوادي كان يمكن أن يأوي جماعات من اللصوص وقطاع الطريق، فقد كان من اللازم أن يبنى عليه مقر عسكري لحمايته. ونظراً لأن القلعة صغيرة، وليست ذات أهمية عسكرية واضحة لذلك جرى تجاهلها تاريخياً.

وليس هناك ما يفيد بتاريخ البناء، وليس في القلعة أي كتابة لا على المداخل ولا بين جدرانها. وليس هناك من كتب عنها تأريخاً أو وصفاً.

أول ذكر لقلعة دوبية وجد في تاريخ أحمد بن محمد الخالدي الصفدي الذي أرخ للأمير فخر الدين المعني الثاني أمير جبل الدروز (١٥٩٢ ـ ١٦٣٣). فقد ذكر الصفدي أن الأمير يونس شقيق الأمير فخر الدين قد اختبأ في قلعة دوبية من جيش الكجك أحمد باشا، يقول الصفدي: «. . . وكان أخوه الأمير يونس مختفي في بلاد بشارة في برج يقال له برج دوبية، فأرسل له الباشا ناس مسكوه ومسكوا أولاده الأمير ملحم والأمير حمدان وجابوهم إلى عند الباشا فقال إلى الأمير يونس كم تدفع عليك وعلى أولادك حتى أسيبكم. . .»[١٥]. وهذا الحدث جرى سنة ١٠٤٣/ ١٦٣٣ وليس من ذكر لقلعة (برج) دوبية قبل ذلك. ولا يعرف مع من كانت في تلك الفترة، وهل كانت مسكونة أم مهملة ومهجورة. وربما بسبب كتابة الصفدي لاسم القلعة هكذا «دوبية» جرى لاحقاً استعمال الاسم دون تصحيح أو تحقيق.

ذكرت قلعة دوبية ثانية بعد مائة وعشرين سنة أي في سنة ١٧٥٠ أثناء الحديث عن أولاد الشيخ أحمد بن مشرف (آل علي الصغير) الذين

اقتسموا القلاع الموجودة في بلاد بشارة (جبل عامل الجنوبي) بموافقة حاكم سنجق صفد الشيخ ظاهر العمر، ليقيموا فيها ويتخذوها مقرات لهم، فانطلق كل ولد من أولاده (أو أحفاده) إلى قلعة من القلاع القائمة فرمموها. فناصيف النصار حكم من تبنين وظاهر النصار من قلعة دوبية وقبلان بن الحسن في هونين(١٦). وعن ظاهر النصار يقول السيد الأمين في أعيانه أنه توفي سنة ١١٦٣/ ١٧٥٠ «وكان سبب موته أنه بنى قلعة دوبية، ولما أتم بناءها صعد إلى أعلاها ليشرف على منظرها فسقط إلى الأرض فمات»(١٧). بينما نرى الشيخ محمد تقي الفقيه يقول أن ظاهر النصار لم يبن القلعة بل جدد بناءها، ثم ينقل نفس الجملة التي كتبها السيد الأمين حول سقوط ظاهر النصار عن سطحها. لكنه يضيف دون أن يحدد مصدراً أن القلعة «كانت مقر مراد النصار على عهد أخيه ناصيف، وبعده كانت مقر ولده قاسم المراد. وفيها اختبأ الأمير يونس المعني بولديه ملحم وحمدان من وجه الكجك أحمد باشا والي صيدا لما زحف بعساكره لمحاربة أخيه فخر الدين كما فر أخوه الأمير فخر الدين إلى قلعة شقيف تيرون وذلك سنة ١٠٤٤». وفي هذا النص تبدو الأمور متداخلة وتومي بأمور غريبة، فتقديم الحديث عن مراد النصار وابنه قاسم على الخبر عن الأمير يونس المعني يوحي وكأن الاختباء تم اثناء وجودهما أو وجود أحدهما في القلعة مع أن تاريخ وجود النصّاريين في دوبية هو أقرب بمائة وعشرين سنة من تاريخ الأمير يونس. كما أن ذكر الكجك أحمد والياً على صيدا أمر غير صحيح لأن باشوية صيدا أنشأت سنة ١٠٦٩/ ١٦٦٠ أي بعد ربع قرن من هذه الحادثة.

كما ينقل الشيخ الفقيه ما كتبه السيد محسن الأمين في خطط جبل عامل حول اعتقاده بأن «البناء قد تم بأيدي الصليبيين، وأنها على أنقاض

بناء روماني وأن اسمها محرف قليلاً من دوبو أو دوبي من أسماء الأعلام الشخصية في اللغة الفرنسية (؟) وأن بناءها متأخر عن رحلة ابن جبير وإلا لم يهمل ذكرها، وقد مر، أي ابن جبير، وهو ذاهب من هونين إلى تبنين بقربها في وادي الاصطيل وهي في مكان عال. والموجود عندها من المدافن مدفن واحد منقور في الصخر».

كما يحسب الشيخ الفقيه أبعاد القلعة دون أن يحدد إن كان نقل تلك المعلومات من مصدر ما أو أنه عاين القلعة بنفسه، فيذكر أن طولها ١٢٥ متراً وأن عرضها ٨٠ متراً وأن فيها ثلاث طبقات، الثالثة متهدمة[١٨].

في هذه المعلومات كثير من الغرائب، فالقلعة ليست صليبية بحال من الأحوال، ولم تذكرها الوثائق الأوروبية التي ذكرت تفاصيل وجود جميع القلاع والحصون والأبراج التي بنيت أو رممت في الشرق، وذكرت أصحابها من الفرسان أو الحكام، وليس بينها ذكر لقلعة دوبية. أما اسمها فواضح أنه عربي لغة وبناءً فهو إما تحريف لاسم دُبَيْ المعروف، وإما اتخذ شكل «دوبية» على طريقة الاسماء التي كانت شائعة في عهود الأيوبيين والمماليك مثل قالوية وحناوية وباتولية. . . إلخ.

أما وجوده على أنقاض بناء روماني فهو غير مثبت، والبناء بكامله حديث، قياساً إلى العصر الروماني، وهو عبارة عن برج يشرف على وادي السلوقي (الاصطيل) لمراقبة الطريق الوعرة التي كانت تمر في عصر المماليك فيه. وأما وجود مدفن قربها فغير مثبت، وما يظن بأنه مدفن ليس في الحقيقة سوى أجران للمياه كانت تستعمل لسقي البهائم

في مكان يستقى فيه من الآبار. أما بالنسبة لأبعاد القلعة فيمكن لأي كان أن يفعل ذلك ويتأكد من أن طول القلعة هو دون ٨٠ متراً والعرض يزيد قليلاً عن ٣٥ متراً. وليس حول القلعة أي خندق، إنما هناك وجود لأرض منخفضة قليلاً عن مستوى البناء من الجهة الجنوبية فقط وكانت تستعمل زريبة للبهائم أو مربطاً للخيل كما يثبت نوع التربة الموجودة فيه، بينما تبدو الأراضي المحيطة بالقلعة من الجهات الثلاث وعرة وليس فيها لا خندق ولا ما يشبهه.

قلعة دوبية مبنية بالحجارة المجزعة واستعملت في البناء إضافة إلى الحجارة مادة شبيهة بالاسمنت، مصنوعة من الملح الصخري والحصى. ومن هذه المادة أيضاً طليت جدران الآبار الثمانية الموجودة حول القلعة والتي كانت تستعمل لتخزين مياه الأمطار، بنفس الطريقة التي يستخدمها أبناء المنطقة. والمادة الشبيهة بالاسمنت ليست سراً في المنطقة، فكل الآبار الموجودة في ميس والتي تعود إلى ما قبل قرنين من الزمن تقريباً مطلية جدرانها بها. المادة هي ملح صخري، موجود بكثرة في وادي السلوقي تحت قلعة دوبية. كان الملح يدق حتى يصبح ناعماً ثم يخلط بالحصى المتوسطة الحجم ويضاف إلى الخليط كمية من الماء ويستعمل وهو بشكله الطيني. وعندما كان الطين يجف كان يتحول إلى مادة عازلة ومانعة للنش.

ويبدو أن هذه الطريقة قد اكتشفت واستعملت في المنطقة في فترة زمنية غير بعيدة، ولا يمكن أن ننسبها بحال من الأحوال إلى «عبقرية» الصليبيين.

خارج أسوار قلعة دوبية عدد من الأجران التي كانت تستعمل لسقي

البهائم، وهي مصنوعة من نفس المادة وليست نحتاً صخرياً. على بعد حوالي مائة متراً جنوبي القلعة حفرت حفرة في الأرض وتركت بلا سقف، تسمى الصهريج، بمعنى خزان الماء، ينزل إليه بدرج صخري. يعتقد بأن المياه التي كانت تجتمع فيها شتاءً كانت تستعمل إما لسقي البهائم أو لغسل الثياب، على اعتبار أن الآبار المسقوفة كانت تستعمل للشرب.

القلعة مستطيلة الشكل وقرب مدخلها إلى جهة الجنوب كما مر أرض منخفضة عن مستوى البناء وقد سويت حديثاً بقصد زراعتها بعد استصلاح تربتها. والقلعة مؤلفة من أربع طبقات ثلاث منها فوق الأرض والرابعة تحت الأرض. هكذا كانت قبل أن تضربها القوات الإسرائيلية سنة١٩٧٠. كان زائر القلعة يجد لها مداخل إلى الجهات الأربعة اثنين في كل من الجهتين الشرقية والغربية وواحد من كل من جهتي الجنوب والشمال. وقد أقفلت الأبواب في الجهتين الشرقية والغربية الواسعة والواقعة تحت قناطر واسعة كانت تسمح على ما يبدو بمرور خيال وهو راكب على حصانه، وأبقي على المداخل الضيقة، وأصبح في وقت ما من القرن التاسع عشر المدخل الرئيسي هو الجنوبي، وهو باب عادي عرضه حوال المتر فقط وارتفاعه مترين يدخل منه الإنسان إلى قاعة متوسطة الحجم يطل منها باب ضيق، أضيق وأقصر من الأول، على قاعة رحبة شرقي الأولى. وكانت هذه القاعة تتلقى قليلاً من ضوء الشمس من فتحة في السقف. من هذه القاعة يخرج الإنسان شرقاً إلى قاعة ثالثة شبيهة بالأولى ومنها يخرج إلى الخارج.أو يخرج شمالاً إلى بهو واسع مكشوف حيث يطل على هذا البهو معظم ردهات القلعة وغرفها البالغة أكثر من عشرين غرفة في الطابقين العلوين، ويفصل بين

بعض الغرف أدراج ضيقة تفضي إلى طابق علوي كان معظمه مهدم وقد سقط السقف في كل الغرف العلوية. أما الطابق الواقع تحت الأرض فكان يصعب النزول إليه بسبب الركام المتجمع، وكان يمكن رؤية الغرف من خلال الفتحات الموجودة في سقف كل غرفة. وكان البعض من زوار القلعة يظن أن تلك الغرف هي سجون للمحكومين أو ما يشبه ذلك، كما كانت تروج بين الناس إشاعة عن وجود دهليز سري يصل بين القلعة وبين بير السكيكي، وهو نبع موسمي في وادي السلوقي إلى الشمال الغربي من القلعة، ولم يكن لتلك الإشاعة ما يؤيدها.

في ٨ آب سنة ١٩٧٠ هاجمت طائرات إسرائيلية القلعة ودكتها، فسقط جزء هام منها، خاصة السقوف، ولم ينج إلا سقف واحد من الجهة الشرقية. ثم قامت إسرائيل بقصف شبه يومي لمنطقة القلعة وجوارها وللقلعة نفسها، حتى تصدعت الجدان واختلت وسقط بعضها.

كما كررت المدفعية والطائرات الإسرائيلية قصف القلعة أثناء الغزو الذي قامت به على لبنان في ١٦ أيلول ١٩٧٢ وكذلك أثناء غزوها الكبير والطويل الأجل سنة ١٩٧٨ حيث تحولت القلعة إلى شبه ركام. ومن يزر القلعة في هذا الزمن (سنة ٢٠٠٠) سيجد أنه لم يبق من القلعة إلا هياكل متهدمة اللهم إلا قاعة واحدة لا زالت مسقوفة، ربما لتهدي المرممين على طريقة البناء الأصلية، إذا تقرر أن ترمم ذات يوم.

طريق ابن جبير

أول اثبات حسي تاريخي لوجود ميس قديماً نجده في رحلة ابن جبير (١١٨٤م) الذي مر عليها أثناء عودته من دمشق مسافراً إلى صور فمر في طريقه عليهونين، واراد بعدها متابعة السفر نحو تبنين فذكر أنه

بات ليلته في (المسية) على الطريق من هونين إلى تبنين. وورود اسمها بهذا الشكل (المسية)، مرده إلى ما سمعه ابن جبير من رجال القافلة التي جاء فيها، أو أن هذه الكلمة كتبت هكذا تحريفاً من النساخ. لأن الوثائق الصليبية التي ذكرتها في نفس الفترة سمتها ميس (Mees) التي كانت قلعتها الصغيرة تتبع قلعة مارون (الركبة) ولم يرد الاسم محرفاً ولا غريباً. وفي طريق ذهابه من ميس إلى تبنين، مر ابن جبير في وادٍ دعاه وادي الاسطيل الذي يكثر فيه شجر الرند (فسر البعض اسم هذا الصنف من الشجر بأنه شجر الميس واستنتجوا من ذلك أن اسم ميس اشتق من إسم الشجر). يقوله ابن جبير: «فرحلنا عنها (هونين) عشي يوم السبت المذكور إلى قرية تعرف بالمسية (ميس) بمقربة من حصن الإفرنج المذكور فكان مبيتنا بها، ثم رحلنا منها يوم الأحد سحراً، واجتزنا في طريق بين هونين وتبنين، بواد ملتف الشجر، وأكثر شجره الرند (فسره السيد محسن الأمين بأنه شجر الميس) بعيد العمق، كأنه الخندق السحيق المهوي، تلتقي حافتاه، ويتعلق بالسماء أعلاه، يعرف بالاسطيل، لو ولجته العساكر لغابت فيه، لا منجى ولا مجال لسالكه عن يد الطالب منه. المهبط إليه والمطلع منه عقبتان كؤودان، فعجبنا من أمر ذلك المكان، فأجزناه ومشينا عنه يسيراً، وانتهينا إلى حصن كبير من حصون الافرنج يعرف بتبنين»[١٩].

من تتبع الخط الذي سار فيه ابن جبير يمكنه أن يفترض أن الطرق التي كانت شائعة في تلك الأيام هي نفسها الموجودة حالياً والمألوفة بين السكان. حيث يمكن الافتراض أن تلك القافلة سافرت غرباً عبر طريق العاصي - دوبية التي تنتهي عند أبواب قلعة دوبية التي لم تكن موجودة في حينه ومن هناك تتجه الطريق نزولاً في عقبة دوبية العسيرة المسلك،

وتنتهي العقبة في وادي الأسطيل (السلوقي) حيث يصعد المسافر من هناك في العقبة المعروفة بعقبة شقرا التي يستعيذ المسافر فيها بالله لوعورتها، وهذا ما فعله ابن جبير عندما وصفها بما وصفها به.

لم يذكر ابن جبير في رحلته قرى شقرا وصفد البطيخ والجمجمية، التي مر بقربها بالضرورة فهي على طريقه، فربمالم تكن هذه القرى موجودة عند مروره، ولكنه ألمح بعد عبوره منطقة تبنين إلى وجود ضياع متصلة وعمائر كلها للمسلمين. ولم يذكر مقام النبي صديق أو أي مكان ملفت غير مكان تمكيس القوافل قرب تبنين، وطبعاً قلعة تبنين.

ولكن وجود ميس أثناء مرور ابن جبير فيها لا يعني أنها كانت بشكلها الحالي وفي مكانها الحالي، فإطلاق اسم القرية على الأرض قد يعني وجود القرية في أي مكان من تلك الأرض، وأن ذلك المكان يمكن أن يتغير. فقرية حولا مثلاً قد جرى انتقالها بالكامل من موقعها القديم في تلة الرويس المشرفة على الوادي إلى موقعها الحالي في تلة مقابلة لها إلى جهة الشمال وكذلك جرى انتقال أبناء الأحياء الميسية المتباعدة إلى داخل القرية الكبيرة في الضيعة (الشرقية) والغربية، فخرب القديم واتسع الجديد. لقد كانت جديدة ميس موجودة وقد انتهت وخربت قبل حوالي القرنين. وكان الجبل (اسم مكان إلى الشمال الغربي من ميس) معموراً، وقد خرب لاحقاً. وكان مجدل ميس معموراً أيضاً (إلى الجنوب الغربي من ميس) وقد خرب قبل قرابة القرنين أيضاً. فترة الخراب الكبير الذي أصاب أطراف ميس يعود بشكل عام إلى الفترة القاسية التي مر بها جبل عامل أثناء حكم أحمد باشا الجزار الذي كان مولعاً بالتخريب والقتل، فعمل على تخريب جبل عامل (وعامة المنطقة التي حكمها في بلاد الشام) والتنكيل بأهله، وظلم واستبد حتى خربت

قرى كثيرة وفني الجم الغفير من الناس أثناء فترة حكمه، وتناقص السكان بالقتل والأوبئة والتجويع والهجرة، حتى لم يبق من أبناء المنطقة إلا القليل.

التعليم الديني في جبل عامل

في تاريخ بلاد الشام، وجبل عامل ضمناً، هناك فترة تاريخية مهمة وخطيرة، فترة انتقال من وضع حضاري وسياسي إلى وضع جديد مختلف ومغاير، فترة انتقال من حالة الحكم الذاتي بواسطة الخصيان والعبيد (المماليك) إلى حكم السلطان العثماني الأجنبي الذي اغتصب السلطة وتحكم بالبلاد والعباد باسم الدين وبقوة السيف.

كانت رموز الصراع لا تستند إلى أشكال قومية أو مذهبية، فالمماليك بمختلف رجالتهم وأمرائهم ينتمون في الغالب إلى مذاهب مشتركة، فيما لم يكن للأعراق أهمية بينهم إلا في حالات محدودة. كان الهدف الأوحد لزعماء المماليك، وفي زمن لاحق العثمانيين، هي الاستئثار بحكم البلاد، وهذا الطموح أشعل حروباً دموية هائلة ومتواصلة، بدأت بقتل السلطان قطز، ولم تنته بعد انتصار العثمانيين في مرج دابق. كانت حصيلة هذه الحروب على المدى الطويل هي القضاء على الوجود السياسي للمماليك.

كانت البلاد التي حكمها المماليك بعد معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠ قد تردت في البؤس والجهل والتخلف، فالأمراء وحكام القلاع يتنازعون من أجل الحكم وقد استهتروا بالدين والشرائع، وألزموا العامة من الأهالي بدفع إتاوات وضرائب متعددة الأسماء، فأنهكوا البلاد وجوعوا العباد واضطربت الأحوال أي اضطراب. كما ظهر بين الحكام

من أمراء ورجال دين، تعصب مذهبي أعمى، ساعد على اضطهاد الأقليات من غير أتباع المذاهب السلطوية، وهذا ما أثر كثيراً على سكان جبل عامل وجبل كسروان وبلاد جبيل، وجبال الظنية وجبال النزارية (النصيرية) وهم شيعة في غالبيتهم.

إن ما كان يحدث في مصر والشام أثناء حكم المماليك يوحي بأن عصر الانحطاط في الشرق العربي لم يكن نتيجة دخول المغول إلى بغداد سنة ١٢٥٨، بقدر ما كان نتيجة لسيطرة المماليك على مقاليد الأمور في مصر والشام (١٢٦٠ ـ ١٥١٧).

في هذه الأحوال المضطربة ابتعد الأهالي عن السلطان، وتوقفوا عن الاهتمام بالشؤون السياسية العامة، ورضوا، حرصاً على وجودهم، أن يكونوا رعايا للسلاطين المماليك يدفعون لهم قسراً ودون وجه حق، أنواع الضرائب ورسوم ما أنزل الله بها من سلطان. حتى كان اسقاط بعض تلك الضرائب يعتبر من كرامات بعض السلاطين. فإذا ما أضيف إلى هذه الفترة المظلمة ظلام التعصب المذهبي الذي بالغ المماليك في اظهاره خصوصاً في فترة وجود الشيخ ابن تيمية في دمشق، لأصبح من الواضح مدى ما كان يواجه أبناء جبل عامل المخالفين لمذاهب السلطنة من محاولات استئصال لوجودهم المذهبي والاجتماعي. لقد كان هناك اصرار على تنفيذ نظريات الاستئصال التي شرعها ابن تيمية وباشرها بنفسه في الحملات الكسروانية (١٣٠٤ ـ ١٣٠٧) حيث ذكر بعض المؤرخين أن نائب السلطنة قد خرج بمن بقي من الجيوش الشامية وقد كان تقدم بين يديه طائفة من الجيش مع ابن تيمية في ٢ محرم (سنة ٧٠٥/ ١٣٠٥)... فنصرهم الله عليهم وأبادوا خلقاً كثيراً منهم ومن فرقتهم الضالة[٢٠].

لكن وجود المماليك واجه ضعفاً كبيراً بسبب الصراع الدموي على السلطة بين الأمراء، وبسبب هذا الضعف شعر أبناء جبل عامل براحة نسبية من ملاحقة جيوش السلاطين وجلاوزتهم لهم بسبب انتمائهم المذهبي.

كان يعيش في ميس في تلك الآونة (أواخر القرن الخامس عشر الميلادي واوائل السادس عشر) عالم جليل زاهد وفقيه محقق، اجتمع حوله عدد من التلاميذ والمريدين، هذا العالم هو علي بن عبد العالي العاملي الميسي.

لقد شكل وجوده في ميس مع وجود عدد من العلماء الكبار الوافدين إلى جواره، إلى تشكيل ما يمكن وصفه بأنه حوزة دينية، أو مدرسة فقهية، هي ثاني مدرسة ينشأها أبناء جبل عامل في بلادهم خلال قرن. لقد بدا ذلك وكأنه محاولة للاستعاضة عن السفر إلى العراق إلى حوزة الحلة لتلقي العلم الديني.

لقد كان العلماء العامليون قد أدركوا قبل أمد بعيد، وبعد استشعارهم للخطر المحدق بهم إذا ما سافروا إلى العراق، أن عليهم أن يحلوا مشكلاتهم التعليمية بأنفسهم، فحزموا أمرهم وعولوا على أنفسهم في تعليم وتخريج وإجازة علمائهم في الجبل. أول المبادرين لهذه المهمة كان الشيخ شمس الدين محمد بن مكي الجزيني المشهور في التاريخ الشيعي بالشهيد الأول. ينتهي نسب الشيخ شمس الدين إلى جد يدعى حامد بن أحمد النباطي، نسبة إلى قرية النبطية الفوقا التي كانت مركزاً دينياً شيعياً مهماً في أيامه، وقد انتقل أبوه مكي بن محمد أو جده محمد بن حامد إلى جزين حيث ولد شمس الدين سنة ١٣٣٣/٧٣٤.

تلقى محمد بن مكي علومه الأولى على أبيه ثم سافر وهو في السادسة عشرة إلى الحلة في العراق حيث حصل خلال السنوات السبع التالية على إجازات من عدد من أجلة العلماء فيها كفخر المحققين وابن نما وفخر الدين ابن العلامة وعلي بن أحمد المطارأبادي، ليعود بعدها إلى جبل عامل حيث وضع مؤلفاته الكثيرة والمهمة جداً في الفقه والفلسفة الشيعيين، وكان من أهم كتبه كتاب اللمعة الدمشقية التي لا زالت تعتمد كمادة تدريس أساسية في المدارس الشيعية العلمية. كما كان له السبق في وضع نظرية ولاية الفقيه التي أحدثت انقلاباً خطيراً في مفاهيم الحكم والسلطة عند أئمة المذهب الجعفري. لكن الشيخ محمد بن مكي تعرض بسبب انتمائه المذهبي للاعتقال ثم حوكم في دمشق بحضور ملك دمشق المملوكي بيدمرو وقضاة المذاهب الأربعة الذين أوكلوا إلى إمام المذهب المالكي أن يتصرف، فحكم باعدام الشيخ محمد بطريقة تنم عن حقد هائل سنة ٧٨٦/ ١٣٨٤.

كان لاستشهاد الشيخ محمد بن مكي أثر مدوٍ في نفوس الشيعة، لكن استشهاده لم يفت في عضدهم. وعادوا يواصلون ما كان يفعله اسلافهم من الهجرة إلى الحلة لتلقي العلوم الدينية. بعض العلماء العامليين اقاموا في قراهم فصاروا مقصداً لطلبة العلوم الذين كانوا يتحملون مشقة بالغة في التنقل والإقامة عند من يقصدونه فكان لا بد من إيجاد حل حقيقي لهذه المعضلة عن طريق إنشاء حوزة علمية كاملة تقوم بتعليم وإجازة العلماء في مكان واحد. وهكذا نشأت مدرسة ميس، فمن أنشأها؟ ومتى؟

الإجابة على هذين السؤالين لا يبدو أمراً سهلاً أمام غموض المعلومات التاريخية التي تتحدث عن الأسماء القليلة فقط دون أن تحدد

أزمنة، ودون أن تُعَرِّف عن الأشخاص الآخرين الذين قد يكون لهم دور في تكريس واقع المدارس الدينية في جبل عامل. لا شك أن الواقع السياسي والإجتماعي الذي كان موجوداً في جبل عامل قد فرض أموراً لم تكن بحال من الأحوال من اختيار علماء الدين في الجبل، فعلماء جزين لم يقفلوا مدرسة جزين لو لم يكن السيف مصلتاً فوق رؤوسهم. لذلك يمكن الافتراض أن ميس تمتعت بفرصة أفضل، نظراً لموقعها الجغرافي بعيداً عن طرق المواصلات المعروفة، لإنشاء وإدارة مدرسة يستمر من خلالها تعليم العلوم الدينية في الجبل، بعيداً عن أعين عساكر ملوك المماليك.

مدرسة ميس

أسس المدرسة الميسية الشيخ علي بن عبد العالي بن مفلح الميسي، كما هو متعارف عند معظم مؤرخي جبل عامل، وربما تم التسليم بهذا الأمر نظراً للشهرة الواسعة والبالغة الأثر التي تمتع بها الشيخ علي المذكور. لكن الشك قد يتطرق إلى هذه المسلمة خصوصاً عندما نعلم أن المحقق الكركي قد أجاز الشيخ علي بن عبد العالي الميسي، وأقام في ميس وقتاً تصرف فيه كأستاذ للشيخ علي وليس كزميل أو ندٍّ له، وهذا الأمر يجعل من الممكن الحديث عن أن حوزة ميس قد أنشأت قبل زمن مما هو شائع، وربما يكون من المقبول منطقياً أن يكون مؤسسها هو الشيخ عبد العالي بن مفلح الميسي والد الشيخ علي، وكان الشيخ عبد العالي من العلماء الأجلاء.

لقد قصد طلبة العلم الديني ميساً من أماكن متفرقة، وزاد عدد طلابها على الأربعمائة طالب[٢١]. وهذا الرقم الذي نقله محمد جابر من

مصدر مجهول يبدو كبيراً جداً، وربما يكون المقصود به أن عدد الذين تخرجوا منها هو هذا العدد على مدى سنوات طويلة، ورغم كل شيء فهذا الرقم يبقى مفخرة لميس ومدرستها على مر التاريخ.

ساعد على شهرة مدرسة ميس عاملان هامّان، الأول الدرجة العلمية الممتازة التي تمتع بها الشيخ علي الميسي، والثاني هو انتظام الدروس حسب برنامج تعليمي واضح[٢٢].

قصد مدرسة ميس المحقق علي بن عبد العالي الكركي، كما مر، فأقام فيها مدرساً، تاريخ مجيئه إليها تقريبي لا توثيق له، والأقرب إلى المنطق هو سنة ١٥٠٣/٩٠٩ وهذا التاريخ هو نفسه تاريخ الهجوم الذي تعرضت له بلاد بشارة وكانت تحت سلطة آل بشارة، من البقاعيين بقيادة الأمير ناصر الدين ابن الحنش. وهذا يبعث على التساؤل إذا ما كان انتقال المحقق الكركي البقاعي إلى منطقة نفوذ البشاريين، قد جاء بعد أن شعر البقاعيون والبشاريون أنهم أبناء منطقة واحدة رغم صراع الحكام.

المشهور عن المحقق الكركي أنه أجاز أثناء قيامه بالتدريس في مدرسة ميس بالإضافة إليالشيخ علي، ابنه إبراهيم بن علي الميسي.

أشهر الذين تخرجوا من مدرسة ميس الشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد بن جمال الدين العاملي النحاريري (استشهد سنة ٩٦٦/ ١٥٨٨)[٢٣].

في بعض الكتابات التي حررها علماء شيعة أو أدباء في العصر الحديث أضافوا عند ذكر مدرسة ميس أسماء كثيرة قالوا أن أصحابها تخرجوا منها. وربما يكون المقصود أنهم تعلموا فيها فترة من الزمن

وليس علماً كاملاً حتى الحصول على الإجازة. مثل الشيخ محي الدين ابن أحمد بن تاج الدين الميسي الذي قيل عنه أنه قصده العالم الكبير محمود بن محمد الكيساني سنة ١٥٤٨/٩٥٦ قصد أخذ الإجازة منه[٢٤]. وقد أجازه الشهيد الثاني، في جباع وليس في ميس. أو كالشيخ لطف الله الميسي الذي كان الشيخ البهائي يعترف له بالفضل ويأمر بالرجوع إليه، وعاش في عصر الشاه طهماسب الصفوي[٢٥]. فإن الشيخ لطف الله هاجر عن ميس وهو طفل صغير، ولم يتخرج من مدرستها.

ظلت مدرسة ميس قائمة حتى وقت ما قبل سنة (٩٣٨/ ١٥٣٠) وهي السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن عبد العالي الميسي، فأقفلت وتفرق طلابها في الآفاق. والمرجح أن هذا الإقفال قد تم قبل خمس سنوات من وفاة الشيخ الميسي، أي في حدود سنة ٩٣٣/ ١٥٢٥. وقد قدم الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي العاملي تعليلاً لإقفال الحوزة، هو كبر الشيخ علي وانقطاعه. يقول الشيخ حسين المذكور: «توفي شيخنا الإمام العلامة التقي الورع الشيخ علي بن عبد العالي الميسي أعلى الله نفسه الزكية ليلة الاربعاء عند انتصاف الليل، ودخل قبره الشريف بجبل صديق الكائنة على الجبل الذي بقرب تبنين، وفيه قبر عليه قبة يسمى صاحبه صديق والله أعلم ما هو..... وظهر منه كرامات كثيرة قبل موته وبعده (المقصود الشيخ الميسي). وهو ممن عاصرته وشاهدته ولم أقرأ عليه لانقطاعه وكبره»[٢٦].

لكن ما لا يبدو مترابطاً فيما قاله الشيخ حسين بن عبد الصمد هو أن الشيخ الميسي قد انتقل بعد إقفال المدرسة إلى قرية صديق النبي إلى الشرق من تبنين وبقي فيها حتى وفاته. فما الذي دفعه وهو الرجل الهرم

إلى ترك قريته والذهاب إلى مكان آخر؟ وجواباً يمكن الافتراض أن الانتقال كإقفال المدرسة، قد جرى لأسباب تتعلق بسياسة السلطنة العثمانية مع أهل جبل عامل. وسيكون الأمر أكثر وضوحاً حين ندرك أن أولاد الشيخ علي قد هاجروا بعد وفاته مباشرة إلى العراق وإيران، ولم يبق من نسل الشيخ علي في ميس أحد.

إن المرحلة التي أقفلت فيها الحوزة هي مرحلة الصراع الدموي بين السلطنة العثمانية التي دخلت حديثاً إلى المنطقة، واستولت على الشام سنة ١٥١٦، وبين الأمبراطورية الفارسية التي تمكنت أسرة الصفويين من استلام الحكم فيها. كانت الأسرة الصفوية شيعية المذهب، وقد سعت بكل قوة لنشر المذهب الشيعي في طول البلاد وعرضها، ومن أجل تحقيق هذه الغاية استقدموا عدداً من علماء المذهب الذين كان يندر وجودهم في بلاد الصفويين، كان لجبل عامل حصة الأسد من هؤلاء العلماء المستقدمين.

أبرز هؤلاء العلماء على الإطلاق كان المحقق الثاني الشيخ علي بن عبد العالي الكركي، الذي أظهر همة عالية في نشر المذهب في إيران، وتسلم فيها منصب شيخ الإسلام، وظل في هذا المنصب حتى وفاته أثناء زيارة للعتبات المقدسة في العراق سنة ٩٤٠/ ١٥٣٣[٢٧].

في تلك الفترة، اندلعت الحرب بين الدولتين العثمانية والصفوية، وكان للعامل المذهبي أثر واضح في هذه الحرب، وعملت سكاكين السلطان ذبحاً بالشيعة في الأماكن التي سيطر عليها حتى قيل بأنه قتل في شمال العراق وتبريز أربعين ألف شيعي.

شعر الشيعة القاطنون تحت حكم السلطان العثماني بأنهم أصبحوا

في خانة الأقلية غير المرغوب فيها، وأن الدولة تنظر إليهم نظرتها إلى أعدائها، فراح العلماء في المناطق الشيعية، خصوصاً في جبل عامل، يفرون بعقيدتهم نحو منطقة أكثر أمناً، فوصل كثير منهم إلى العراق وإيران وإفغانستان والهند.

تركت هذه الهجرة العلمائية القسرية أثراً خطيراً في البلاد حيث شهد القرنين السادس عشر والسابع عشر ركوداً ثقافياً واجتماعياً كبيراً، فيما كان أبناء وأحفاد العلماء الذين هاجروا يحققون نجاحات كبيرة في بلادهم الجديدة، رغم محافظتهم على وفاء نَسَبي لجبل عامل.

وباقفال مدرسة ميس دخلت القرية في عالم النسيان، كل ما كان يذكر عنها بعد ذلك كان يذكر كما تذكر القرى العاملية الصغيرة التي لا أهمية لها. لقد كانت أهمية ميس بشيخها علي وبمدرسته، وعندما مات وأقفلت المدرسة، انطفأ السراج الذي كان يضيء ما حوله.

علماء ميس المشهورون

يحفل التاريخ العاملي بأسماء عدد وافر من علماء المذهب الجعفري الذين ينتمون بالنسب إلى ميس، لكن الملاحظ هو أن العلماء الكبار الذين مروا في التاريخ العاملي لم يتركوا في ميس ذرية ولا نسلاً، وربما يكون السبب في ذلك هو اضطرار العلماء إلى الفرار من الجبل خاصة في عهد أحمد باشا الجزار. فما هو واضح وجلي أن العائلات الميسية الموجودة حالياً في ميس لا يعرف عن أنسابها شيء أبعد من حدود سنة ١٨٠٤ أو ما حولها، إلا بعض الأسماء التي لا تزيد في معرفة الماضي شيئاً.

على أن عدداً من العلماء الذين هاجروا من ميس بسبب الاضطهاد

الذي كان يواجهه الشيعة أثناء حكم السلطان العثماني قد استقروا في العراق وإيران، وقد تركوا هناك ذرية استمرت تحمل اسم الميسي والعاملي حتى العصر الحديث، رغم أن أحداً منهم لم يعد إلى ميس بعد هجرته عنها، ومعظم علماء ميس ينتسبون إلى هذه الفئة.

مجموعة من كتب التراجم وعلم الهيئة عرفت بهؤلاء العلماء، لكن التعريف لم يصل إلى مرحلة التأريخ، بل بقي مجرد جمل إنشائية تمتدح العلماء الميسيين، وربما كل العامليين، بجمل تتكرر باستمرار ولا يستفاد منها في كثير من الأحيان سوى بمعرفة الأسماء.

فالطريقة التي اتبعها الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤/١٦٩٢) في كتابه أمل الآمل في الجزء المخصص للحديث عن علماء جبل عامل، اعتمدت كثيراً من المديح والاطناب وكيل الصفات الأخلاقية والعلمية على من يترجم له. فكل عالم يأتي بعد ذكره جمل تفيد أنه كان عالماً تقياً ورعاً عابداً من فضلاء زمانه وفصحاء عصره وفقهاء دهره. ليس في هذا الأسلوب ما يعيب لو أنه صور شخصاً واحداً بهذه الصفات مقارنة بسواه، أو لو أنه أرفق الحديث عن أي عالم بتحديد الفترة التاريخية التي عاشها العالم ومكان إقامته، ولكنه اكتفى بذكر العالم وما جاء في الإجازة التي حصل عليها وتحديد المجيز، ليس دائماً، ثم ذكر بعض التصانيف التي ألفها العالم المقصود، إذا كان له مؤلفات أو إذا عرف بها الشيخ المؤلف.

وسار على خطى محمد الحر معظم من كتب عن العلماء العامليين، إلا فيما ندر، كما يظهر في كتاب أعيان الشيعة للعالم محسن الأمين العاملي رحمه الله، وفي كتاب تكملة أمل الآمل لحسن الصدر، حيث

يبدو التقليد واضحاً وجلياً حتى يكاد كتاب التكملة أن يكون نسخة فنية عن كتاب الأمل، رغم مرور قرنين من الزمن على الكتاب الأول، ورغم انتقاد مؤلفه حسن الصدر للشيخ محمد الحر على عدم تحديد تواريخ للمترجم لهم.

أكثر المعلومات التي تحدثت عن العلماء الميسيين مصدرها كتاب أمل الآمل وكتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة للشيخ آغا بزرك الطهراني، ثم كتاب لؤلؤة البحرين للشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦/ ١٧٧٢)، وكتار بحار الأنوار للشيخ المجلسي رحمه الله في المجلدات الأخيرة التي اعتنت بالترجمات. أما المعلومات المستجدة بعد أمل الآمل ولؤلؤة البحرين والبحار، فقد نقلها وأبلغ فيها السيد محسن الأمين العاملي رحمه الله في كتابه الموسوعي اعيان الشيعة، رغم أنه وقع فيما وقع فيه الشيخ الحر والسيد الصدر من حيث السهو عن التأريخ لحياة كل عالم.

في الحديث عن علماء ميس، سيكون من المهم جداً إعادة صياغة النصوص التي وردت في المراجع التي ذكرت آنفاً مع محاولة لتحديد الزمان والمكان الذي عاش فيه كل عالم.

ربما يكون من المفيد الكلام عن أسرة علمية أعطت الفقه الإسلامي والمذهب الشيعي عدداً من العلماء الأجلاء الذين تحدروا من شجرة واحدة. تنتسب هذه العائلة إلى الشيخ عبد العالي بن مفلح الميسي الذي عاش في مطلع القرن العاشر/السادس عشر في ميس. وقد يكون هو الذي أنشأ المدرسة الدينية كما مر، لكن الترجمة التي ذكرته جاءت مختصرة جداً ولا تعطي صورة واضحة عن حياته. لقد ترك

الشيخ عبد العالي الميسي ثلاثة أولاد هم علي وإبراهيم وأحمد. وهذه الأسماء قد تتكرر في الأبناء والأحفاد مما يحدث ارتباكاً في تحديد العالم المقصود في بعض الترجمات نظراً لتشابه الإسم وإسم الأب وإسم الجد وحتى الألقاب، في بعض الأسماء.

ابنه الشيخ علي بن عبد العالي ويلقب نور الدين، ترك من العلماء شيخين هما إبراهيم وجعفر.

الشيخ إبراهيم بن علي ويلقب ظهير الدين، ترك ثلاثة علماء هم حسن وعبد الباقي وعبد الكريم.

وقد ترك عبد الباقي بن إبراهيم عالماً واحداً هو الشيخ عبد العالي وهذا كان له ولد عالم اسمه علي (كان حياً سنة ١٠٢٢/ ١٦١٣) فتكرر معه اسم علي بن عبد العالي الميسي، وهذا بدوره ترك ولداً عالماً اسمه إبراهيم فتكرر معه اسم إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي.

أما الشيخ عبد الكريم فكان له ولد عالم هو الشيخ لطف الله الميسي صاحب جامع اصفهان. وقد ترك الشيخ لطف الله عالماً هو الشيخ جعفر الميسي، ومنه عالم هو الشيخ حسن بن جعفر الميسي آخر السلسلة الميسية.

على أن هناك عالم ثالث ميسي يحمل اسم عبد العالي الميسي ويلقب بتاج الدين وهو نفس اسم ولقب الشيخ عبد العالي بن مفلح الميسي. كان له ثلاثة أولاد: إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي(الثالث) وعلي بن عبد العالي الميسي(الثالث) وأحمد المعاصر للشيخ محمد الحر صاحب أمل الآمل (كان حياً سنة ١٠٧٣/ ١٦٦٤). وقد ترك إبراهيم الثالث ولداً عالماً هو حسن بن إبراهيم كان حياً سنة ١٠٩٧/ ١٦٨٢.

وفيما يلي ترجمات لعلماء ميس المشهورين:

الشيخ علي بن عبد العالي الميسي: (تقريباً ٨٥٠ ـ ٩٣٨/ ١٤٤٥ ـ ١٥٣١)

ألقابه: نور الدين وأبو القاسم، ولد في ميس في حدود سنة ٨٥٠/ ١٤٤٥ في بيت علم، فوالده الشيخ عبد العالي بن مفلح الميسي كان عالماً فاضلاً. ويظهر مما قيل في أحفاده إبراهيم بن علي وحسن بن إبراهيم أنه أي عبد العالي، كان يعرف بابن مفلح الميسي. ولم ينسب أحد بهذا اللقب (ابن مفلح) للشيخ علي.

عاش طفولته في ميس، ويبدو أنه تلقى العلم فيها، فليس من ذكر يفيد بارتحاله إلى خارج جبل عامل من أجل تلقي العلم الديني، ومع أن السيد محسن الأمين العاملي قد اهتم كثيراً بابراز ما فات الشيخ محمد بن الحسن الحر صاحب أمل الآمل من ذكر صفات الشيخ علي الميسي إلا أنه نسي في المقطع الخاص به أن يذكر من أجازه ومتى. لكنه ذكر ذلك بتفصيل في مكان آخر لا علاقة له بالميسي. فالشيخ علي بن عبد العالي الميسي قد أجيز من الشيخ الجليل محمد بن محمد بن المؤذن الجزيني العاملي، تاريخ الإجازة ١١ محرم سنة ٨٨٤/ الأحد ٤ نيسان ١٤٧٩. وابن المؤذن كان قد أجيز من الشيخ عز الدين حسن بن العشرة الكركي الذي أجازه الشيخ شمس الدين بن عبد العالي الذي أجازه الشهيد محمد بن مكي الجزيني ابن عم الشيخ ابن المؤذن (٧٣٢ ـ ٧٨٦/ ١٣٣١ ـ ١٣٨٤)[٢٨]. هكذا سيمكن ربط سلسلة العلماء بالشهيد الأول. وينقل السيد الأمين عن رياض العلماء أن الشيخ علي بن عبد العالي الميسي قد أجيز من الشيخ محمد بن أحمد بن محمد الصهيوني الذي أجيز من حسن بن العشرة الكركي[٢٩].

ومن المستغرب أن يذكر السيد الأمين رحمه الله هذه الأمور في المقطع المخصص للحديث عن الشيخ الحسن بن العشرة الكركي دون أن ينتبه لذكرها في المقطع المخصص للشيخ الميسي.

إضافة إلى هاتين الإجازتين اللتين يعود تاريخهما إلى سنة ٨٨٤/ ١٤٧٩ حصل المحقق الميسي على إجازة من المحقق الثاني الشيخ علي بن عبد العالي الكركي، كما مر آنفاً، أثناء وجوده في ميس قبل أن يترك جبل عامل مهاجراً إلى إيران. وهكذا سنسلم بأن الشيخ علي الميسي هو عاملي منبتاً وأرومة وعلماً.

توفي الشيخ علي بن عبد العالي سنة ٩٣٨/ ١٥٣١ في قرية النبي صديق إلى الشرق من تبنين ودفن فيها. وقرية النبي صديق خراب اليوم، وقلة من عامة العامليين من يعرف مكانها. وقد درس قبر الشيخ علي ولا يعرف مكانه بالتحديد.

ظهرت له كرامات كثيرة في حياته وبعد وفاته كما ذكر الشيخ حسين بن عبد الصمد، وكان الشيخ حسين قد التقى بالشيخ علي الميسي في أواخر عمره وقال بأنه لم يأخذ عنه العلم لانقطاعه بسبب الكبر.

كان الشيخ علي الميسي يملك من الصفات الأخلاقية والتقوية ما جعله موضع ثقة المتعلمين والمعلمين. لقد سمت نفسه عن مستوى العلماء العاديين، فكان يعيش عيشة الزهاد بورع وتقشف لا يقدر عليهما إلا النخبة الصالحة من المتقين. كان يعلم في النهار ويعمل في الليل حطاباً فينقل الحطب على حماره في قريته ميس لتلامذته وعياله[٣٠].

رفيقه في هذا العمل تلميذه وصهره فيما بعد الشيخ زين الدين بن علي المستشهد بعد حين على التشيع والمشهور تاريخياً بالشهيد الثاني.

ترك الشيخ علي كتاباً واحداً مشهوراً هو الرسالة الميسية في الفقه، وقد ذكر السيد محسن الأمين أن العلماء قد نقلوا كثيراً منها في مصنفاتهم واعتنوا بشأنها كثيراً (أعيان الشيعة، نفس المصدر السابق). وقد شرحها المحقق الثاني الكركي في كتاب أسماه شرح الجعفرية وشرح صيغ العقود المعروفة بالميسية في الفقه[٣١]. ولا يذكر أحد من الذين ألفوا في تاريخ جبل عامل مكان وجود هذه الرسالة إن كانت مخطوطة، كما لم يذكر أحد أنها طبعت أو أنها قيد التداول.

تتلمذ على الشيخ علي كثير من العلماء الكبار من أهمهم الشيخ زين الدين بن علي التحاريري المعروف بالشهيد الثاني الذي كان صهر الشيخ علي. وابنه الشيخ إبراهيم بن علي الميسي، وابنه الشيخ جعفر بن علي الذي كان شريك الشهيد الثاني في الدرس، وقد حصل على إجازته.

الشيخ جعفر ابن الشيخ علي بن عبد العالي الميسي:

هو الإبن الثاني للشيخ علي بن عبد العالي الميسي، وشقيق الشيخ إبراهيم. ولد في ميس وعاش فيها وأجيز من أبيه. قيل فيه أنه كان محققاً، وشريكاً في الدرس للشهيد الثاني. ولكن لا يسمع به بعد انتقال العائلة إلى قرية صديق النبي، ولا يعرف ما إذا كان قد مات قبل انتقال عائلته أم بعدها ولا يذكر ما إذا كان قد هاجر أم لا. والمعروف أن الشيخ جعفر لم يترك نسلاً بعده مما يثير الشك في أنه مات شاباً قبل سنة ٩٣٨/ ١٥٣١.

حسين بن علي بن محمد بن سودون الشامي العاملي الميسي:

لقبه عز الدين، كان حياً سنة ٩٧٤/١٥٦٦. يصفه صاحب كتاب رياض العلماء بأنه فاضل فقيه جليل. ويقول عن أعماله: رأيت في استراباد من مؤلفاته حاشية على الرسالة الألفية للشهيد (الأول) وعلى النسخة خطه وإجازته. وصرّح بنسبته في تلك الإجازة كما نقلناه. وهي حاشية حسنة بل شرح مشتمل على الاستدلال في المسائل. وفي آخر النسخة هكذا: فرغ منه العبد الفقير يوم الاثنين في العشر الأخير من جمادى الآخرة حسين بن علي بن سودون العاملي سنة ٩٤٧/ ١٥٤٠. فهو معاصر للشهيد الثاني ولا ذكر له في أمل الآمل (ا.هـ)[٣٢].

ويبدو من هذا الكلام أن الشيخ ابن سودون الميسي قد انتقل من ميس إلى العراق أو إيران بعد وفاة الشيخ علي بن عبد العالي وإقفال الحوزة العلمية فيها، بغية تلقي العلم. وقد يكون قد عاد بعد إجازته إلى ميس، خاصة أن هذه الفترة تاريخياً كانت الفترة التي حكمت فيها أسرة سودون في جبل عامل.

وقد مر الكلام عن أسرة سودون العاملية التي كان لها اليد الطولى في إدارة البلاد العاملية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، واستمرت هذه الأسرة في إدارة البلاد والقيام بالتزامها أمام السنجق بك حتى وقوعها ضحية لعبة الباشاوات الذين ذاقوا ذرعاً بمقاومة جبل عامل وأسرة سودون بالذات لهم. فأوعز باشا دمشق إلى أسرة علي الصغير العاملية وبعض الأسر الصغيرة الأخرى وإلى بعض العائلات الفلسطينية مثل عائلة طوقان بمهاجمة آل سودون. وقد تم القضاء على هذه الأسرة قضاء شبه في حدود سنة ١٦١٠م. وهذا يعطي صورة أن الشيخ

حسين بن علي بن سودون الميسي لم يكن مهاجراً في استراباد أو مقيماً بشكل مستديم فيها، بل إنه زار العراق، وربما اصفهان ومشهد، وتلقى علومه هناك. وما نقل عنه من كتابته لحاشية على الرسالة الألفية للشهيد الأول، لا يزيد عن كون كتابه هذا قد انتقل بواسطة بعض الناس إلى استراباد.

الشيخ إبراهيم بن علي بن عبد العالي بن مفلح الميسي:

يلقب بأبي إسحاق وبظهير الدين، الشهرة بابن مفلح بعد اسم عبد العالي، قد ظهرت في بعض الترجمات ثلاث مرات: الأولى للشيخ إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي، والثانية مع اسم أخيه عبد الكريم، والثالثة في ترجمة الشيخ حسن بن إبراهيم بن علي.

ولد الشيخ إبراهيم في ميس وعاش فيها طفولته وشبابه. تلقى علومه الأولى فيها على والده الشيخ علي الميسي. كان رفيقاً للشهيد الثاني زين الدين بن علي وملازماً له رغم أن الترجمات لهما تشير إلى أن إبراهيم كان أسن منه. وعندما توقفت مدرسة ميس وتفرق طلابها بسبب الأوضاع السياسية السائدة في الجبل في حينه، ارتحل الشيخ إبراهيم مع أبيه العجوز الشيخ علي بن عبد العالي إلى قرية النبي صديق إلى الشرق من تبنين، وبعد وفاة الشيخ علي قرر الشيخ إبراهيم الرحيل عن جبل عامل إلى بلاد إيران حيث أصبح واحداً من علماء دولة الشاه طهماسب الصفوي.

توفي في اصفهان ودفن فيها، ورغم كثرة المترجمين للشيخ إبراهيم ومبالغتهم في وصف علمه وتقواه وورعه، إلا أن أحداً لم يذكر تاريخ وفاته.

بقي أن نذكر أنه ليس من علاقة بين اسم الشيخ إبراهيم بن علي وبين اسم المقبرة في شرقي ميس التي تعرف بمقبرة الشيخ إبراهيم.

ترك الشيخ إبراهيم ولدين كانا من أجلة العلماء في إيران في عصرهما هما الحسن وعبد الكريم، ولعبد الكريم ولد اسمه لطف الله (هو الشيخ لطف الله الميسي).

أجيز الشيخ إبراهيم من الشيخ علي بن العالي الكركي، وأجاز هو الشهيد الثاني زين الدين بن علي، ودرس عليه الميرزا محمد الاسترابادي والشهيد محمد أمين التستيري والشيخ أحمد الأردبيلي.

الشيخ علي بن عبد العالي الميسي (الثاني):

يشترك في الاسم مع الشيخ علي الميسي الكبير وفي اسم الأب لكنهما يختلفان في التاريخ فهذا العالم كان يعيش بعد أكثر من مائة وخمسين سنة من موت الشيخ علي بن عبد العالي الأول. وصفه الشيخ محمد الحر في كتاب في أمل الآمل بأنه فاضل صالح زاهد ورع من المعاصرين (الشيخ محمد الحر توفي سنة ١٠٩٧/ ١٦٨٥). ولم يذكر له مؤلفات ولا مكان وجود فليس من المعروف ما إذا عاش هذا العالم في ميس أم خارجها.

الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي العاملي

كان عالماً فاضلاً صالحاً جليلاً، عده الميرزا عبد الله الأصفهاني في رياض العلماء بأنه من مشاهير الفقهاء. يقول السيد محسن الأمين رحمه الله: رأيت إجازة له من والده الشيخ إبراهيم وكان حسن الخط، رأيت بخطه تفسير جمع الجوامع للطبري.

وفي الترجمة التي نقلها السيد الأمين خطأ في نقل الإسم حيث جعله في العنوان ابن علي بن عبد العالي مباشرة، ثم عاد وذكر في المتن أنه ابن ابرهيم.

الشيخ حسن بن إبراهيم بن علي بن عبد العالي:

في أمل الآمل: فاضل عالم جليل معاصر (اهـ).

شك الميرزا عبد الله الأصفهاني بنسبة الشيخ حسن إلى الجد علي بن عبد العالي الميسي مستبعداً أن يكون حفيده نظراً لأن الشيخ حسن عاصر الشيخ محمد الحر الذي توفي سنة ١٠٩٧/ ١٦٨٥ بينما توفي الشيخ علي بن عبد العالي الميسي سنة ٩٣٨/ ١٥٣١).

والميرزا على حق في شكوكه، لأن حسن بن إبراهيم بن علي ليس حفيد الشيخ علي الأول بل حفيد علي آخر يحمل نفس الاسم. وما يزيد في هذه القناعة أن الشيخ لطف الله حفيد الشيخ إبراهيم بن علي الميسي(الأول) قد عاش قبل هذا الوقت بزمن طويل وتوفي سنة ١٠٣٣/ ١٦٢٣ فهل يمكن أن يكون قد ولد له عم وعاش بعد هذا التاريخ بأكثر من ستين سنة؟

أقام الشيخ حسن بن إبراهيم في اصفهان ولم يبرحها في حياة الشيخ محمد الحر، ومن المرجح أن يكون قد مات فيها بعد سنة ١٠٩٧/ ١٦٨٥.

الشيخ لطف الله الميسي: (... ـ ١٠٣٣/... ـ ١٦٢٣)

هو لطف الله بن عبد الكريم بن إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي العاملي. ولد في ميس وعاش طفولته فيها قبل أن يهاجر منها

مع أبيه، وربما جده إبراهيم أيضاً، إلى إيران ووصل في هجرته إلى مشهد. التحق بحوزتها العلمية وتلقى علومه فيها على يد العلامة عبد الله التستري. ثم أصبح مدرساً في الحوزة ثم تسلم بعد حين إدارتها. لكنه ترك مشهد بشكل مفاجىء، ولأسباب مجهولة، إلى قزوين حيث لبث فيها مدة قصيرة لينتقل بعدها إلى اصفهان، عاصمة الدولة الصفوية. ويبدو أن الشيخ لطف الله قد قصدها بناءً على رغبة الشاه عباس الصفوي الذي أمر ببناء مسجد له ومدرسة ملحقة به. وهذان البناءان ينسبان للشيخ لطف الله وهما باقيان إلى اليوم، ويعتبر المسجد آية من آيات الفن المعماري الإسلامي. وقد بدأ البناء فيهما سنة ١٠١١/ ١٦٠٢ وانتهى سنة ١٠٢٨/١٦١٨.

كان الشيخ لطف الله الميسي من العلماء المتبحرين وقد اعترف له البهائي بالفضل والعلم، وكان يأمر بالرجوع إليه.

توفي الشيخ لطف الله الميسي سنة ١٠٣٣/ ١٦٢٣. من أولاده المعروفين الشيخ جعفر الميسي وهو امتداد للسلسلة الميسية.

الشيخ علي بن عبد العالي بن عبد الباقي بن إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي:

هو حفيد المحقق الشيخ علي بن عبد العالي الميسي الشهير صاحب الميسية وحفيد ابنه الشيخ إبراهيم. كان عالماً فاضلاً قرأ على الشيخ حسن الحانيني، والشيخ حسن الحانيني كان خال الشيخ لطف الله بن عبد الكريم بن إبراهيم. وُجد بخطه كتاباً في النحو فرغ منه سادس ربيع الآخر سنة ١٠٢٢ / ١٦١٣. وشرح الأجرومية، فرغ من نسخ تعليقه صحوة نهار الإثنين السادس من شهر شوال سنة ١٠٢٠ /

١٦١١. وكتاباً آخر في النحو تأليف الشيخ أبي عبد الله بن المنيرة الشيرازي فرغ منه يوم الثلاثاء تاسع عشر شوال سنة ١٠١٩ / ١٦١٠. وكتب شيخه المذكور على الكتاب الأول في النحو وعلى كتاب الشيرازي أنه أنهاهما قراءة عليه.

بالإضافة إلى ذلك فقد ترك الشيخ علي أشعاراً في الزهد والحكمة قليلة، لكنها غنية. ومن شعره:

نظرت للعالم السفلي بعد هدىً　　بعين رشد بعين العقل والبصر
فما رأيت ولا شاهدت من أحد　　سواي منفرداً في الدهر بالضرر

وقوله في مكان آخر:

من لم يلذ بالتقى في طول مدته　　يا بئس منه ألا وا سوء حالته
لكنما شيمة الدنيا وعادتها　　تعز من قد تمادى في جهالته

الشيخ إبراهيم بن عبد العالي الميسي:

الشيخ إبراهيم بن عبد العالي المار هنا هو غير إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي الذي يمكن أن يكون جده الأعلى لأن الشيخ إبراهيم بن علي قد ترك ثلاثة أولاد هم حسن وعبد الكريم وعبد الباقي وترك ابنه عبد الباقي ولداً اسمه عبد العالي ولعبد العالي هذا ولد اسمه علي كان حياً سنة ١٠٢٢/ ١٦١٣ (وقد مر الحديث عنه) فربما يكون له أخ اسمه إبراهيم.

على أنه يُعثر على شخص آخر يحمل اسم عبد العالي الميسي ويلقب بتاج الدين وكان له ثلاثة أولاد وهم إبراهيم وأحمد وعلي وكان أحمد حياً سنة ١٠٧٣. وكان لعلي ولد اسمه إبراهيم ولهذا ولد يدعى

حسن كان حياً سنة ١٠٩٧. فيجوز أن يكون إبراهيم بن عبد العالي شقيق علي وأحمد المذكورين هنا.

قيل عنه بأنه كان عالماً فاضلاً من تلامذته سبط الشهيد الثاني. ولم يذكره صاحب أمل الآمل في كتابه.

يحاول السيد محسن الأمين رحمه الله أن يربط بين اسم هذا العالم واسم المقبرة التي تحمل اسم مقبرة الشيخ إبراهيم في شرقي ميس، ولكنه يقع في نفس خطأ تكرر الأسماء فيقول: «...ولعله هو المدفون في ميس الذي يظن الناس أنه ابن الشيخ علي بن عبد العالي الميسي مع أن ذلك كان في اصفهان كما نبهنا عليه في ترجمته، ولعله أخو الشيخ علي بن عبد العالي الميسي»[٣٣].

والفارق الزمني بين الشخصين قرابة قرن ونصف أو في حدود ذلك، أي بين إبراهيم بن عبد العالي وإبراهيم بن علي بن عبد العالي. وليس من مجال لتأويل إسم المقبرة في الحي الشرقي(مقبرة الشيخ إبراهيم) ومحاولة لصق ذلك الإسم بالشيخ إبراهيم بن علي أو بغيره. فالشيخ إبراهيم الذي تنسب له المقبرة هو أحد الأولياء الصالحين شبيهاً بالأولياء الآخرين الذين دفنوا في ميس وليس واحداً من المعروفين بنسب أو بتاريخ.

الشيخ محي الدين أحمد ابن تاج الدين العاملي الميسي:

ذكره بهذا العنوان صاحب أمل الآمل في باب الأحمدين والصواب أنه محي الدين[٣٤]. كان حياً سنة ١٠٧٣.

وصفه الشيخ محمد الحر بأنه كان فاضلاً صالحاً سكن اصفهان ومات بها وهو من المعاصرين له.

والظاهر أن الشيخ أحمد كان تلميذاً للشيخ علي ابن الشيخ محمد ابن الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني. وقد وجد بخط الشيخ هذا كتاب الدر المنثور في المأثور وغير المأثور. تصنيف الشيخ علي المذكور فرغ من كتابته في ٢٧ صفر سنة ١٠٧٣ وهو تاريخ اتمام المصنف للدر المنثور الذي فرغ منه عاشر شهر صفر سنة ١٠٧٣، وعليه قراءته على استاذه المذكور. وعلى هوامش النسخة خط المصنف.

محمد بن أحمد بن علي بن رزق العاملي الميسي:

هو أحد أجداد عائلة رزق الموجودة في ميس. ويبدو أنه كان شاعراً زاهداً. ترك كتاباً فيه مجموعة من الأشعار التي وضعت في رثاء أهل البيت. وقد أضيف ذلك الشعر إلى نسخة عن كتاب المجالس (الحسينية) في مأتم سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام. وكتاب المجالس أصلاً من تأليف مجهول يعتقد بأنه أحد أهل البحرين (منطقة القطيف في شرقي المملكة العربية السعودية اليوم).

ورغم أن محمد بن أحمد بن رزق لم يكن عالماً كعلماء الدين المعروفين، إلا أنه ترك أثراً أدبياً صوفياً يذكر به، وقد ترك عليه تاريخاً بيناً كالتالي: وقع الفراغ منه في اليوم الثامن عشر من شهر شعبان المبارك نهار الأحد سنة ١١٣٥ من الهجرة النبوية (توافق الأحد ١٦ أيار ١٧٢٤) على مشرفها أفضل الصلاة والسلام والتحية في مشهد الحسين بكربلاء على يد تراب أقدام المؤمنين محمد بن أحمد بن علي بن رزق العاملي الميسي[٣٥].

على أن هناك شخصاً آخر يحمل نفس الإسم هو محمد ابن الشيخ أحمد بن علي بن رزق العاملي الميسي قد عاش بعد قرابة القرن من

محمد رزق الأول. وقد ترك محمد ابن الشيخ أحمد كتاباً فيه مجموعة من الأشعار في مديح أهل البيت كتبت بعد مجالس عزاء. وقد ختم محمد بن أحمد كتابه بأبيات شعرية بغية تأريخ الكتاب فكانت صورتها:

كـتـبـتـك يـا كـتـابـي ولـسـت أدري   فمن ذا الذي سوف يقراك من بعدي

رفـيـقـي أم صـديـقـي أم عـدوي   وسبحان الذي وحده بالغيب يدري

ثم أرخ الكتاب ببت شعر يقول فيه:

. . . . الـمـدفـون تـحـت رجـلـي

وهذه الجملة تساوي بحساب الأرقام ١٢٦٢/١٨٤٦.

ومحمد ابن الشيخ أحمد صاحب هذا الشعر هو الجد المباشر لعائلة رزق في ميس، أما محمد بن أحمد بن علي بن رزق الأول فلا يوجد ما يثبت أنه الجد المباشر لهؤلاء أم اولئك من فروع آل رزق الميسيين (فلحة واسماعيل وقاسم وشرف).

الشيخ محمد بن حسين بن الحسن بن إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي العاملي الحائري:

ذكره السيد عبد الله نور الدين بن نعمة الله الجزائري في إجازته الكبيرة ووصفه بالمحدث الفاضل. ويبدو من الرواة عنه أنه عاش في مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي.

الشيخ حيدر الميسي:

كان عالماً فاضلاً، ذكره الشيخ مجير العنقاني في كتيب مخطوط في حوادث سنة ١٢٥٢/١٧٣٣ فقال: في هذه السنة توفي الشيخ الأجل الشيخ حيدر الميسي.

الشيخ محمد بن حسين فلحة الميسي العاملي آل رزق (تقريباً ١٢١٠ - ١٢٦٥ / ١٧٩٤ - ١٨٥٠)

تعلم في جبل عامل في مدرسة جباع على يد الشيخ عبد الله بن علي نعمة ثم هاجر إلى العراق طلباً للعلم، وقد اصطحب في رحلته ابنه حسيناً، وكان شاباً في حوالي العشرين من العمر. ولم يطل به الزمن بعد ذلك، فتوفي في هجرته، ودفن في النجف الأشرف. ترك الشيخ محمد حسين فلحة بعض القصائد الشعرية، ويوصف بأنه كان فاضلاً تقياً ورعاً.

الشيخ حسين محمد حسين فلحة:

ولد في ميس (حوالي سنة ١٢٣٦/ ١٨٢٠) وعاش فيها حتى بلغ سن الشباب، حيث يبدو أنه قرأ المبادىء الأولية للعلم الديني على أبيه الشيخ محمد. ويذكر السيد محسن الأمين، ابن أخت الشيخ حسين، أن الشيخ كان يمتلك شرح الشمسية في الفقه. وعندما قرر والده الشيخ محمد فلحة الهجرة إلى العراق رافقه في رحلته، وهناك واصل تلقيه للعلم في حوزة النجف الأشرف. وتوفي أبوه اثناء وجوده هناك (حوالي سنة ١٣٠٠/ ١٨٨٢). وبعد تخرجه عاد إلى ميس وبقي فيها حتى وفاته (حوالي سنة ١٣٢٠/ ١٩٠٢م). كان يعتبر غاية في الذكاء والفهم وسرعة البديهة كما كان شهماً كريماً سخياً. لم يترك الشيخ حسين فلحة آثاراً أدبية أو علمية مكتوبة سوى مقطوعات شعرية متفرقة، المشهور منها تلك المراسلة التي جرت بينه وبين السيد عبد الله الأمين عم السيد محسن ومنها:

خذ خبر الأشواق عن قلب واجد وعوجاً على تلك الربى والمعاهد

أحـن إلـيـهـا لا إلـى سـفـح رامـة — وأصبـو إلـيـهـا لا لـوصـل الـخـرائـد

بها الحبر عبد الله من ورث العلى — بـهـمـة عـن خـيـر جـد ووالـد

مـعـالـم ديـن الله عـنـهـم رواتـهـا — روت نـصـهـا عـن واحـد بـعـد واحـد

توفي الشيخ حسين في ميس ودفن فيها.

الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد ابن الشيخ حسين فلحة العاملي الميسي:

خال السيد محسن الأمين، كان عالماً فاضلاً توفي في شبابه، وكان السيد محسن عندما توفي خاله طفلاً فهو يتذكره ولا يذكر عنه الكثير. فليس فيما كتب عنه أي ذكر لتاريخ الوفاة التي يمكن أن تكون في حدود سنة ١٨٨٥ أو ما حولها.

يقول السيد: رأيت من كتبه شرح التهذيب للعلامة في الأصول في مجلدين لم أعرف مؤلفه لذهاب أوله. والمهذب البارع في شرح المختصر النافع لابن فهد الحلي وكان الثاني ناقصاً أوله ووسطه وآخره فأكملت نقصانه وقابلته وصححته[٣٦].

يبدو مما كتبه السيد محسن الأمين عنه أنه تعلم في جبل عامل والأرجح أن يكون مكان تعلمه في مدرسة جباع التي تعلم فيها أبوه الشيخ محمد فلحة. ولكن الشيخ أحمد لم يعش طويلاً بل قضى في ريعان الصبا.

الشيخ محمد حسن الغول العاملي الميسي:

توفي في ذي الحجة سنة ١٢٠٢/ ١٧٨٧ ذكره بعض مؤرخي جبل عامل ويدل كلامهم على أنه من أهل العلم.

الشيخ محمود ابن الشيخ محمد جواد الغول العاملي الميسي:

كان أبوه من الصلحاء العباد الزهاد والأتقياء. سكن دبين بالقرب من مرجعيون وكانت داره مأوى كل غريب. كان معروفاً بكتابة الحرز لمعيشة الأولاد يقصده لذلك الجم الغفير من المسلمين وغيرهم. يقول السيد محسن الأمين رَحِمَهُ الله رأيته شيخاً تلوح عليه سيماء التقوى والزهد والورع.

قرأ الشيخ محمود بن محمد جواد الغول في جبل عامل ثم توجه إلى العراق هو والشيخ موسى شرارة والسيد حيدر وأخوه السيد جواد مرتضى (عيثا الزط) والشيخ علي بن عبد الله الكفراوي وجماعة من هذه الطبقة. وكان الشيخ محمود من مقدميهم ثم أدركه حمامه وهو في ريعان الشباب(ا.هـ). ولا يذكر السيد محسن تاريخ الوفاة، لكن المرجح أنها كانت في بداية عمر السيد محسن العلمية أي في مطلع القرن العشرين.

بالإضافة إلى أسماء العلماء الميسيين هؤلاء، هناك عدد وافر من أسماء العلماء الذين لا توجد عنهم تفصيلات كافية أبعد من الكلام عن أسمائهم. ومن هؤلاء: الشيخ قاسم الميسي الذي عاش في القرن الثاني عشر/السابع عشر وقد قيلت قصيدة تمدحه في ديوان السيد نصر الله الحائري المعاصر له. والشيخ جواد بن محمد جواد الغول (ت ١٢٩٠/ ١٨٧٢) وأخوه الشيخ محمد الذي انتقل من ميس وسكن في دبين، والشيخ محمد حسن الغول (ت ١٢٠٢/ ١٧٨٧).

في العصر الحديث برز في ميس عدد من العلماء الأعلام الذين تبوأوا طيلة القرن العشرين المنزلة الرفيعة في هداية الناس ولعبوا دور

القضاة الشرعيين في ظروف صعبة كانت تمر بها البلاد والعباد. من أوائل هؤلاء العلماء الشيخ نعمة الغول الذي عاش في مطلع القرن العشرين واشتهر بالورع والتقوى كما أثر عنه الكثير من المواقف التي تحض على العمل والأخذ بمناهج الأئمة الهداة.

بعد الشيخ نعمة الغول ظهر في ميس الشيخ موسى قبلان، أحد كبار العلماء المجاهدين في فترة الانتقال التاريخي في جبل عامل من حكم العثمانيي إلى الانتداب الفرنسي. تخرج الشيخ موسى رحمه الله من النجف الأشرف، وقد كان قصدها بصحبة السيد محسن الأمين العاملي رحمه الله. وقد عاد الشيخ موسى بعد إجازته إلى ميس في وقت كانت الحرب العالمية الأولى مندلعة. كان أهالي ميس في أثنائها يواجهون الجوع والوبأ الذي فتك باكثر من ثلثي السكان. لقد وقف الشيخ موسى بحزم لمساعدة الأهالي على مواجهة تلك المحنة الرهيبة وأرغم في بعض الأحيان الرجال على القيام بدفن الضحايا بعد أن ترك كثير منهم موتى في البيوت وعلى الطرقات.

شارك الشيخ موسى رحمه الله في مؤتمر الحجير إلى جانب السيد عبد الحسين شرف الدين وكان من رواد الحركة العربية المؤيدة لقيام المملكة العربية السورية والمناهضة لوجود الفرنسيين في المنطقة.

بعد وفاة الشيخ موسى تابع ابنه الشيخ محمد علي قبلان الطريق بنهج رسالي واضح. تخرج الشيخ محمد علي قبلان من النجف الأشرف وعاد إلى ميس في حوالي سنة ١٩٣٥ ليواجه بقوة مسألة الصراع على ملكية الأراضي بين العرب والمهاجرين اليهود الذين وضعت بتصرفهم مبالغ هائلة من الأموال بغية إغراء الأهالي الفقراء لبيع أراضيهم في

فلسطين، فكان لموقف الشيخ محمد علي الحاسم في تحريم بيع الأرض ما حد كثيراً من اندفاع بعض ضعاف النفوس في هذا السبيل.

اثناء حياة الشيخ محمد علي وبعد وفاته قام ابنه الشيخ عبد الأمير قبلان ليواصل الرسالة الميسية الباهرة في الدعوة إلى عقائد أهل البيت وتولى إفتاء جبل لبنان للمذهب الشيعي الجعفري كما كان له دور ريادي وقائد في إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان حيث أصبح نائباً للرئيس.

هوامش الفصل الثالث

١ ـ محمد بن الحسن الحر العاملي، أمل الآمل، ج ١ ص ١٣
٢ ـ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧ ص ١٦٥
٣ ـ ابن الأثير، الامل في التاريخ، ج ٣ ص ٧٧ وكلك ج ٣ ص ٩٥
٤ ـ ابن ابي الحديد، شرح نهج الرلاغة، ج ٨ ص ٢٥٨ وكذلك ابن الأثير ج ٣ ص ١٣٣
٥ ـ نفس المصدر السابق (ابن الأثير)
٦ ـ الطبري، ج ٣ ص ١٦٥
٧ ـ ابن خرّادذبّة، المسالك والممالك، ص ٧٨
٨ ـ Paul Deschamps, Les chateaux des croises en terre sainte, pp118.
٩ ـ E. REY: Les colonies Franques en syrie aux XII et XIII siecles. pp488.
١٠ ـ Ernestus Strehlke, Tabulae Ordinis Theutonici. pp54.
١١ ـ Les chateaux des croises en terre saint, pp 119.
١٢ ـ Ernestus Strehlke, pp54.
١٣ ـ المقريزي، السلوك، ج ٢ ص ٤١٢
١٤ ـ المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٠٦
١٥ ـ الصفدي، ص ٢٤٨
١٦ ـ تاريخ تبنين، ص ١٠٦
١٧ ـ أعيان الشيعة، ج ٧ ص ٤٠٤
١٨ ـ الفقيه، ص ٢٥ ـ ٢٦
١٩ ـ رحلة ابن جبير، ص ٢٧٣
٢٠ ـ ابن كثير، ج ١٤ ص ١٢، وكذلك ج ١٤ ص ٣٥

٢١ ـ محمد جابر، ص ٢٣٦

٢٢ ـ علي درويش، ص ١٢٩

٢٣ ـ عبد المجيد الحر، معالم الأدب العاملي من بداية القرن الرابع هجري حتى نهاية القرن الثاني عشر ص ٨١

٢٤ ـ نفس المصدر السابق

٢٥ ـ محسن الأمين، خطط جبل عامل، ص ٣٦٣

٢٦ ـ عبد الله الأصفهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، ص ١٢١

٢٧ ـ لؤلؤة البحرين، ص ١٥٤

٢٨ ـ أعيان الشيعة، ج٥ ص ١٧

٢٩ ـ نفس المصدر السابق

٣٠ ـ المصدر السابق، ج ٨ ص ٢٦٢

٣١ ـ علي درويش، ص ١٦٢

٣٢ ـ أعيان الشيعة، ج ٦ ص ١٢٧

٣٣ ـ المصدر السابق، ج ٢ ص ١٧٦

٣٤ ـ المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٩٨

٣٥ ـ المصدر السابق، ج٩، ص ١١٥

٣٦ ـ المصدر السابق، ج ٣ ص ٢٢١

الفصل الرابع:

ميس في العصر الحديث

ميس في القرن التاسع عشر

السفر برلك

ميس ١٩١٨ ـ ١٩٤٨

الخلافات بين العائلات

عام المهاجرة أو مأساة ١٩٤٨

بعد ١٩٤٨: الإرهاب الإسرائيلي الدائم

ميس من حرب الاستنزاف إلى التحرير

ميس في القرن التاسع عشر

معظم العائلات الميسية الحالية لا تعرف عن تاريخها ما يبعد عن مطلع القرن التاسع عشر. وما يروج بين الأهالي هو أنه في تلك الآونة كانت ميس مجموعة من المزارع المنتشرة حول القرية فانتقل سكانها إلى داخل ميس. وهذه المقولة الغريبة لا تبدو منطقية بحال من الأحوال، خصوصاً وأن الحديث دائماً عن سكان فلاحين يعيشون على الزراعة وتربية الدواجن. فليس من المعقول انتقالهم وتركهم لبيوتهم وأراضيهم المزروعة إلى مكان آخر. هناك مبرر مقبول لانتقال السكان من المزارع المتفرقة حول ميس، وربما من أماكن أخرى أكثر بعداً، هو حالة الأمن المتردية التي وجد السكان أنفسهم فيها بعد سنة ١٧٨١ بعدما شكل أحمد باشا الجزار باشا صيدا فرقة السردلة العسكرية والتي كلفت بمطاردة الطياح من أتباع شيوخ العائلات في جبل عامل. فكان الطرفان، السردلة والطياح يعيثون فساداً في القرى وتكون هجماتهم في أغلب الأحيان ليلاً، مما أوجد حالة من الذعر دفعت بأهالي المزارع الصغيرة إلى الفرار إلى داخل القرية الكبيرة حيث يشعرون بأمان أكثر. هكذا اختفى وجود الجديدة إلى الشمال من ميس، والجبل، والقرينة، والمجدل. وهذه الأماكن لا تزال بقايا البيوت التي كانت فيها ماثلة للعيان، وهي قائمة على آثار قرى أكثر قدماً.

ويبدو من بعض الكتابات الوثائقية لما جرى أثناء الحملة المصرية على بلاد الشام (١٨٣١ ـ ١٨٤٠) أن ميس كانت ملتقى طرق مواصلات تحتاج العساكر للمرور عبرها ذهاباً وإياباً. كما أن الذين ثاروا على المصريين في تلك الحقبة قد سلكوا نفس الطريق عبر ميس في تحركاتهم. فبعد ثورة الشيخ حسين شبيب الصعبي من مقاطعة الشقيف على المصريين وتلقيه دعماً مباشراً من الأمير خنجر الحرفوش البعلبكي تحرك الأمير مجيد ابن بشير الشهابي، بناءً على أوامر من والي الشام محمد شريف باشا، على رأس خمسماية جندي فوصل إلى النبطية ومنها إلى ميس حيث فر الشيخ حسين من وجهه إلى وعر يارون[١].

ويبدو أن أهالي ميس وسكان القرى المجاورة كانوا يساعدون الثائر حسين شبيب ويقدمون له كل عون ممكن، فقد وصف الأمير مجيد الشهابي في رسالة لمحمد شريف باشا ما جرى له فيقول: «المعروض لأعتاب دولتكم أنه بحسب الأمر العالي قد وصل عبدكم إلى بلاد بشارة، وبوصولنا إلى قرية ميس تحققنا زيادة الشقاوة الحاصلة من حسين شبيب ومن معه، وجميع مشايخ قرايا هذه الجهة تقدم له مهما طلب، وقد بلغ جمهوره مائتي نفر، وأنه تلك الليلة موجود بمن معه في قرية تدعى يارون على مسافة ثلاث ساعات من قرية ميس المذكورة...»[٢].

ورغم أنه لا يمكن استخلاص الكثير عن حالة ميس في تلك الحقبة إلا أنه يمكن تصور مدى رفض الأهالي للحكم المصري والشهابي من خلال دعمهم للثوار.

الوصف الذي ذكر أحوال ميس في منتصف القرن التاسع عشر جاء من مصدر آخر.

ففي ربيع سنة ١٨٥٢ مر الرحالة الأميركي إدوارد روبنصون في جولته التي قصد بها الأراضي الفلسطينية والأماكن المجاورة لها خصوصاً في جنوب لبنان (جبل عامل). وقد مر وهو في طريقه إلى فلسطين عبر بلاد الشقيف حيث وصف القرى التي مر بها، كما وصف قرى أقليم التفاح مثل جباع وجرجوع وعربصاليم وسجد، وكذلك وصف قلعة الشقيف والزوطرين. وتابع طريقه من هناك عبر بلاد بشارة ماراً على وادي الحجير إلى قبريخا ومجدل سلم وتبنين حيث وصف قلعتها ونمط الحياة فيها، ثم انتقل إلى حاريص وقانا ثم إلى رامية، ومنها إلى فلسطين.

كان الرحالة روبنصون يؤمن جداً بأساطير العهد القديم ويبحث عن إثبات علمي لتحويل تلك الأساطير إلى حقائق. لذلك كان يقارن بين الأسماء التي مر عليها وبين أسماء وردت في العهد القديم. ورغم بذله لجهود مضنية إلا أنه خلط أموراً حقيقية بأخرى وهمية لا يمكن قبولها أو الثقة بصحتها.

وفي طريق عودته من فلسطين متجهاً إلى دمشق، مر روبنصون عبر تل الخريبة وقرية قدس ومنها انتقل إلى ميس فعبرها شمالاً إلى هونين ومنها عبر إبل القمح إلى مرجعيون فحاصبيا.

يقول روبنصون عن رحلته من قدس إلى هونين: «تركنا عين قدس الساعة ٢،٢٠ متوجهين شمالاً عبر المرج الضيق في طريق كثيرة الأشواك، فوصلنا الساعة ٢،٤٠ إلى تل ومنه نزلنا في وادٍ تجري فيه بعض المياه. الوادي يتجه من الشمال الغربي، الفرع الأكبر لهذا الوادي يأتي من اليسار حيث بدا أقصى ارتفاعه في جهة الغرب مقابلنا حيث تقع

قرية بليدا، هذا الفرع كما قلت يعتبر مسرباً ويسير إلى الشرق من قرية عيثرون. صعدنا بعدها من الوادي الشاهق الانحدار إلى الغرب من فرع أصغر فأصبحنا خارجه الساعة ٣،٠٥ حيث أصبحنا على طريق سهلة في أرض منبسطة حيث يوجد عدد من أشجار البطم. تابعنا صعودنا بتدرج في هذا السهل نحو الشمال ثم نزولاً قليلاً فوصلنا عند الساعة ٣،٤٠ إلى القرية الواسعة ميس التي تسمى أيضاً ميس الجبل. الطريق من عكا إلى حاصبيا تمر في هذا المكان قريباً من جنوب القرية.

القرية مقسومة إلى قسمين غربي وشرقي، بينهما وادٍ صغير حيث نصبنا خيمتنا. جنوب غرب القرية يوجد مجمع لمياه الأمطار حيث تسقى البهائم، هذه المياه تستعمل أيضاً من الأهالي. كذلك يجب القول بأن هناك عين جيدة في وادٍ إلى الشمال من القرية.

المكان عامة أرض جميلة ريفية وتقع في المنطقة الشرقية لناحية تبنين، وترتبط بها. القرية تبدو كبيرة ومزدهرة وسكانها مرتاحون قياساً إلى باقي القرى.

الخميس ٢٠ أيار (١٨٥٢) تركنا ميس الساعة ٦،١٠ منحدرين نحو سهل صغير في الشمال يتجه من الغرب إلى الشرق حيث ذكر أنه ليس له منفذ، ويتحول إلى بركة في الشتاء. وكان وقتذاك مزروعاً. المنطقة هنا مرتفعة وباردة، ولا تنفع لزراعة القطن. التلال من حولنا مغطاة بأشجار السنديان.

الساعة ٦،٣٠ و٦،٣٥ عبرنا رأسي واديين يتجهان نحو الغرب ويتصلان بوادي الجمال الذي ينتهي إلى الليطاني.

الساعة ٧،٠٠ كان لنا مشهد رائع نحو الغرب حيث بدا لنا حصن

تبنين. تابعنا سيرنا صعداً فوصلنا الساعة ٧،١٥ إلى حاجب هونين، حيث بدا لنا مشهد رائع للحولة تحتنا إلى اليمين...»[٣].

في ما ذكره إدوارد روبنصون بعض الملاحظات الهامة، وهي أن ميس كانت قد أخذت اسمها الجديد (ميس الجبل) في تلك الفترة، وأنها كانت تبدو جميلة ومزدهرة قياساً إلى قرى المنطقة، وأن أشجار السنديان كانت موجودة على التلال (الجبل والدباكة...). وأهم ملاحظة يمكن استنتاجها هي أن الأب روبنصون لم يربط بين اسم ميس وبين أي اسم من أسماء قرى التوراة، مما يفهمنا أن اسماء العهد القديم وحصص الأسباط لا تنطبق، ولله الحمد، على ميس وما حولها من القرى.

السفر برلك

ما يكتب عن الأحداث التي تعاقبت على ميس وجبل عامل عموماً بعد سنة ١٩١٤ مستقاة من أشخاص عايشوا الأحداث بتفصيلاتها، وحكوها كما رأوها أو كما سمعوها. وليس هناك توثيق لهذه الأحداث نظراً لخصوصيتها. وربما يعثر على أخبار صغيرة مهملة في إحدى صفحات الجرائد، ولكنها لا يمكن أن تصور الواقع كما يعرفه أبناء ميس وكما خبروه.

على أنه من المهم جداً أثناء الكلام عن الأحداث التالية أن لا يكون الهدف التشهير ببعض الأشخاص مدحاً أو ذماً. وإذا ما مر اسم شخص ما صدفة، فإن الهدف من إيراده هو توضيح الأمور لا أكثر ولا أقل.

إن ميس، الأرض والناس، هم وحدة رمزية، والتعبير عن أجزاء من هذه الوحدة لا يكون إلا من أجل الرمز الكلي. قلة فقط يمكن

الحديث عنهم بإجلال، أسماء معدودة جداً أعطوا ما عجز الآخرون عن إعطائه، وقدموا ما بخل الآخرون بتقديمه، أولئك هم الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن الوطن، الأرض والإنسان.

بعد دخول السلطنة العثمانية الحرب إلى جانب دول المحور سنة ١٩١٤ لجأت إلى زيادة عديد جنودها فاستدعت الاحتياطي العسكري، ثم أعلن عن التجنيد الاجباري لكل البالغين من الذكور. هكذا وجد أبناء جبل عامل أنفسهم ملزمين بالقوة أن يشاركوا في حرب عبثية لا ينالهم النصر إذا انتصرت دولتهم، وتقع عليهم تبعات الهزيمة إذا هزمت.

عندما جاءت أوامر التجنيد لم يرحب بها أحد، والناس تعرف عواقبه، ولم يجد الرجال طريقاً للهرب من تنفيذه إلا واتبعوه، ولا مسلكاً ينجيهم من جيش السلطنة إلى سلكوه. لقد كانوا يساقون إلى التجنيد كأنهم يساقون إلى الموت. كانت الأمهات والزوجات يخرجن مع أبنائهن ورجالهن مودعات الوداع الأخير.

اقتيد العشرات من الشبان ولم يرجع منهم إلا عدد قليل، وأما الآخرون فقد فنوا في هجوم جمال باشا الفاشل على قناة السويس، أو أطلقت عليهم النار من الخلف أثناء اقتيادهم إلى معسكرات التجميع، أو قتلوا أثناء محاولات الهرب الكثيرة التي وقعت. وقد روى بعض الناجين من ذلك تفاصيل مرعبة لما كان يحدث.

كان جواسيس السلطان يقومون بالتبليغ عن الفارين من التجنيد إذا لم يدفع هؤلاء مبالغ معينة كرشوة لهم مقابل سكوتهم عنهم، وكان أخذ المجندين يتم بشكل عشوائي، حيث كان من المألوف أن يداهم خيالة السلطان بيتاً من البيوت ليلاً أو نهاراً ويقتادون منه من جاءت إفادة

الجواسيس بوجوده. هذا ما حدث مثلاً مع ذيب حسين رزق الذي لم يرجع بعد ذلك وكان له طفل واحد. وهذا ما حدث أيضاً مع يوسف عمار الذي ترك طفلاً صغيراً وامرأة حاملاً أوصاها أن تسمي طفلهما، إذا كان صبياً، مر. وفي أوان ولادته أنجبت صبياً فسمته محمد، لكنها كانت تناديه ويناديه الناس «مر» حسب رغبة أبيه الذي لم يرجع من السفر برلك.... والأمثلة المشابهة أكثر من أن تعد.

لقد اشتهرت اسماء العملاء والمخبرين بين أهالي القرية بالظلم والفساد، وعاملوا أبناء قريتهم، وحتى أبناء قرابتهم، بقسوة بالغة لم يألفها الناس حتى من العدو. لقد جرى مثلاً توقيف أحد المطلوبين للتجنيد تحت مزراب الماء في ليلة ماطرة باردة وهو عارٍ حتى الصباح حين اكتشف أنه قد مات. لقد كرر كثير من الذين رأوا وسمعوا ما حدث أن ذلك المسكين ظل يترجى الجاسوس وهو ابن عمه أن يتركه وشأنه بينما كان الجاسوس يصر على ما ادعى أنه أمر عسكري. لقد كانت صور التنكيل بالناس رهيبة وقد انطبعت في ذاكرة الناس حتى صار الأهالي يشبهون أي انسان قاس بأولئك الجواسيس الذين عاشوا في السفر برلك.

لكن الأسوء كان عتيد أن يأتي، لم تكف تلك المأساة المتمثلة بالتجنيد حتى حلت الضربة التالية، لقد تسلط الجنود على الناس في كل المنطقة وراحوا يصادرون الدواب والبهائم والأغلال لمصلحة الجيش. السكان كلهم فلاحون يخزنون مؤنة سنتهم وليس لهم موارد أخرى، وعندما داهمتهم الخيالة وراحت تصادر مخزوناتهم من الأغذية فإنها فرضت عليهم أن يواجهوا المجاعة بعد وقت قصير. كان كثيرون قد توقعوا هذا الأمر ربما بسبب تجاربهم السابقة مع الدولة في حروبها،

لذلك قام كثير من الأهالي بحفر وبناء مستودعات سرية في كرومهم وحقولهم، ووضعوا فيها سراً كميات من الحبوب على سبيل الإحتياط، ونجت تلك المخزونات وأنقذت أصحابها من مجاعة محتومة. الذين لم يفعلوا ذلك واجهوا الجوع حتى الموت، رغم أنهم كانوا قلة في ميس، وهؤلاء في كثير من الأحيان لجأوا إلى رهن أراضيهم عند بعض الوجهاء مقابل كمية قليلة من الحبوب، لكن أراضيهم نقلت ملكيتها لأصحاب الرهون، خصوصاً تلك الأراضي التي مات أصحابها قبل أن يتمكنوا من فكاكها. عدد كبير جداً من الجائعين من القرى المجاورة وصل إلى ميس التي كانت تبدو أكثر ثراءً من باقي القرى، كان الوافدون يعرضون أنفسهم للعمل أو للخدمة مقابل حصولهم على الطعام، وقد لبى أهل ميس نداء الواجب وقدموا ما استطاعوا للقادمين الذين رحلوا إلى قراهم بعد انتهاء الحرب.

من قصص الجوع المرتبطة بهذا الموضوع قدوم امرأة من قرية برعشيت وهي تحمل طفلاً في شهره الثالث أو الرابع، كانت المرأة تتضور جوعاً فلم تتمكن من الوصول إلى القرية وقد توقفت تحت بطمة باب الوعرة واستلقت هناك مسلمة ثديها لطفلها، وماتت وهي على تلك الحالة. وقد قامت إحدى الأسر التي تربطها معرفة بالمرأة المتوفاة بأخذ الطفل وتربيته حتى أصبح رجلاً وقد أخبروه عن أهله وعن قريته منذ الصغر لكنه تابع حياته في ميس. كان أقرباؤه من برعشيت يأتون لزيارته باستمرار وظلت علاقة القربى متينة معه. وقد تزوج هذا الناجي في ميس وظل فيها حتى انتقاله إلى بيروت سنة ١٩٦١.

وإذا كانت المجاعة لم تتمكن من ميس وأهلها لأنهم كانوا قد استعدوا لها، فإن أمراً آخر لم يكن في الحسبان ضرب القرية ضربة

قاسية جداً، فأثناء الحرب وتحديداً سنة ١٩١٦ انتقلت عدوى الريح الأصفر إلى ميس وراح الوبأ يسحق الناس بقوة، عدد الأموات كان يتزايد في كل يوم، الذين كانوا يقومون بدفن ميتٍ لا يلبثون أن يموتوا بعد عودتهم من تشييعه، ارتبطت العدوى بدفن الأموات ففر الناس عن القيام بذلك، لكن الشيخ موسى قبلان (قدس سره) تصدى لتقصير الرجال عن أداء واجبهم، فقام يقرع الأبواب، حاملاً عصاه معه، ويخرج الرجال بقوة لدفن موتاهم الذين تزايد عددهم. وهذه المأثرة ظلت تتردد على ألسنة أهالي ميس إلى الآن مترحمة على الشيخ موسى (رحمه الله) وذاكرة له بالخير.

عدد الناجين من الوبأ لم يزد على الربع من مجموع السكان. ونصف هؤلاء تقريباً هاجر قبل نهاية الحرب دون هدف واضح حتى وصل بعضهم إلى أميركا. هكذا لم يبق في ميس من السكان إلا القليل فكان مجموع هؤلاء عندما جرى إحصاؤهم سنة ١٩٢٣ لا يزيد إلا قليلاً عن ٨٠٠ إنسان.

ميس: ١٩١٨ ـ ١٩٤٨

عندما أصبحت البلاد تحت الإنتداب الفرنسي، بدأ عهد من الأمن والنظام لم يعتد الناس عليه في العهد العثماني البائد. بعض الأحداث التي جرت في السنوات الأولى لدخول الفرنسيين عكرت الأجواء وأدت إلى حدوث مشكلات، لكنها كانت محدودة قياساً إلى المعاناة الظالمة والطويلة التي لاقاها العامليون تحت سلطة الباشاوات. من أهم الأحداث التي وقعت في بداية عهد الإنتداب كانت حادثة عين إبل وثورة أدهم خنجر التي بدأت بسبب الأولى. لكن هذه الثورة لم تصمد طويلاً

لأسباب مختلفة. ما يهم هنا هو أن ميس والقرى المجاورة لها قد دخلت في فترة استقرار واضحة، انعكست مع الوقت تطوراً في مستوى المعيشة والحالة الإجتماعية والصحية بالإضافة طبعاً للحالة الإقتصادية.

كان السواد الأعظم من أهالي ميس يعيشون في هذه الحقبة من الزراعة. والزراعة في هذه الفترة كانت بدائية جداً تشبه في معظم وجوهها الأساليب التي كانت شائعة قبل مئات وربما آلاف السنين. كانت حراثة الأرض تتم بالمحراث البدائي الذي يجره عادة ثوران، أما الحصاد وجمع المواسم فيتم بالمناجل والأيادي. كمية الإنتاج الزراعي كانت بشكل عام تبقى قليلة، ورغم ذلك فإن التفاوت بين الناس في ميس وفي كل المنطقة كان يبدو واضحاً، ليس بسبب الإقطاع كما يحلو للبعض أن يصفوا الأمر، ولكن بسبب التفاوت في ملكية الأراضي بين العائلات، أو التفاوت في ملكية رؤوس الماشية.

أراضي ميس في الأصل مقسمة بين عدد من العائلات منذ حوالي القرنين، وعلى الأرجح أن هذه القسمة قد تمت بعد نهاية عهد الجزار، حيث اتخذت الحياة العامة في جبل عامل طابعها المألوف والمستمر حتى نهاية الوجود العثماني. وهذه القسمة تحدد بشكل ما أقدمية العائلات في ميس، أو مدى نفوذ تلك العائلات. فالعائلات القديمة لها حصة أو مقسم، بينما تبدو العائلات الجديدة لا تملك إلا ما اشترته من المالكين الأصليين.

لقد حصلت عائلة شقير مثلاً على مساحة الأراضي التي تمتد من منحدارات القرية في الحيين نحو الشمال مروراً بالمرج الشمالي بكامله ثم بالقسم الشرقي من الجبل من حدود الحوارة البيضاء الشمالية وامتداداً

إلى اول وادي البير. وحصل آل الطويل وآل وهبي وآل زهر الدين (وهؤلاء أنسباء وربما يشكلون عائلة واحدة لكن لا إثبات على ذلك) على منطقة المعاقب المجاورة للبركة ومعظم المرج القبلي ومنطقة الطراش الداخلي حتى منحدراته إلى وادي الشحارير. وحصل آل رزق على المساحة الممتدة من الوادي الفاصل بين ميس ومحيبيب امتداداً حتى خلة الخشب وتشمل هذه الأراضي منطقة الطراش (الجهة الشرقية) والكنيسة والبركة الغربية والقرينة ورأس الظهر وبيادر الترمس وخلة حسين وحوشين. وحصل آل عمار على كروم القندولة (الجنوبي) وعلى وادي الاجاص وحصل آل عيسى على مساحة الأرض الممتدة من مرج نعي مروراً بالبياض الجواني وأبو زلطة والبياض البراني ودرب الحورات وبيادر المغاريق وكروم المراح والدباكة بما فيها الدبشة المنسوبة إلى عبد عيسى. كما كانت لهم أراضي الدبش كمراعي. وتوزعت باقي العائلات قطعاً من الأرض في أماكن متباعدة. وقد طرأ تغيير على ملكية الأراضي فيما بعد حيث جرى التغيير بالشراء والمقايضة، وفقدت معالم تقسيم الأراضي كما كانت في الأصل إلا نادراً.

ويبدو أن ذلك الأسلوب من مقاسمة الأرض قد جرى أيضاً في أراضي ميس التي ألحقت بفلسطين حيث توجد ملكية واضحة ومتصلة للعائلات التي مر ذكرها.

أما رؤوس الماشية فكانت باباً آخر من أبواب تمايز الثروة بين الأهالي، وقد عرف كثير من العائلات كيف تمتلك عدداً وافراً من المواشي.

الفلاحون الذين لم يكونوا يملكون لا أراضي للزرع، ولا مواشي

للرعي، كانوا يلجأون للعمل في اراضٍ زراعية بطريقة «القسم». هذه الطريقة لا زالت معروفة منذ عهد المماليك وتعني اقتسام الغلة بنسبة معينة بين الزارع والمالك، وعادة ما تكون القسمة مناصفة بين الإثنين. وقد استمر العمل بنظام القسم حتى عهد قريب عندما حل محله نظام الضمان، وهو نظام آخر متوارث أيضاً من عهد المماليك، ويقضي بدفع إيجار الأرض المزروعة لمالكها لموسم واحد.

كان أهل ميس يعانون في تلك الفترة من نقص المياه خاصة في مواسم الجفاف التي كانت تضرب المنطقة كل بضع سنوات، فكانوا يضطرون لجلب الماء من أماكن بعيدة مثل عين قدس أو بير المزرعة الوقع إلى الشرق من قرية بليدا. المياه التي كانت تتدفق من النبع الكائن في هذا البئر لم تكن تكفي لأهل بليدا فكيف إذا ما شاركهم فيها أهالي ميس وهم أكثر منهم عدداً؟ هكذا فتحت هذه المنافسة على الماء مشاكل بين أهل ميس وأهل بليدا. وقد شارك كل رجال ميس بالهجوم على بليدا بعد توجيه نداء من وجهاء القرية لكل الرجال بوجوب الدفاع عن مصالح القرية. وبعد هذه الوقعة تم الاتفاق بين القريتين على تقسيم النبع بنسبة ثلثين لأهل بليدا وثلث لأهل ميس على اعتبار أن البئر يقع في أرض بليدا.

الخلافات بين العائلات

كان للقوانين الجديدة التي وضعتها سلطات الإنتداب الفرنسية والتي قضت بجعل النظام انتخابياً، بنسبة معينة، أثر مهم على وقوع خلافات حادة بين الأهالي ليس في ميس وحدها، بل ربما في كل الجمهورية اللبنانية الجديدة. لقد كان الناس حتى عهد قريب قد اعتادوا

على أن تأتي الاوامر بتعيين المختار والناطور وما إلى ذلك من وظائف شعبية مباشرة من حاكم الناحية، لكن هذا الوضع استبدل بنظام الإنتخاب وصار يحق لكل مواطن، ذكر، أن يدلي بصوته في انتخابات محلية، أثبتت مدى قوة ونفوذ كل عائلة في القرية. مما دفع بالأضعف للدخول في صراع إثبات الوجود مع الأقوى. وليس في كل ما روي عن المشاكل التي وقعت بين العائلات أي سبب آخر.

كان النافذ في القرية طيلة القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين علماء الدين، هذا الوضع ظل سائداً لدهر طويل، فالعالم في المذهب الشيعي، خصوصاً في جبل عامل، هو القاضي والحاكم ويعامل على هذا الأساس. وقبيل نهاية العهد العثماني توفي آخر عالم ميسي كبير، الشيخ نعمة الغول. كان هذا العالم يحظى باحترام واسع من الأهالي، وعائلة الغول الميسية قدمت على مدى قرنين من الزمن عدداً وافراً من العلماء (مر ذكر بعضهم في سلسلة علماء ميس)، فكانت سلطة هؤلاء العلماء تبدو وراثية. لكن، وقبيل وفاة الشيخ نعمة، انتقل بعض أبناء هذه الأسرة من العلماء إلى العراق مهاجرين. وبعد وفاة الشيخ نعمة أصبح الشيخ موسى قبلان هو العالم الوحيد في ميس، وكان قد تخرج من النجف الأشرف قبل ذلك بسنوات معدودة. هكذا بدا إلى حد ما أن النفوذ في ميس قد انتقل ليس من عالم إلى عالم، بل من عائلة إلى عائلة، مما أحدث ارتباكاً عند بعض وجهاء العائلات الأخرى. لكن الأمر لم يؤد إلى صراع فوري بل تأجل الأمر مدة حتى استقرار الأوضاع في ظل الانتداب الفرنسي.

أولى الحوادث كانت بسبب أفضلية الرعي لراعٍ من آل قبلان وآخر من آل شقير، الخلاف ابتدأ صغيراً، ثم تحول إلى اشتباكات بالعصي

والحجارة وتوقف بعد تدخل رجال الدرك بين الطرفين. هذه الحادثة وقعت قرابة سنة ١٩٣٠.

ثم تطور الخلاف وأصبح عقدة مستعصية على الحل، تدخل فيها نافذون في المنطقة، فازدادت تفاقماً. وتماماً كما كانت الدول تفعل في البحث عن حلفاء، راح كل طرف يسعى لإنشاء حلف يواجه به خصمه. هكذا وجد حلف ضم عائلات قبلان وحجازي مع عدد من الأسر الأصغر حجماً، يقابله حلف من عائلات شقير وحمدان وطه مع عائلات أخرى أصغر. والملاحظ هنا أن جميع هذه العائلات هي عائلات الضيعة (الحي الشرقي)، ولم يشارك أبناء الغربية (الحي الغربي) في العراك المزمن. صارت الإشتباكات بالعصي والحجارة تجري في فترات متعاقبة، وفي كل مرة كان الدرك يقومون بتفريق المشتبكين بالقوة، وكثيراً ما استعمل رجال الدرك بنادقهم وأطلقوا النار في الهواء، أو مباشرة باتجاه بعض المشبوهين، حيث أصيب في إحدى المرات أحد الشبان في ساعده، وقد نقل إلى إحدى المستشفيات حيث جرى بتر الساعد. الحادثة جرت سنة ١٩٤٦ ولم تنته ببساطة، بل ادعى أهل المصاب على شخص من العائلة المقابلة واتهموه باطلاق النار عليه، وقد شهد عدد من الشهود زوراً على المتهم فحكم عليه بالسجن ظلماً لمدة خمس سنوات، خرج بعدها سنة ١٩٥١ ليجد أن القرية قد تغيرت فيها القوى بشكل كامل.

قبل هذه الحادثة بمدة، وتحديداً سنة ١٩٤٢ حدثت بين العائلات مشكلة أفظع أدت إلى سقوط قتيلين. القتيل الأول ذهب خطأ ولم يكن يقصد الجاني قتله، والثأر جرى من بريء لم يكن يعلم بوقوع ما وقع. كان عائداً من حقله فتلقاه القاتل وطعنه بسكين بضع طعنات حتى قضى

عليه. اعتقل رجال الدرك عدداً من المشبوهين وأحيل الموقوفون أمام المحكمة التي حاكمت بتهمة القتل إثنين وقضت بسجنهما لسنوات عديدة، وكانت نتيجتها بعد خروج المحكومين من السجن أن هجرا ميس خوفاً من الإنتقام.

تركت تلك الأحداث احقاداً يصعب تناسيها، وصار كل طرف ينصب الأحابيل للطرف الآخر. وسرعان ما جاءت أحداث ١٩٤٨ لتفرض على الجميع أن يواجهوا المأساة بعيداً عن الصراع الدموي الذي كان بينهم.

عام المهاجرة أو مأساة ١٩٤٨

بعد أن سيطرت فرنسا وبريطانيا على لبنان وفلسطين سنة ١٩١٨ عمدوا إلى رسم حدود بين البلدين المستحدثين بطريقة عشوائية، وفي سنة ١٩٢٣ اتفقت الدولتان على تعديل تلك الحدود، فضم بنتيجة ذلك مساحات واسعة من الأراضي إلى فلسطين، وخسرت ميس حسب التعديلات الجديدة ثلاثة أرباع أراضيها أي من الحدود الحالية التي تمر في ضهر العاصي ومن هناك شرقاً حتى مجرى نهر الشريعة في غور الحولة. أصبحت تلك الأراضي عملياً تحت سلطة دولة أخرى وفي بلد مختلف، أي أن أصحابها كانوا بحاجة إلى تصريح من السلطات الإنكليزية لاستثمار ممتلكاتهم.

ورغم ذلك فقد أغفلت السلطة الإنكليزية بشكل مقصود حركة الاهالي صعوداً وهبوطاً نحو الحولة وتركت الفلاحين في ميس وفي القرى المجاورة يذهبون ويعودون دون عوائق.

في نفس الوقت قام اليهود، بدعم من السلطات الحاكمة بشراء

الأراضي الواقعة داخل خط الحدود، كانوا يعرضون أموالاً طائلة لمن يريد أن يبيع أرضه، لكن الأهالي أحجموا عن ذلك بعد صدور فتاوى عن كبار المراجع الدينية بتحريم بيع الأرض خاصة لليهود.

لكن قيام بعض وجهاء المنطقة ببيع أراضٍ في فلسطين طعن صمود الأهالي في وجه الضغوط والإغراءات في الصميم. فاجتمع أهالي ميس سنة ١٩٣٩ واستنكروا محاولة بعض زعماء المنطقة القيام ببيع بعض الأراضي لليهود، وكان التجمع بقيادة الشيخ محمد علي قبلان ﷺ. وقد نشرت الخبر جريدة النهار البيروتية في عددها الصادر بتاريخ ١٢ حزيران سنة ١٩٣٩.

بعض الأشخاص من ميس، وعددهم ثلاثة رجال على الأقل، شكلوا ما يشبه عصابة سرية ومالئوا اليهود ببيع الأرض ومثلوا دور السماسرة، ثم أقدموا على بيع أراضي الغير بطريقة الاحتيال. فقد كانوا يأخذون المرأة أو الرجل إلى مكتب إسرائيلي يشرف على شراء الأرض، ويدعون أن هذا الإنسان الذي يصطحبونه يملك قطعة أرض ما داخل الحدود الفلسطينية المستحدثة. وبما أنه لم يكن في تلك الأثناء أوراق ثبوتية كافية للتأكد من شخصية المدعي، فإن تسجيل عقود البيع كان يتم بشهادة الثلاثة المزورين، ويأخذ اليهود بصمة البائع المزور الذي يحصل من الصفقة على حصة يسيرة، بينما يأخذ المزورون معظم الثمن. ولم يكتشف الأهالي أن أراضيهم قد بيعت إلا بعد مرور سنوات طويلة عندما شرع اليهود ببناء بعض المستوطنات، أو بزراعة تلك الأراضي. وقد أدى ذلك إلى اعتقال المزورين الذين زج بهم في السجن لسنين طويلة.

بدأت النذر الأولى للحرب تصل إلى الأهالي من أقربائهم الذين

كانوا يعيشون في فلسطين، عشرات الأسر الميسية كانت تعيش في طبريا وحيفا ويافا والقدس، عادت أثناء المناوشات بين الفلسطينيين واليهود التي سبقت إعلان قيام دولة إسرائيل.

بعد ١٥ أيار ١٩٤٨ (تاريخ إعلان قيام دولة إسرائيل) بدأت الجيوش العربية الضعيفة والمفككة القيام بمهمة مستحيلة هي إعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، رغم أن الإعلام العربي كان يدعي غير ذلك. كانت الهزيمة أقل من المتوقع ربما لأسباب دولية معينة. فالقوة اليهودية التي احتشدت في فلسطين كانت تفوق عشرات أضعاف القوة العربية. وحجم التأييد الدولي لليهود بعد نهاية الحرب العالمية الثانية كان يوازي حجم الحقد الغربي على العرب. ومصادر التمويل اليهودية في العالم كانت قادرة بقوة هائلة أن تدعم المشروع الصهيوني، فيما كانت البلاد العربية بمعظمها رازحة تحت الإحتلال، والمستقل منها كان فقيراً إلى درجة كبيرة. ناهيك عن المقارنة المختلة دائماً لصالح الإسرائيليين في مستويات العلم والتقنية وعدد المصانع والمدارس والجامعات.

لقد كان بإمكان إسرائيل الدولة الجديدة، أن تستولي، ليس على جزء من فلسطين فقط، بل على سوريا ولبنان والأردن وأجزاء من مصر، إضافة إلى كل فلسطين، في وقت قياسي. كانت الفرصة تاريخية ونادرة لا يمكن أن تتكرر ثانية لليهود، ولكنهم... مكروا، ومكر الله والله خير الماكرين.

وصل إلى ميس بعد أيام من إعلان دولة إسرائيل مجموعة من جيش الإنقاذ (الفلسطيني). عددهم لم يكن يتجاوز الثلاثين. أقاموا في

الحي الغربي وأرسلوا دورياتهم منذ اليوم الأول إلى التلال الواقعة إلى الشرق من ميس ضمن الحدود الفلسطينية، حيث وقعت بينهم وبين الإسرائيليين أولى الإشتباكات.

استقدم جيش الإنقاذ مدفعاً ونصبه في موقع البركة اليابسة إلى الغرب من ميس، وضرب به بضع قذائف أصاب بواحدة منها فقط بيتاً في مستوطنة المنارة، ثم سحب المدفع لعدم وجود ذخيرة له.

أسلحة مقاتلي جيش الإنقاذ كانت قديمة، عبارة عن بنادق مختلفة الطرز، وبالتالي لم يكن بامكان المقاتل أن يحصل على ذخيرة من رفاقه إلا في حالات نادرة.

لقد حصلت مجموعة الإنقاذ هذه على دعم كبير من متطوع يوغوسلافي بوسني يدعى كامل رستم، يصر أهالي ميس على تسميته كامل اليوغوسلافي، جاء متطوعاً والتحق بمجموعة من المتطوعين كانت تابعة للجيش اللبناني. كان كامل خبير نسفيات ومتفجرات، وقد حصل على خبرة مهمة في حرب العصابات في يوغوسلافيا أثناء الحرب العالمية الثانية، وسرعان ما استعمل خبرته بحذق، وتمكن من نصب عدة كمائن لليهود في موقع ضهر الخِشْم شرقي ميس، وتمكن من تدمير عدد من الآليات المدرعة وإيقاع خسائر في صفوف العدو. حظي كامل باحترام كبير جداً بين أهل ميس والجنود الذين قاتل معهم، وكانت له صولات وجولات في الحرب ضد العدو، وتمكن مرة من أسر ضابط إسرائيلي بعد أن دمر آليات كثيرة في كمين على طريق المنارة. وقد نقل الضابط إلى داخل ميس حيث أحضر إلى ديوان الشيخ محمد علي قبلان رحمه الله. وعندما علم الأهالي بوجوده راحوا يتجمعون بفضولية،

حتى قامت امرأة متحمسة بالزغردة، فاعتقد الإسرائيلي أنها فعلت ذلك ترحيباً به، أو أنه ادعى ذلك، ثم طلب قهوة عربية فسقي وشرب كامل رستم والجنود الذين كانوا معه. وقد نقل الأسير وسلم للجيش اللبناني.

بعد انتهاء الحرب انضم كامل رستم إلى الجيش اللبناني وبقي فيه حتى تقاعده في بداية الحرب الأهلية سنة ١٩٧٥.

لكن جيش الإنقاذ لم يكن ككامل اليوغوسلافي، بل نسخة مختلفة تماماً، لقد كان في أسلوب تعامله مع أهل ميس شبيه جداً بتعامل الجيوش العربية الأخرى مع شعوبها. إذ أنه أصر على أن يفرض على الرجال الذين يصادفهم أن يقوموا بأعمال معينة لمصلحته بأسلوب الإستعباد والتسخير، كنقل المؤن للمقاتلين الذين يرابطون على مسافة ثلاثة كيلومترات. كان من يعترض على أوامرهم أو يتلكأ في تنفيذ طلباتهم يوضع في حفرة بعمق قامة بحيث لا يبقى ظاهراً منه إلا الرأس، ثم يجلسون مقابله ويروحون يرشقونه بالحصى تماماً كأنهم يضربون محكوماً بالرجم، فيضطر المسكين إلى تنفيذ طلباتهم دون اعتراض.

ظل هذا الوضع قائماً حتى نهاية تشرين الأول سنة ١٩٤٨، في هذا الوقت وصل فجأة إلى ميس قائد جيش الإنقاذ فوزي القاوقجي يرافقه شخص واحد، واجتمع ببعض مسؤولي جيش الإنقاذ في أحد المنازل في الغربية، ثم رحل قبل الغروب دون أن يعرف أحد من أهل ميس ما جرى في الإجتماع. بعد ذلك شوهد رجال جيش الإنقاذ يحزمون أمتعتهم، أمام استغراب الأهالي. أحد هؤلاء الجنود أخبر رجلاً كان على علاقة طيبة به، همساً، أن اليهود سيدخلون إلى ميس هذه الليلة. الرجل لم يصدق، لكنه قام بنقل الخبر إلى بعض الجيران الذين

بدورهم نقلوا الخبر إلى أقربائهم. بعد أقل من ساعة على غروب الشمس رحل آخر جندي من جيش الإنقاذ، وأصبحت القرية في حالة توتر دائم، وصارت كل أسرة توضب ما خف وزنه وغلا ثمنه استعداداً للمفاجآت.

وربما يعود السبب إلى ما حدث هو تمكن اليهود من الإستيلاء على قرية المالكية في ٢٧ تشرين الأول، وبعد ثلاثة أيام أي في ٣٠ تشرين الأول اندفعت قوات مدرعة إسرائيلية داخل الأراضي اللبنانية واستولت على عدد من القرى[٤].

بقي أن نذكر أن ثلاثة من جنود جيش الإنقاذ استشهدوا في المواجهات ودفنوا في ميس، وأن والد أحد هؤلاء الشهداء كان قد حضر مع ابنه لأنه لم يكن يطيق فراقه. وقد لبث بعد استشهاده مدة يقيم على قبره ليلاً ونهاراً وهو ينتحب عليه. وكان عندما يتعب من البكاء يقول: فداء للوطن. لا يزيد على ذلك، ثم يعود ليبكي ابنه من جديد في صورة محزنة جداً. قبور الشهداء الثلاثة موجودة إلى الآن في الزاوية الشمالية الشرقية من مقبرة آل القاروط، وليس عليها شواهد ولا كتابات.

حوالي منتصف الليلة التي رحل فيها جيش الإنقاذ شوهد عدد من الآليات المدرعة تعبر ضهر الخسم باتجاه الشمال نحو مستوطنة المنارة، وعندما وصلتها توجهت نحو الحدود اللبنانية القريبة جداً من بيوت المنارة واتجهت من هناك نحو ميس. المسافة ثلاثة كيلومترات وتحتاج الآليات للوصول إلى ميس من هناك حوالي خمس دقائق، هذه المدة كانت كافية ليخرج الناس سريعاً نحو الغرب إلى البرية القريبة في بيادر الترمس ورأس الضهر وكروم القندولة ليختبأوا فيها.

عبرت الدبابات الإسرائيلية القرية، عددها كان كما قيل، عشرين دبابة، ولم تتوقف في القرية ولم تفعل شيئاً. كان بعض أصحاب المواشي يعبرون من الضيعة إلى الغربية حين التقوا بالدبابات التي ظلت تسير دون توقف ودون أن تؤذي المواشي أو أصحابها.

في الصباح التالي عاد كثير من الأهالي إلى القرية ولكن عودتهم كانت حذرة، كثيرون أدركوا أن الأمر مسألة وقت حتى يدخل الإسرائيليون ويبقوا في القرية، فصار الناس ينامون ليلاً في البراري القريبة خصوصاً في رأس الضهر. بينما يعودون مع الفجر ويتابعون حياتهم في القرية.

بعد أيام معدودة، كان الوقت بعد الظهر حين دوى صوت مرعب تلاه انفجار هائل هز بيوت القرية وجعل الناس يتراكضون هراباً إلى خارجها، كان ذلك أول صاروخ تتلقاه ميس من العدو. بعد نصف ساعة سقط صاروخ آخر، ثم. . .توالى سقوط الصواريخ بشكل متقطع حتى حلول الليل.

في اليوم التالي عاود الجيش الإسرائيلي القصف بالصواريخ ابتداءً من بعد الظهر حتى حلول المساء، وكذلك في اليوم التالي ولمدة أسبوع كامل. نتيجة القصف الصاروخي كان مقتل امرأة اسمها أسماء وهي زوجة سليم الصباغ، قيل بأن أحد الصواريخ شطرها نصفين، ووصف من رأى حالتها بعد إصابتها بشكل مثير ومرعب.

منصة الصواريخ كانت منصوبة قرب مقام النبي يوشع إلى الجنوب الشرقي من ميس على مسافة كيلومترين.

في الاسبوع التالي انتظر الناس قصف الصواريخ في الوقت الذي

اعتادوه، لكن العصابات اليهودية أخلفت الموعد ولم يسقط أي صاروخ حتى حلول الظلام، ليظهر في الجو سلاح أكثر رعباً هو الطائرة. أولى الطائرات حلقت عشاءً فوق القرية فيما يشبه الاستطلاع ثم راحت تلقي قنابلها بشكل عشوائي لمدة من الزمن ثم اختفت وقتاً لتعود وتضرب من جديد. هكذا صار يحدث كل ليلة، غارة أو غارتين ثم ينتهي الأمر. واستمرت الغارات الليلية مدة أسبوع آخر وسقط بنتيجتها أربعة قتلى وهم امرأة اسمها فايزة وكان معها ابنها الصغير وكانت حبلى. ورجل من آل اسماعيل وهو ابن محمد علي اسماعيل، وسعيد محمد حمدان.

كما توفي رجل بعد أن مرت الطائرة على ارتفاع منخفض فوقه، واطلاقها لقذيفة نحوه سقطت غير بعيد منه. وقد وجد ميتاً إلى جذع الشجرة التي كان يختبىء تحتها والقتيل يدعى اسماعيل العبد شقير.

من العجيب أن الصواريخ والغارات الجوية لم تصب أي منزل في ميس طيلة أسبوعي القصف، جميع القذائف كانت تسقط بين البيوت لكن ليس عليها، وهذا عكس ما كانت العصابات اليهودية تسعى له. وقد راجت شائعات بين الناس عن أن بيوت القرية محمية من قوى غيبية، وأن المشايخ الميسيين القدماء قد قرؤوا آيات على تراب ورشوه في أربع جهات القرية حتى لا تؤذى لمدة خمسمائة سنة. كانت الأجواء تساعد على نشر مثل هذه الأحاديث، فصدق بها من أراد أن يصدق وكذبها آخرون.

بعد أسبوعين من رحيل جيش الإنقاذ، كان بعض الناس قد ألف البقاء في فترات الهدوء خاصة بعد منتصف الليل، في القرية، لكن أغلب الأسر كانت لا تزال تنام في البراري والرجال ترصد حركة الآليات

اليهودية في المنارة وما حولها، حتى مضى أسبوعان، فتحركت العصابات اليهودية كقطيع من الذئاب البشرية. كانوا بضع مجموعات، انتشروا حول القرية بشكل نصف دائري ليغطوا الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية في عملية اقتحام عسكرية تحت وابل غزير من الرمايات الرشاشة. الأهالي الذين كانوا في البراري سارعوا للفرار غرباً نحو قرى برعشيت وشقرا ومجدل سلم، وتبعهم بعد قليل من كان في القرية. أكثر الناس وصلوا إلى شقرا ونزلوا على بيادرها. هناك كانت كل أسرة تستكمل عديدها ثم تبحث عن أقربائها وتستخبر عن المختفين والمتخلفين. السؤال الذي كان يسأله كل واحد هو: هل قتل اليهود أحداً؟ والجواب جاء أخيراً، القتلى إثنين، رجل مريض جداً لم يتمكن من القيام من فراشه، وأم زوجته (حماته) التي أصرت على البقاء بجانبه. وهما فلسطينيان، كانا قد قدما من فلسطين قبل أشهر هاربين ولجآ في ميس. الرجل كان يصطحب معه بالإضافة إلى حماته، زوجته الشابة، كانت على ما بدا أنهما تزوجا حديثاً. وعندما بدأ الغزاة في دخول القرية، أصرت العروس على الفرار وترك زوجها المريض، بينما رفضت حماته، أمها، أن تفعل فعلها. وقد نجت العروس إلى شقرا ومن هناك إلى مكان مجهول، أما العريس والحماة فقد قتلا. قال من رآهما وسمعهما أن اليهود سألوهما عن سبب بقائهما في ميس رغم هروب كل الأهالي، فقالت المرأة أن بلدها محتلة في فلسطين، فقال لها اليهودي الذي كان يكلمها: «ارجعي إلى بلدك». فسارت وسار إلى جانبها صهرها وهو يتوكأ عليها امتاراً معدودة فانهال الرصاص عليهما. مكان قتلهما هو مفرق الطرق جنوب شرق الضيعة قرب مقبرة الشيخ إبراهيم.

كما ذكر أن امرأة عمياء قد تركها أقرباؤها في البيت لأنه لم يكن هناك إمكانية لحملها والجري بها مسافة خمسة إلى ستة كيلومترات. هذه المرأة قضت الأيام الثلاثة التالية وهي تصرخ مستغيثة دون أن يقترب منها أحد حتى ماتت، ربما جوعاً وعطشاً، وقيل أيضاً أن الوحوش أكلت جثها ولم يدفنها أحد.

استيقظ الناس على هول ما حدث، لقد أصبحوا مشردين لا قرية لهم، لا أرض ولا بيوت. كانوا تائهين لا يعرفون ماذا يفعلون. بعض الأسر، وهي قليلة، انتقلت في اليوم التالي للغزو إلى بيروت، آخرون لجأوا إلى بعض القرى البعيدة في الداخل، لكن الغالبية العظمى لبثت على بيادر شقرا، حيث ذكر أنه في الليلة التالية تساقط المطر فيها بغزارة بشكل غير متوقع في ذلك الوقت من السنة. كانت بداية العذاب الذي سيستمر شهوراً طويلة، أي حتى مطلع ربيع سنة ١٩٤٩ عندما قضت اتفاقية الهدنة بين لبنان وإسرائيل على انسحاب إسرائيل من القرى التي احتلتها في لبنان.

ذروة العذاب والقهر الذي واجهه الناس كان في الأيام التي تلت الإحتلال. لقد أدرك الفلاحون أن مواسمهم التي جمعوها وضبوها لا زالت في الكواير والمخازن. لقد اعتاد الفلاحون أن يهيأوا مؤنة سنتهم في الصيف، وقد فعلوا هذه السنة كما كانوا يفعلون في كل سنة، وقد تركوا كل ما جمعوه وراءهم. هذا الأمر حفز بعض الشبان المغامرين أو اليائسين على التوجه ليلاً إلى ميس، كل إلى بيته، حيث قاموا بحمل ما يقدرون على حمله ثم عادوا إلى عائلاتهم في شقرا. في اليوم التالي تشجع عدد أكبر على تجربة هذه المغامرة، فوجدوها سهلة. ثم تطور

الوضع ليصبح شيئاً مألوفاً، فما أن تغيب الشمس حتى يبدأ الرجال والنساء بالتوافد زرافات ووحدانا إلى قريتهم، فيحملون ويعودون. . .

تطور أسلوب المغامرة، صار بعض الواصلين يقضون ليلتهم في القرية ولا يخرجون منها إلا في نهار اليوم التالي بعد أن يطمأنوا إلى حركة الآليات والدوريات، خاصة وأنهم كانوا يرصدون الدوريات الآلية وقد اعتادوا أن يروا مرورها في وقت محدد كل يوم. لكن هذه المغامرة كلفت كثيراً من الضحايا. كانت أي دورية معادية ترى إنساناً يتحرك على الأرض فحركتها الفورية هي إطلاق الرصاص عليه. هكذا قتل عدد من الأبرياء.

بعد عودة الأهالي بدأ التندر بما حدث في أيام العذاب. كل رجل وكل إمرأة كان يحمل حكايات عن المغامرات التي مر بها. ما جلس اثنان بعد المأساة إلا روى كل منهما لصاحبه ما حدث معه، ثم انتقلت تلك الحكايات من الآباء والأمهات إلى الأبناء زارعة في نفوسهم حقداً ومقتاً لعدو ظالم وعاتي، كان هذا الحقد عتيداً أن ينفجر.

هكذا وجدت حكاية المأساة مسبوكة كحكايات المغامرات، ومثلاً على تلك المغامرات ما حدث مع المواطن أحمد عباس قبلان، الذي لاحقته دورية اسرائيلية وهو يهرب منها حتى دخل بيته، واختبأ في الداخون، وهو ساتر طيني فوق الموقد الذي يكون عادة في إحدى الزوايا في البيت ويمنع هذا الساتر (الداخون) الدخان من الانتشار في الغرفة، ويدفعه نحو المدخنة إلى أعلى. اختبأ أحمد عباس قبلان في الداخون، ودخل اليهود وراءه فلم يعثروا له على أثر، وهم يدركون أنه في البيت، فقرروا أن يحرقوا البيت وما فيه. هكذا قتلوه فيه احتراقاً أو

اختناقاً. وعندما عاد أهالي القرية عثر أبناؤه على بقايا جثته معلقة داخل الداخون.

كانت الدوريات النهارية للغزاة القتلة تفاجىء الذين غامروا وباتوا ليلتهم في القرية، وفي هذه الحالة كان ما حدث لأحمد عباس قبلان مماثلاً لما حدث لآخرين. إحدى الدوريات الآلية ظهرت فجأة على الطريق العام في ظهر المغارة إلى الجنوب الغربي من ميس فرأت امرأة وشابة تسيران على الطريق في بيادر الترمس، فأطلقوا النار عليهما فقتلت الشابة على الفور وهي سكنة علي حيدر وكان عمرها ٢١ سنة.

دورية أخرى وجدت رجلاً ضريراً يدعى فاضل، كان قد بقي في القرية طيلة الأيام السابقة، كان يظل مختبئاً معظم الوقت، وكان يحضر أقرباؤه إليه كل مساء تقريباً. هذا الرجل غامر وخرج من بيته في حي الضيعة منتقلاً إلى الغربية في محاولة لمغادرة القرية، فالتقى بدورية يهودية في الطريق. بعض الأشخاص كانوا قد اختبأوا في البيوت المجاورة عندما رأوا الدورية، فاضل كان ضريراً فلم ينتبه لما يجري. أحد اليهود سأله عن وجهة سيره فأجاب بأنه لا يعرف. فأطلق اليهودي النار عليه وأرداه. مكان مقتله على بعد أمتار من الزاوية الشمالية الغربية لجامع الغربية (جامع الإمام علي).

في نفس الفترة قتل اليهود في الضيعة امرأتين عاجزتين.

في إحدى الحوادث التي ظل يتندر بها الناس زمناً بعد ١٩٤٨ لجأت سبع نساء عجائز إلى أحد البيوت واختبأن من دورية للاحتلال، ومع أن تلك الدورية لم ترهن، إلا أن الخوف دفعهن للاختباء في كومة تبن في داخل تبّانة. وظللن في ذلك المكان يومين حتى شعرن بعطش

شديد وجوع فخرجن عصر اليوم الثالث فوجدن صوصاً ميتاً فتقاسمنه فيما بينهن، وشربن من ماء أحد الآبار القريبة ثم عدن لمخبأهن. وقد عثرت عليهن صدفة ابنة إحداهن في اليوم الخامس بعد أن ظن أنهن بين الأموات.

ومن حكايات الاحتلال والأهالي أن صبية كانت في القرية في النهار فرآها أحد جنود العدو فطاردها مع رفيق له في الحي الغربي ولم تجد أمامها مكانا تختبىء فيه سوى برميل كبير. وجاء الجنديان فبحثا في كل مكان ولم يجداها، أحد الجنود غادر المكان فيما أصر الآخر وهو الذي رآها اولاً على البقاء. بعد وقت من ذهاب رفيقه اقترب ذلك الجندي من البرميل واتكأ على حافته، فصرخت تلك الصبية هلعاً، فكان صراخها أشد رعباً في قلب الجندي الذي لاذ بالفرار، فخرجت من مخبئها وتوجهت نحو شقرا.

ومن قصص الاحتلال المضحكة أن دورية للعدو رأت رجلاً يحمل بعض الحبوب ويتوجه بها غرباً عبر كروم القندولة، بين شجر البطم الكثير، فأطلقت عليه النار لكنه لم يصب، واختبأ خلف أحد الجذوع الضخمة، فقام رجال الدورية بالاقتراب منه واعتقلوه واقتادوه إلى قرية بليدا، وكانوا يقيمون فيها مقر قيادتهم، وهناك حققوا معه حول أسباب وجوده في ميس، وماذا يفعل، فشرح لهم بصدق أنه جاء إلى بيته ليأخذ بعض المؤن لأولاده. الضابط الذي حقق معه كان يضع إلى جانبه كيساً كبيراً فيه كشك، رائحة الأحماض كانت تنبعث من الكشك فتثير لعاب الرجل الميسي، ولكنها كانت تثير قرف الضابط المعادي الذي سأل الرجل عن تلك المادة الموجودة في الكيس، فأجابه بأنها نوع من الطعام. فسخر الإسرائيلي منه وقال بتعجرف بأنه سيعطيه هذا الكيس بما

فيه. فلم يصدق الرجل ما سمع حتى حمل الكيس وسار به يصحبه جنديان، ظلا برفقته حتى وادي السلوقي غرب بليدا، وقبل أن يهبط الرجل إلى الوادي نظر أحد الجنود إلى كر (صغير الحمار) يقف وحيداً في البرية، فقال بشفقة بأنه ليس من العدل ولا من الرحمة أن يكون ذلك الكر وحيداً، ثم أمر الرجل أن يحمل الكر على كتفيه، فلم يجروء الرجل على مخالفة الأمر، وحمل الكر وكيس الكشك، وتوجه بهما نحو شقرا، وهو يشعر أنه عاد بغنيمة ما بعدها غنيمة.

وهناك بعض الأحداث التي تحكى من باب المغامرة المضحكة، رغم جو الآلام السائد، فقد اجتمع عدد من الرجال اليائسين بعد أيام من الإحتلال، وقرروا تشكيل وإرسال وفد من النساء العجائز، تكون مهمتهن مفاوضة الجيش اليهودي من أجل السماح للأهالي بالعودة إلى بيوتهم. تشكل الوفد من أكثر من عشر نساء، وتوجهن إلى موقع كان فيه عدد من الجنود اليهود، وقد حملن معهن راية بيضاء. لكن الجندي الوحيد الذي تقدم من بين رفاقه وقابلهن، هددهن وطلب منهن إبلاغ كل أهل ميس أنه لا مجال لعودتهم إليها. وهكذا فشلت مهمة الوفد النسائي.

جدير بالذكر أن أهالي ميس قاموا باستئجار بيوت من أصحابها في قرية شقرا. وعندما سقط المطر أراد المستأجرون أن يحصلوا على ماء المزاريب، فأبى أصحاب البيوت السماح لهم بذلك وادعوا بأنهم أجّروهم البيوت فقط دون المزاريب. فكانت هذه الأمور تزيد في مصاعب الأهالي وتعاستهم. وظل أهالي ميس فيما بعد يتذكرون ذلك بسخط.

بعد ١٩٤٨: الارهاب الإسرائيلي الدائم

انتهت الحرب، أو تأجلت، المهم انتهى الكابوس الفظيع وانسحبت القوات الإسرائيلية من ميس، ومن كل القرى التي احتلتها في المنطقة، وهي القرى التي تقابل الحدود مباشرة. بعض القرى لم تتعرض للتهجير، بل بقي أصحابها فيها كما كان الحال في كفركلا وعديسة ومركبا، قرى أخرى ذاقت مثل شقيقتها ميس، التهجير والتخريب، إحدى القرى وهي قرية حولا، نكبت أكثر من الكل، إذ وقعت فيها مذبحة رهيبة قضى فيها سبعون رجلاً، بعد جمعهم من قبل القوات الإسرائيلية، التي ظهرت بطولاتها العظيمة في أزهى صورها في ذبح المدنيين. لقد جمعت تلك القوات الضحايا من بين الناس، وأمرتهم بحفر خندق في أحد البيوت، ثم أطلقت عليهم النار. وبعد أن سقطوا جميعاً قامت باطلاق النار ثانية قصد قتل من يمكن أن يكون قد نجا من الضربة الأولى. ثم نسفت البيت فوقهم. نجا من المذبحة رجلين، كانا مصابين، الأول في صدره والثاني في بطنه، وقد انتقلا سيراً على طريق مجدل سلم إلى الغرب من حولا. وفي الطريق توفي المصاب في بطنه، بينما وصل الآخر حياً حيث أسعف وقدر له أن يعيش بعدها حتى سنة ١٩٩٨ وقد روى ما جرى معه مرات عديدة ونقلها الناس عنه.

بدأت إسرائيل الانسحاب من المناطق التي احتلتها بعد ٣٠ تشرين الأول ١٩٤٨ قبل توقيع الهدنة مع الحكومة اللبنانية، فأخلت موقع تل النحاس قرب كفركلا في ١٥ شباط ١٩٤٩ ثم خرجت قواتها من ميس ومن القرى الأخرى بعد ٢ نيسان ١٩٤٩[٥]. لكن اتفاقية الهدنة قد أبقت

بأيدي الإسرائيليين مساحة واسعة من أرض ميس تقدر بـ ٢٥ ألف دونم[٦]. وهذه الأراضي تشمل كل المساحة الممتدة من المنارة شمالاً وحتى النبي يوشع جنوباً بعرض يتراوح بين ١ كلم وثلاثة كلم وهذه الأراضي هي غير أرض ميس التي ضمت إلى خريطة فلسطين في تعديلات الحدود سنة ١٩٢٣.

بعد أن عاد أهل ميس إلى قريتهم واطمأنوا إلى وجودهم فيها، استيقظت فيهم حمية الجاهلية من جديد، فعادت مشكلة العراك والخلاف المزمن بين العائلات. صار انتخاب المختار يثير حرب كحرب داحس والغبراء، أما تعيين ناطور، فذلك يشعل حرباً أين منها حرب البسوس. كانت جاهلية جديدة لكنها هذه المرة لم تصل إلى حد سقوط قتلى، فقط عدد من الجرحى، كان يتزايد باستمرار. ولم تخف وتيرة هذه المشاكل حتى سنة ١٩٥٧ حيث بدأ الهدوء يستتب بين العائلات بشكل ملحوظ. ربما يعزى السبب في ذلك إلى إسراع الناس في الإنتقال إلى بيروت للعيش فيها، مما أضعف عدد الرجال الذين كانوا مستعدين لمواجهة خصومهم، وقلل وجودهم إلى أدنى حد.

سنة ١٩٦١ وقعت آخر مواجهة بين العائلات المتحالفة بسبب زواج شاب من هذه العائلة من شابة من العائلة المقابلة. انتهت هذه الجولة بالموافقة على اتمام الزواج وبالتالي اعترف الكل بأن هذه الخلافات لم يعد لها ما يبررها. وفي سنة ١٩٦٤ وقعت خلافات بين عائلة آل حمدان انتهت بسرعة ثم وقع خلاف بين آل حمدان وآل شقير حلفاء الامس ووقع عراك بالأيدي والعصي، واطلق الرصاص بغزارة، لكن أحداً لم يقتل، بل أصيب عدد من الجرحى، وانتهى الإشكال بمصالحة أنهت ربما إلى الأبد التصارع بين العائلات على النفوذ.

كانت ذكرى ١٩٤٨ ما زالت ماثلة في الأذهان، فكان كل اختلاف بين اثنين يؤدي عادة إلى تدخل مصلحين بينهما فيذكرانهما ما حدث سنة ١٩٤٨، وأن ما يواجهه الناس في القرية وفي المنطقة يجب أن يحفز الناس على التوحد لا على الاختلاف. لقد أصبح الحديث عن مواجهة ما أفرزه احتلال فلسطين على المنطقة أهم مادة في جلسات الناس وفي سهراتهم.

كان الحقد في صدور الناس على الإسرائيليين يترجم بتصرفات شعبية معينة، لقد تشكلت بعد ١٩٤٨ عصابات اتخذت من السرقة مهنة لها على أن يكون مسرح عملياتها الأراضي الفلسطينية المحتلة. وقد نجح هؤلاء الرجال في تكبيد المستوطنين خسائر جمة، فكانوا في كثير من الأحيان ينتظرون المستوطنين ليجمعوا محاصيلهم ثم ينقضون عليها، فيحملون ما يستطيعون منها على دفعات وينقلونها إلى أماكن بعيدة. استولوا على كثير من رؤوس الماشية، نهبوا بعض البيوت اثناء غياب المستوطنين عنها. لكن هذه العصابات تعرضت للملاحقة من رجال الدرك والجمارك والجيش اللبناني، وتمكنت الأجهزة العسكرية من القضاء على هؤلاء على مراحل، بعد اشتباكات متفرقة معهم. أصيب في إحداها أحد رموز العصابات وقتل.

ثم ابتدع الناس طريقة أخرى لمواجهة الأمر الواقع الجديد فصار الرعاة يتوغلون بقطعانهم داخل الأراضي المحتلة. كان يقف على رؤوس التلال بعض المراقبين فإذا ما رأوا دورية معادية أطلقوا إنذارهم فيقوم رفاق لهم بسوق رؤوس الماشية خارج الحدود. لكن هذا الأمر أدى في بعض الأحيان إلى مواجهة الإسرائيليين وجهاً لوجه، وجرت اشتباكات بين الرعاة الميسيين وبين الجنود الإسرائيليين بالحجارة مرات عديدة،

كان الرعاة يستأسدون فيها في مواجهة البنادق التي بدت عاجزة، وبدا أصحابها كالحملان الوديعة.

في إحدى المرات تمكنت دورية اسرائيلية من محاصرة مجموعة من النساء كن يجمعن الاعشاب من داخل الحدود، فاقتادوهن إلى السجون الإسرائيلية، ولم يعيدوهن إلا بعد أشهر ليسلموهن إلى الجيش اللبناني، الذي أوقع بهن عقوبات إضافية. في ذلك اليوم الذي استاقت فيه الدورية الاسرائيلية النساء معها، تمكنت امرأة واحدة من النجاة بعد أن تغلبت على الجندي الذي حاول اعتقالها، فانتزعت منه بندقيته وكسرتها ورمتها إلى جانبه وهو ينظر إليها خائفاً أن تقتله بها. بعد أيام من تلك الحادثة تعرضت دورية إسرائيلية مؤلفة من جنديين لرجل كان داخل الحدود من جهة فلسطين. حاول الجنديان المعاديان اقتياده للداخل فقاومهما بقوة، وتمكن من انتزاع سلاحيهما، ثم انهال عليهما ضربا وتركهما في حالة خطيرة، وترك السلاح إلى جانبهما وعاد إلى القرية. بعد ساعات قامت مجموعات إسرائيلية باعتقال رجل كان على الحدود وأخذوه إلى الداخل. هذا الرجل المسكين أعيد بعد يومين، أطلق قرب الحدود وهو عار تماماً، ووصل إلى بيته وهو في حالة يرثى لها، ولم يلبث أن توفي بسبب التعذيب الذي تعرض له أثناء أسره.

ثم دخل عدد من الجنود الإسرائيليين في وضح النهار إلى طرف القرية وأطلقو النار على امرأة في حقلها، من مسافة قريبة، أمام أعين الناس، فأردوها قتيلة. كان رجال الدرك يراقبون ما يجري عن بعد واكتفوا بالإتصال بمسؤول ما ليبلغوه بما حدث، بينما كان رقيب المخفر يضع يديه في جيوبه وهو يراقب إنهاء العملية الإسرائيلية.

سنة ١٩٦٣ قسمت القرية رسمياً إلى حيين شرقي ويشمل حي الضيعة كما كان يعرف، بالإضافة إلى كل البيوت التي تقع ما وراء الطريق العام القريبة من حي الضيعة إلى جهة الشرق والجنوب والشمال. وحي غربي يشمل حي الغربية كما كان يدعى. وأصبح في ميس مختاران: الأول في الشرقي هو محمد نجيب حجازي والثاني في الغربي وهو موسى خليل عمار. كما تم انتخاب مجلس بلدي لأول مرة في ميس، وأصبح محسن ابن الشيخ محمد علي قبلان أول رئيس له.

سنة ١٩٦٤ عقد مؤتمر القمة العربي الأول، كثيرون رسموا صورة خيالية لما يجري في المؤتمر، تصور بعضهم أن الحكومة سترسل أوتوبيسات وتأخذ النساء والأطفال إلى الخطوط الخلفية تمهيداً للقيام بهجوم عربي شامل يستعيد فلسطين ويعيد اللاجئين إلى ديارهم. لكن المؤتمر توصل إلى شيء مختلف وهو انشاء منظمات فلسطينية تشن حرب عصابات ضد إسرائيل.

بدأت الحرب الجديدة، عناصرها بضع رجال يتسللون ليلاً إلى المستوطنات، يخربون بعض المنشآت ثم يفرون. هذه الأعمال التخريبية بدأت سنة ١٩٦٥. وبدأت معها عمليات الإنتقام الإسرائيلية المنظمة. يبدو في كثير من الأحيان أن ما كان يجري كان مبرمجاً بطريقة يبقى تحت نطاق السيطرة. المهم هنا ما تلقته ميس نتيجة لهذه العمليات. في إحدى الليالي هز انفار عنيف بيوت القرية، حتى مادت البيوت كأن هناك زلزالاً. في صبيحة اليوم التالي عرف أهل ميس أن العين الوحيدة في قريتهم الواقعة على بعد كيلومترين من القرية قد جرى نسفها بالكامل. قدر خبير عسكري لبناني حجم العبوة التي زرعتها القوات الإسرائيلية بمائة كلغ من مادة ال تي إن تي.

في يوم الإثنين ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ يوم بدء العمليات العسكرية في الجبهات العربية الثلاث، كان أهل ميس يستطيعون رؤية ما يجري في هضبة الجولان السورية باستعمال المناظير. بل كان يمكن رؤية القصف المدفعي والجوي بالعين المجردة. وقبيل حلول مساء ذلك النهار كان معظم الأهالي يغادرون القرية للمبيت في البراري، تماماً كأنهم يستعيدون ما حدث سنة ١٩٤٨. في اليوم التالي مر أحد المسؤولين الكبار في السلطة اللبنانية، فاستغرب خلو الساحة من السكان، استوقف أحد المارة وسأله عما يحدث، فشرح له كيف هرب الناس خوفاً من قيام إسرائيل بعمل ما ضد قريتهم. سارع المسؤول وسعى في إرسال أوتوبيسات وشاحنات عملت على نقل معظم أهالي القرية إلى الخطوط الخلفية، تماماً كما كان الناس يتصورون عندما انعقد مؤتمر القمة العربي الأول.

لقد جرى نقل أهل ميس (معظمهم) إلى قرى عرمتى وكفرحونة ومليخ والريحان وجزين في قضاء جزين، حيث جرى تأمين المساكن على عجل ثم جرى تأمين إعاشات لإغاثة الناس مدة سبعة أيام. وعندما انتهت الحرب أعادت الحكومة اللبنانية أهالي ميس إلى قريتهم. هذه المرة ليكتشفوا الفارق بين إسرائيل الضعيفة وإسرائيل المتكالبة واللابسة لثوب القوة. اسرائيل التي كان الرعاة يهاجمون دورياتها بالحجارة فيفر جنودها أمامهم، إلى قوة تطلق النار بأعصاب باردة على كل جسم يتحرك.

في ليلة ١٣ ـ ١٤ حزيران سنة ١٩٦٨، بعد منتصف الليل بقليل، زرع فلسطينيون ينتمون لأحدى المنظمات المسلحة، لغماً على الطريق الترابية التي شقها الإسرائيليون على الحدود مباشرة، واكتشفته دورية آلية

اسرائيلية أثناء مرورها وقامت بتفكيكه. لكن الدورية أحبت أن تلقن ميس درساً رداً على ما فعل الفلسطينيون، فأطلقت قذائف المدفعية نحو البيوت. أكثر من ثلاثين قذيفة سقطت جميعها في الحي الشرقي. قتل في القصف امرأة مسنة وجرح أربعة بينهم رجل ذهب فكه الأسفل بكامله.

ثم بدأ القصف يصبح يومياً، على أطراف القرية، وبين البيوت، في الحقول، ليلاً، نهاراً، في أي وقت يريدون ما داموا لا يواجهون من يردعهم. أخطر حادث قصف جرى ليلة ١٥ ـ ١٦ آذار سنة ١٩٧٠ أصابت القذائف هذه المرة الحي الغربي، قتل طفل عمره سنة ونصف وأصيب أربعة من عائلته بجروح. بعد هذه الليلة شعر الناس أنه لم يبق هناك أمن وأمان لأطفالهم، فابتدأوا بالرحيل، إما إلى بيروت وإما إلى القرى البعيدة. بعض العائلات اكتفت بالهرب إلى شقرا ليلاً بينما كانوا يعودون نهاراً ليقوموا بأعمالهم لكن بحذر شديد.

في آب سنة ١٩٧٠ قصفت الطائرات الإسرائيلية قلعة دوبية، كانت تلك هي المرة الأولى التي تقوم فيها إسرائيل باستعمال طائرات الفانتوم بعد مدة وجيزة من استلامها من الأميريكيين. تمكنت الطائرات من تدمير القاعة الأولى في الزاوية الجنوبية الغربية، وأصابت جدران القلعة وبعض غرفها بأضرار جسيمة. وفي نفس اليوم والأيام التي تلت قامت المدفعية الثقيلة بدك القلعة ليلاً ونهاراً فوقع فيها مزيد من الأضرار.

ثم... ابتدعت إسرائيل طريقة جديدة لإثارة الرعب بين الناس، لقد أنشأت وحدات كومندوس خاصة، كانت تتوغل ليلاً نحو القرى، فتقوم بالتعاون مع عملاء محليين بنسف البيوت واعتقال الأشخاص الذين

كانوا ينقلون إلى داخل الأراضي المحتلة حيث يحاكمون بتهم مختلفة، وكأنهم مواطنون إسرائيليون خالفوا قوانين الدولة اليهودية. كثير من الذين اعتقلوا من القرى أرغموا على التعامل مع إسرائيل، والذين لم يقبلوا بذلك عادوا مرضى ومعاقين. وفي كل هذه الأحداث لم تكن الحكومة اللبنانية بسبب ضعفها العسكري في ذلك الحين، تحرك ساكناً. ومن عمليات الكوماندوس الإسرائيلي في ميس نسف ثلاثة بيوت لثلاثة اخوة سنة ١٩٧١ هم محمد وفخر الدين وبدر الدين أولاد محي الدين فلحة.

في ربيع سنة ١٩٧١ جرى تقسيم ميس من جديد فصارت أربعة أحياء. فقد قسم الحي الشرقي إلى ثلاثة أحياء هي الشمالي والشرقي والجنوبي وظل الحي الغربي كما كان، وقد جرى انتخاب مختارين للحيين الجديدين هما علي الزين عمار للحي الشمالي وعبد الكريم قاروط للحي الجنوبي، وحافظ المختاران الآخران على مركزيهما.

شهدت السنوات بين ١٩٦٧ و١٩٧٢ عمليات عسكرية متقطعة يمكن تسميتها بحرب الاستنزاف، اشترك فيها أطراف كثيرون في الجبهات العربية المختلفة، بالنسبة لميس فإن العمليات العسكرية التي حدثت قريباً منها من قبل منظمات فلسطينية كانت كثيرة ولكنها نادراً ما كانت تؤدي إلى نتيجة فعلية. أشهر العمليات التي حدثت، وكانت قريبة من ميس وراقبها الناس ورأوا تنفيذها بالعين المجردة هي عملية وقعت سنة ١٩٦٥ جرى خلالها محاولة لنسف خزان مياه الشرب في مستوطنة المنارة، وقد فشلت تلك العملية وكانت سبباً وذريعة للعدو لتفجير عين ميس وتفجير بيت في قرية حولا في ٢٧ آب ١٩٦٥. وقد جرت عملية أخرى سنة ١٩٧٠ في شهر نيسان، عندما وضع صاروخان قرب العين

بقصد إطلاقهما نحو المنارة فسقطا على مسافة قصيرة من مكان انطلاقهما. كما جرت عملية سنة ١٩٧٠ في شهر أيار حين تمكن خمسة من المقاتلين من الوصول إلى مقربة من مستوطنة المنارة حيث اشتبكوا مع دورية إسرائيلية، فقتل أربعة منهم وأصيب الخامس فزحف مسافة طويلة حتى جرى إسعافه، ولكن نتيجة العملية كان اشتعال النار في أحراش السرو التي تحيط بالمنارة.

عملية ثانية جرت قبل هذه العملية بحوالي الشهر في نيسان سنة ١٩٧٠ حين قام عدد من المقاتلين بنصب أربعة صواريخ كاتيوشا إلى الجنوب من ميس ووجهوها نحو موقع إسرائيلي بعيد نسبيا عن الحدود وربما خارج مرمى الصواريخ. وقد اكتشف أحد الرعاة وجود الصواريخ فأبلغ الجيش البناني بالأمر فسارعت دورية منه لتفكيك الصواريخ، وقبيل وصولها إليها انطلقت الصواريخ وسقطت قرب الحدود. عند ذلك أطلقت القوات الإسرائيلية النار نحو دورية الجيش فقتلت ضابطاً ورقيباً وأصابت جنديين. فأطلقت آليتان للجيش اللبناني كانتا متوقفتان وراء جدار مدرسة بليدا، نيران المدفعية على الآليات الإسرائيلية وأصابت منها إثنتين.

بعد هذه العملية وفي شهر أيلول ١٩٧٠ قامت مجموعة فلسطينية بالتقدم نحو الحدود قرب مرج نعي في بقعة البياض الجواني إلى الجنوب الشرقي من ميس، وقد فوجئت المجموعة بكمين اسرائيلي في نفس المنطقة، فاستشهد مقاتل وفر الآخرون. ولم يحضر أحد بعد ذلك لأخذ الجثة. بعد أيام طلب المرحوم الشيخ محمد علي قبلان (قدس سره) من بعض الاشخاص أن ينقلوا الجثة إلى ميس من أجل دفنها. لكن من ذهب إلى هناك عاد ليخبر بأن الجثة ملغّمة ولا يمكن المساس

بها. وظلت جثة ذلك الشهيد في مكانها حتى مزقتها الوحوش دون أن ينفجر أي لغم، مما أثبت أنها لم تكن أصلاً ملغمة. بعد بضعة أشهر قام رجل بحمل ما تبقى من عظام، ووضعها في كيس، وأحضرها إلى ميس حيث جرت الصلاة عليها وتم دفنها حسب الشريعة الإسلامية في مقبرة آل قاروط. وتم هذا العمل النبيل باشراف وتوجيه الشيخ محمد علي قبلان رحمه الله وأرضاه.

عملية أخرى جرت سنة ١٩٧١ في شهر آذار في كروم المراح وأدت إلى إصابات غير معروفة في صفوف العدو. كما جرت عملية أخرى في نفس المكان بعد سنة واحدة أدت أيضاً إلى إصابات، وقد أدى ذلك إلى قيام الفدائيين بعمليات عديدة في نفس الموقع.

أما باقي العمليات التي كانت الإذاعات تخبر عنها فكانت استعراضية أو وهمية ولا طائل تحتها.

ميس من حرب الإستنزاف إلى التحرير

في سنة ١٩٦٨ قامت الدولة اللبنانية بانشاء عدد من الملاجىء في ميس، عددها كان أربعة وجميعها في الغربية، وفي اليوم الذي بدأت فيه الإنشاءات قام عدد من طلاب الجامعات في بيروت بالمشاركة في الحفر ثم تابع العمال المستأجرون بقية العمل. وقد صارت هذه الملاجىء مأوى لكثير من العائلات خصوصاً اثناء الحرب سنة ١٩٧٠ وكذلك استعملت في حرب ١٩٧٣ لكن بأعداد أقل. وجدير بالذكر أنه جرى انشاء ملجأين آخرين في فترة لاحقة أحدهما في المدرسة الابتدائية قرب الساحة.

في سنة ١٩٦٩ أقدمت السلطة اللبنانية على انشاء حرس مسلح في

المنطقة الحدودية المحاذية لإسرائيل. كان عدد الذين جندوا في ميس يبلغ خمسين رجلاً، معظمهم تجاوز الخمسين من العمر. كانوا أشبه بجنود عجائز ببنادقهم الإنكليزية القديمة التي توقف استعمالها في الجيوش منذ الحرب العالمية الثانية. تم تدريب هؤلاء على أيدي رقباء في الجيش اللبناني، ثم سلموا الأسلحة والذخائر وحددت لهم مهمات مبهمة. وعندما تأزم الوضع سنة ١٩٧٠ أثناء حرب الاستنزاف، وجد هؤلاء المسلحون أن أفضل عمل يقومون به هو الهروب مع الهاربين من المنطقة إلى مكان أكثر أمناً، وهكذا انتهت هذه المجموعة دون أن يكون لها دور في الأحداث.

وفي سنة ١٩٧٣ قررت السلطة اللبنانية إنشاء فرقة خاصة تلحق بالجيش اللبناني كرديف له، عرفت هذه الفرقة بأنصار الجيش. تم تجنيد حوالي الثلاثين رجلاً في ميس، هذه المرة كانوا كلهم تقريباً من الرجال دون سن الأربعين، بعضهم كان دون العشرين. تلقى أفراد هذه الفرقة تدريباً عسكرياً كتدريب الجنود النظاميين ثم تسلموا اسلحة كانت كلها حديثة، كما تلقوا مرتبات شهرية باعتبارهم جنود عاديين.

في نفس الفترة أي سنة ١٩٧٣ تم وضع مركز عسكري للجيش اللبناني في موقع رأس الضهر إلى الغرب من ميس قرب خزان المياه، كانت مهمة عناصر هذا الموقع مراقبة ما يجري في المنطقة من حولهم. وكان مركز للجيش قد أوجد قبل ذلك في سنة ١٩٧١ في الحي الشرقي في أحد البيوت المشرفة على الحدود مباشرة.

عندما بدأت الحرب الأهلية في لبنان سنة ١٩٧٥ ظلت الحياة طبيعية في المنطقة، ظل عناصر الجيش يراقبون ما يجري، وظل عناصر الأنصار (أنصار الجيش) يقومون بدورياتهم في القرية كل ليلة.

في صيف سنة ١٩٧٥ أحضر إلى مركز ميس العسكري جندي بدا منذ لحظة وصوله أنه مجنون. قام هذا الجندي باطلاق النار في الهواء فوق رؤوس المارة دونما سبب، أوقف بعض الفلاحين أثناء ذهابهم إلى حقولهم واعتدى على واحد منهم بالضرب بعقب بندقيته أمام نظر رقيب المركز دون أن يوقفه عند حد. تسبب في كسر ساق أحد الشبان بعدما هدده بالسلاح قاصداً إطلاق النار عليه. قال رقيب المركز بأن هذا الجندي مجنون لأن أخاه قد قتل في الشمال، وهو يريد أن ينتقم لأخيه من أي كان. وعندما وصلت حركاته إلى حدود الخطر تلقى المركز تحذيراً بأن عناصر مسلحة ستهاجمه في الليل وتقتل ذلك الجندي. عصر ذلك اليوم جاءت سيارة عسكرية وقامت بنقل الجندي إلى مكان آخر.

بدأت اخبار الحرب الأهلية المريعة التي اندلعت في ١٣ نيسان ١٩٧٥ تصل إلى الناس في ميس وفي كل المنطقة، كان الشحذ الطائفي والمذهبي يتأجج كل يوم مع وصول جثث الضحايا الذين كان يقال أنهم قتلوا لأنهم شيعة فقط. كانت ميس تشيع من الأبرياء عدد من الضحايا بمعدل ثلاثة كل أسبوع. جميع الضحايا الذي دفنوا في ميس في بداية اشهر الحرب كانوا من الأبرياء. لكن الموقف تغير عندما استشهد الشهيد حسين العبد طه. كان مقاتلاً شرساً، لقد نفذ عدة عمليات في الماضي داخل فلسطين، أمه قتلها اليهود أثناء هجوم على ميس ببرودة أعصاب، فظلت صورتها ماثلة أمامه. قيل بأنه في العمليات التي شارك فيها في فلسطين كان مثالاً للجرأة والبسالة والإقدام. أخيراً أثناء عملية جرت في سن الفيل اصيب برصاصة مجهولة المصدر فاستشهد.

في مكان آخر، كانت مجموعات تنتمي إلى حركة المحرومين، التي صار اسمها لاحقاً حركة أمل، تتدرب على استعمال السلاح في

صيف سنة ١٩٧٥، فانفجرت عبوة ناسفة بين يدي المدرب. قتل في الحادث عدد من الشبان وكانت حصة ميس منهم الشهيد عبد الأمير عمار.

وتزايد عدد الشهداء بعد ذلك، سقط الشهيد علي سعيد قبلان أثناء معركة الدفاع عن حي المسلخ ـ الكرنتينا. وفي السنة التالية استشهد أحمد طه وحسين غضبان وعلي عليوي ومحمد أبو شر. كان عدد الشهداء يتزايد، ويتزايد أكثر عدد القتلى المدنيين حتى تجاوز العدد مائة وخمسين مدنياً مع نهاية سنة ١٩٧٦. ثم تزايد العدد مع دخول سنة ١٩٧٧ خاصة بعد أن تحولت المنطقة القريبة من ميس إلى جبهة حرب، عندما بدأت اسرائيل تفرض سيطرتها على عدد من القرى المسيحية مستخدمة عناصر من الخونة والمجرمين وقطاع الطرق. هكذا سيطرت اسرائيل بواسطة عملائها على قرية رميش في القطاع الغربي وقرية القليعة في القطاع الأوسط، ثم توسعت دائرة احتلالها لتشمل القرى القريبة من هاتين القريتين فأغلقت بالتالي الطريق بين ميس ومرجعيون عند تل النحاس. كما أصبحت الطريق إلى بيروت عبر موقع صف الهوى إلى الشمال الغربي من بنت جبيل معرضاً للرصاص.

في تلك الآونة أقدمت القوى النافذة في المنطقة على شق طريق تربط قريتي حولا وشقرا، فساعد ذلك أهل ميس على اختصار المسافة وسلوك طريق حولا شقرا الاكثر أمناً.

لكن الغول الإسرائيلي الخبيث كان يلعب لعبة الدم والنار دون أن يجد قوة تصده، أو رادعاً يردعه. هكذا أرسلت القيادة العسكرية الإسرائيلية رسالة عبر بعض الرعاة إلى مختار الحي الشرقي محمد نجيب

حجازي تطلب فيها أن يتوجه وفد من ميس إلى الحدود للإجتماع مع ضباط إسرائيليين. وقبل أن تعرف الجواب فاجأت القرية بقصف مدفعي بقذائف فارغة من العبوة. فكانت القذيفة عندما تسقط على أحد البيوت تسير مسافة في البيت والتراب محطمة كل ما تصادفه. لم يؤد هذا القصف المرعب إلى سقوط ضحايا، بل إلى تخريب في بعض البيوت المصابة. في اليوم التالي توجه المختار إلى المكان المحدد للاجتماع. كان معه وفد من ستة رجال مسنين. كان في الإجتماع مسؤول مخابرات إسرائيلي ادعى أن اسمه جعفر، وقد عرف لاحقاً أن اسمه الحقيقي هو يورام مزراحي. كان إلى جانب جعفر الضابط سعد حداد اللبناني، بالإضافة إلى عسكريين آخرين لبنانيين وإسرائيليين. وقد أبلغ يورام المختار بأن الجيش الإسرائيلي سيضطر لاحتلال ميس وما حولها إذا لم يقم الأهالي بدعوة سعد حداد للسيطرة على القرية. كان جواب المختار أمام أعضاء الوفد أن هذا الوفد ليس حكومة، وميس ليست دولة مستقلة، ميس كما قال تابعة للحكومة اللبنانية، وإذا كانت إسرائيل تريد أن تدخل ميس بالقوة فإنها ولا شك تستطيع ذلك، لكن أن يقوم أهل ميس بدعوة سعد حداد إليها؟ فهذا مستحيل إلا إذا طلبت الحكومة اللبنانية ذلك.

عاد الوفد عند الظهر ليبلغ جمعية عمومية لأهالي القرية بما جرى، فأدرك الجميع أن المسألة مسألة وقت حتى تدخل قوات إسرائيلية إلى ميس.

بعد هذه الحادثة بأيام دخلت دورية إسرائيلية إلى المرج الشمالي وأقامت حاجزاً على الطريق العام. ثم بعد أيام أيضاً تحركت قوات سعد حداد من القليعة واستولت على مرجعيون حيث استشهد الجندي

الإحتياطي الميسي جعفر شقير، وقد قتل عمداً بعد استسلام حامية الثكنة.

ثم تحركت قوات سعد حداد نحو الجنوب فعبرت مركبا وحولا وميس وبليدا حتى مدخل عيترون حيث تصدت لها دورية للحركة الوطنية واصابت قذيفة أطلقها أحد شبان الدورية الوطنية آليةً لجيش سعد حداد فدمرتها. استشهد ذلك الشاب بعد لحظات من ذلك، لكنه منع العدو من التقدم، واضطرت قوات سعد حداد للعودة من حيث أتت.

في مطلع سنة ١٩٧٨ (تحديداً ١٤ شباط) دخلت دورية مشاة إسرائيلية إلى ميس ومعها بعض رجال من جيش سعد حداد. مجموع الدورية كان ١٢ جندياً وصلوا حتى الساحة دون أن يتصدى لهم أحد، وقد اقفل كل الناس في ميس أبوابهم وأبواب محالهم التجارية واعتصموا داخل بيوتهم حتى مغادرة الدورية. وفي يوم ١٦ شباط سنة ١٩٧٨ عملت جرافة إسرائيلية على شق طريق بين الموقع الإسرائيلي في ضهر العاصي شرقي ميس، في الحي الذي يحمل نفس الإسم، وبين الطريق الداخلية التي تربط ضهر العاصي بالحي الشرقي. بعد أقل من ساعتين أكملت إسرائيل تنفيذ هذا العمل. كان هذا الوقت كافياً ليغادر كثير من أهالي القرية بيوتهم نحو أماكن أخرى أكثر أمناً، لكن من بقي في القرية كان كثيراً، ربما أكثر بكثير مما كانت اسرائيل تفترض وجودهم. لقد اصبحت ميس تحت الإحتلال ابتداءً من ١٦ شباط ١٩٧٨، قبل شهر على اجتياح باقي المنطقة.

في ١٥ آذار سنة ١٩٧٨ بدأت إسرائيل عملية سمتها عملية الليطاني رقم واحد سيطرت بسهولة فيها على منطقة تمتد على طول الحدود

بعرض يتراوح بين ٦ و١٥ كلم. ولم تلاق في تحركها مقاومة تذكر، باستثناء مقاومة مجموعات قليلة هنا وهناك. يمكن التنويه هنا بصمود مجموعة من ثمانية شبان عند صف الهوا قرب بنت جبيل في وجه العدو، قاومت هذه المجموعة حتى الاستشهاد وأثبت رجالها أن امكانية قتال العدو ممكنة بشروط معينة. كانت نتيجة الإجتياح الاسرائيلي ١٩٧٨ احتلال المنطقة الموازية للحدود بطول ٨٤ كلم ووضعها تحت السيطرة المباشرة للعدو، وكانت النتيجة المعنوية أسوأ بكثير خاصة عندما أصبح هناك قناعة راسخة في عقول الناس أن إسرائيل هي الفرعون العصري الذي يحلل ويحرم ويرفع ويخفض كيفما شاء. فمن سيدعي أنه قادر على محاربة إسرائيل ـ الفرعون؟

بعد قرابة ثلاثة أشهر، وبالتحديد في ١٣ حزيران سنة ١٩٧٨ قامت القوات الإسرائيلية بتمثيلية مسرحية في ساحة البركة في ميس (هذا المكان سيصبح بعد هذا التاريخ ساحة للاحتفالات العامة في ميس في كل المناسبات). وقفت مجموعة آلية من القوات الإسرائيلية في جانب ووقف في مقابلها مجموعة من قوات سعد حداد التي دعيت منذئذ بجيش لبنان الجنوبي، وعلق على سارية بين الطرفين علمان، واحد إسرائيلي في أعلاها وآخر لبناني في أسفلها. وعند بدء الإحتفال، ألقى ضابط إسرائيلي كبير خطاباً أعلن فيه أن قواته التي طردت المخربين ستقوم بالإنسحاب وبتسليم المنطقة لقوات لبنانية شرعية. ثم أنزل العلم الإسرائيلي ولفه باحترام فقام ضابط من جماعة سعد حداد برفع العلم اللبناني والقى كلمة شكر فيها الأصدقاء الإسرائيليين الذين حرروا المنطقة!

هكذا سلخ ما عرف لاحقاً بالشريط الحدودي أو الحزام الأمني عن

لبنان، ثم أعلن سعد حداد قيام دولة لبنان الحر في المنطقة المسلوخة وفرض على السكان الحصول على بطاقة هوية صادرة عن إدارة دويلته. كانت الهوية الجديدة صفراء اللون عرّفها الناس لاحقاً بالبطاقة الصفراء. واستدعى سعد حداد الحرس القديم أي مجموعة أنصار الجيش التي كانت في القرية وفرض عليهم القيام بنفس الدور الذي قاموا به قبل الحرب، فوجد الناس بسهولة أن لا فرق بين هذه المجموعة قديماً وحديثاً. وربما يكون ذلك فرضاً بالقوة كما قيل في تعليل هذا الواقع. لكن أسوأ ما في هذه المرحلة هو أن الذين تسلموا الأمر برعاية إسرائيل، قد شعروا أنهم مطلقو الأيدي في التصرف بأموال وأعراض وأنفس الناس، بينما كانوا مقيدين بالقوانين والأعراف أثناء حكم السلطة الشرعية اللبنانية. ففرضوا الخوات على البيوت والعائلات، ثم فرضوا خوات أكبر بكثير على أصحاب البيوت الذين كانوا يعيشون في بيروت تحت التهديد بتدميرها إذا لم يتم الدفع. لاحقاً فرضوا خوات على الأشخاص، كان الممتنع عن الدفع يساق إلى أحد السجون حيث يتم تعذيبه أو تلفيق تهمة له حتى يدفع الغرامة المطلوبة منه. كأن السفر برلك قد عاد ثانية، وكأن جواسيس السلطان هم أنفسهم قد عادوا ليكونوا جواسيساً لجيش الاحتلال.

في مقابل ذلك كانت الأطراف الداخلية (الأحزاب) في المناطق المحررة ليست فقط عاجزة عن مواجهة المحتل، بل كانت تخوض فيما بينها صراعاً دموياً قاتلاً، مما زاد في حالة اليأس العامة بين الناس. وفي أزهى الأحلام، كان أكثر ما يفكر فيه أي مواطن في الجنوب المحتل أو القريب من خط التماس، هو أن تعود الأوضاع التي كانت سائدة قبل الحرب الأهلية رغم ما كان فيها من مرارة وذل وإهمال.

وفي ظل هذا الظلام والظلم، ومن قلب اليأس الرهيب الذي التف حول أعناق الناس وكبلهم، انبثقت الثورة الإسلامية في إيران. كأن زلزالاً أصاب النفوس والقلوب، فارتد صدى الثورة في العقول والحناجر في لبنان. في لحظة من الزمن وقف التاريخ، انقلبت عقارب البوصلة مائة وثمانون درجة، قال السيد روح الله الموسوي الخميني كلمات محدودة ومعدودة عن ولاية الفقيه والعدل، فكأن الناس عادوا يستمعون إلى المحقق الكركي يردد كلمات الشهيد الأول. لقد اجتمع التاريخ بالعقل، والماضي بالحلم، حتى تكشفت للمبصرين حقيقة ثابتة، وهي أن قوة الفرعون لا يمكن أن تهزم عصا راعي الأغنام، لأن وراء قوة الراعي - النبي تقف قوة الإله الجبار المطلق، قاصم الجبارين.

بدأت تظاهرات الولاء للخميني في بئر العبد، في ضاحية بيروت الجنوبية، ثم شملت المناطق الشيعية في لبنان خاصة في الجنوب، ثم اتسعت لتطغى كقوة هائلة على مسرح الأحداث أمام ذهول منظري السياسة في لبنان الذين لم يستطيعوا تعليل الحركة الجديدة بصدق. وعندما اكتشف هؤلاء حجم الحركة الأصولية ومدى قدرتها على المواجهة، كان الوقت قد تجاوزهم وصارت امكانية السيطرة على الشارع الشيعي كما كان الحال في مطلع الحرب الأهلية، مستحيلةً. هكذا تساقطت المنظمات المحلية المرهونة لحكومات عربية وغربية الواحدة بعد الأخرى، في ظل ازدياد واتساع الأصولية الجديدة.

في ٤ حزيران ١٩٨٢ بدأت اسرائيل قصفاً جوياً كثيفاً جداً على بيروت وضواحيها، واستمر القصف يومين متعاقبين، وفي اليوم الثالث تحركت دباباتها من الجنوب نحو الداخل فيما أنزلت قوات مدرعة في جبال الشوف، وفي خلال يومين ظهرت القوات الإسرائيلية في منطقة

بعبدا في ضاحية بيروت الشرقية. وفي هذا الإجتياح الجديد حدثت مواجهات محدودة مع الجيش العربي السوري في معركة السلطان يعقوب في البقاع، كلفت العدو بعض الخسائر. كما جرت مواجهة مع مجموعة من المقاتلين الشيعة في خلدة على مدخل بيروت الجنوبي حيث تمكن هؤلاء المقاتلون من تدمير عدد من آليات العدو وأسروا دبابة نقلت إلى الداخل. هذه المواجهة، أو معركة مدينة الزهراء كما عرفت، كانت المدخل العريض لتقرير شكل التعامل مع العدو في مستقبل الأيام. تماماً كما قاومت مجموعة من الشبان قرب صف الهوا في اجتياح ١٩٧٨، وأثبتوا القدرة على القتال، هكذا أثبت مقاتلو خلدة أنهم قادرون على الانتصار.

كانت نتيجة الاجتياح المباشرة دخول الإسرائيليين بيروت فأصبحت الأراضي اللبنانية كأنها امتداد لدولة سعد حداد الحدودية.

دخول اسرائيل إلى بيروت قد حول وجودها إلى تخمة زادت كثيراً عن قدرتها الحقيقية على استيعاب ما استولت عليه، خاصة أن الحقد المتصاعد على ما آلت إليه الأحوال قد تفجر بشكل مقاومة مسلحة هائلة ومدمرة كان من المستحيل أن تقف أي قوة في وجهها.

النتيجة اللاحقة للاحتلال كانت بوجه من الوجوه إلغاء لوجود إسرائيل في لبنان، وربما لاحقاً لإلغائها بالكامل.

لقد خسرت ميس أثناء الإجتياح عشرات القتلى المدنيين الذين دفن معظمهم في بيروت ونقل إلى ميس أكثر من عشرة قتلى فدفنوا فيها. وفي مقاومة الغزو الإسرائيلي استشهد اثنان من ميس ودفنا في بيروت.

وابتدأت المقاومة... عمليات متلاحقة في بيروت، حتى أُخرجت

اسرائيل منها لتسلمها للجيش اللبناني الذي واجه وجوداً قوياً لميليشيات مسلحة مختلفة الولاءات مما أضعفه وأربك حركته خاصة بوجود ضعف سياسي هائل في مؤسسات الدولة. وقد أدت بعض التصرفات غير المسؤولة إلى وقوع عمليات إجرامية مثل الخطف والقتل وتفجير بعض البيوت على رؤوس أصحابها، وقتل المتظاهرين عند مسجد الرسول الأعظم حيث استشهد ستة رجال، واجتياح بيروت الغربية خصوصاً المناطق الشيعية فيها حتى شبه كثيرون ما جرى في صيف سنة ١٩٨٣ في بيروت بالنسخة اللبنانية للاجتياح الإسرائيلي حيث سقط عدد كبير من الضحايا. . .

لكن المقاومة استمرت وصارت الضربات تتوالى على القوات الإسرائيلية في الضاحية الجنوبية لبيروت، في نفس الوقت كانت المقاومة تهاجم جيش العدو في مناطق مختلفة وتم في إحدى الهجمات تدمير مقر المخابرات الاسرائيلية في صور، فانسحبت اسرائيل بتأثير ذلك من الجبل إلى الجنوب، وأغلقت المعابر المؤدية إليه باستثناء معبر باتر - جزين حيث ذاق الناس الأمرين طيلة سنتين وأكثر كانت العمليات خلالها تزداد وتشتد. فاضطرت اسرائيل مجدداً إلى الخروج من الجنوب لتبقي على احتلالها على الشريط الحدودي الذي انطلقت منه سنة ١٩٨٢ مع إضافة منطقة جديدة له هي منطقة جزين وقلعة الشقيف، ولتهاجم بعد أيام على هذا الانسحاب قرية الزرارية حيث قتلت مثل عادتها عدداً من المدنيين الأبرياء، وقد تصدى لها باندفاع جنوني عدد من الشبان المؤمنين في محاولة لردعها عن غيها وتمكنوا من ارغام جيشها على التراجع رغم أن ستة من هؤلاء بينهم واحد من ميس قد استشهدوا في العملية.

وأخيراً أرغمت اسرائيل سنة ١٩٨٥ على التراجع إلى المنطقة التي انطلقت منها سنة ١٩٨٢، وتحقق نصر مؤزر للمقاومة، ولكن... جرى لاحقاً مسخ هذا النصر وتحويل الأنظار عنه في داخل لبنان. لكن المقاومة استمرت....

بعد الإنسحاب إلى المنطقة الحدودية ازدادت العمليات وتكثفت ولم تتوقف، وأصبحت ابتداءً من سنة ١٩٨٦ هجمات منظمة كبيرة ومخيفة. كانت الضربة الأولى للعدو في موقع الحقبان وهو تل مرتفع يشرف على مجموعة من القرى في قضائي بنت جبيل وصور. تمكن المقاتلون المهاجمون من اقتحامه وتدميره وأخذوا أثناء انسحابهم آليتن عسكريتين. استشهد في المعركة الشهيد حسين محمود قاروط من ميس فكان واحداً من أوائل الذين اضاؤوا الشعلة التي أحرقت العدو ودمرت كبرياءه. وتبعه الشهيد مصطفى مسعود شقير، وكان سقوط الشهداء في الميدان حافزاً لتكريم المجاهدين الذين تنكروا للدنيا وألحقوا أنفسهم بخط الأنبياء والأئمة والأولياء.

وكرت العمليات النوعية،حتى اكتشف الناس أن هزيمة العدو صارت قاب قوسين أو أدنى من التحقيق. لكن الوضع الداخلي قد جرى إرباكه، وانشقت الساحة الجنوبية على نفسها ووقعت أحداث عنف كبيرة شبهت بحرب أهليية شيعية ـ شيعية. المئات من الشبان قضوا في هذه الحرب الفتنة وانقسمت الأنفس وانتشر الحقد... بدا ليل الاحتلال أكثر حلكة مما كان قبلاً، فما كان الناس يخشون منه من أعداء أصبح سهلاً أمام ما يواجهون من صراعات داخلية.

هذه الحرب الداخلية استغرقت من سنة ١٩٨٨ حتى سنة ١٩٩٢

وشكلت فرصة ثمينة للعدو للاستمرار في السيطرة على الحدود، كما شكلت صدمة عميقة للذين كانوا يراهنون على انتصار محدود للمقاومة. واستشهد في هذه الحرب المرة كثير من الشبان من ميس من بينهم الشهيد علي رسلان شقير. لكن الأمور تطورت بعد ١٩٩٢ بشكل مغاير لما أراده الأعداء، واستعادت المقاومة تحركها الفعلي في خريف تلك السنة لتبدأ بممارسة عمليات محدودة ومدروسة حتى استدرجوا العدو إلى مواجهة مباشرة في وادي الشهداء قرب كفرا. في تلك المواجهة التي استغرقت سبعة أيام بتقطع، تبين أن العدو غير قادر على المواجهة المباشرة مع أي طرف حتى لو كان أضعف منه بمراحل. كلمة موت كانت تعني للجنود الإسرائيليين شيئاً رهيباً، الجندي الإسرائيلي يريد أن يستمتع بالحياة، لا بالموت، لذلك فهو غير مستعد للموت في سبيل أي شيء حتى لو كان هذا الشيء دولة إسرائيل، كما أنه غير مستعد للموت من أجل أحد حتى لو كان هذا الأحد حكومة إسرائيل. فليس أمامه في حال تعرض للخطر إلا . . . الفرار. هكذا فر جنود العدو في معركة كفرا ـ وادي الشهداء تاركين وراءهم آلياتهم المحترقة وبعض أعتدتهم. ووجهت دولة الفرعون ـ إسرائيل لأيام عديدة بعد ذلك طائراتها تدك البيوت في القرى الآمنة البعيدة عن خطوط المواجهة. في تلك الحالة وجدت المقاومة أن أفضل طريقة للدفاع عن القرى العاملية اللبنانية هي الهجوم على مستوطنات العدو، فأطلقت صليات من القذائف الصاروخية والمدفعية عليها. وأذاعت المقاومة بعد ذلك أن ردها سيكون على أهداف مدنية في كل مرة تقوم إسرائيل فيها بقصف أهداف مدنية. وقد أصبحت هذه المعادلة، أمام تمكن رجال المقاومة من التصدي بحزم للعدو، عامل حاسم في منع العدو من القيام بأعماله الإجرامية ضد

المدنيين، وهي الأعمال التي اعتاد القيام بها منذ نشوء دولة إسرائيل، ليثبت بها مقدار بطولات جنوده!

واستمرت العمليات وتصاعدت، هوجمت مواقع العدو في كل مكان، سقط في صفوفه قتلى وجرحى كثيرون، تصاعدت الصرخة في قلب الكيان الإسرائيلي للبحث عن حل لأزمتهم في لبنان. وأخيراً فكرت قيادة العدو بتوجيه ضربة ضد المدنيين تكون رادعاً للمقاومة، فشنت في شهر نيسان سنة ١٩٩٦ حرباً عواناً على القرى الجنوبية، وبعد أكثر من أسبوع على القصف تبين أن عدد القتلى اللبنانيين المدنين قد زاد على المائة والخمسين بينهم عدد كبير من الأطفال قضى العدد الأكبر منهم في مذبحة رهيبة جرت في قرية قانا، في حمى مركز من مراكز الأمم المتحدة التي سمحت لعائلات كثيرة بالتجمع في خيمة من أجل الحماية فقامت طائرة هليكوبتر إسرائيلية بمهاجمة الخيمة عمداً وقتلت وأصابت معظم الموجودين فيها، فأثبتت مرة جديدة مقدار السادية التي يتحلى بها الإسرائيليون.

تصاعدت الصرخات في العالم تطالب بوقف المذابح ضد المدنيين. وأخيراً تم الإتفاق على تحييد المدنيين في الأحداث المستقبلية. وهكذا بدت تلك الحرب وكأنها تراوح في محل الأزمة دون أن تحلها. وخرجت المقاومة أقوى بكثير جداً مما كانت، صار الحلم واقعاً، الهزيمة للعدو صارت مسألة وقت. كان عدد الشهداء فيها يزداد لكن قرب كل اسم شهيد كانت تكمن هزيمة للوجود المعادي. أكثر من عشرين شهيداً من ميس سقطوا في السنوات الأربعة اللاحقة لعملية قانا. من أهم وأشهر هؤلاء كان الشهيد الحي محمد حميد. أرسل الشهيد محمد حميد في عملية عسكرية خطيرة جداً. كان احتمال نجاته منها

يقارب الصفر، فكتب وصيته بيده ثم توجه إلى هدفه وكأنه ذاهب في نزهة. لكنه القدر المقدر الذي يصر على حرمان العدو من نصر حقيقي على أي مقاوم، حتى لو كان هذا المقاوم شاباً وحيداً. اسرائيل تنتصر فقط حين تحارب عزلاً أو حين لا تحارب أحداً، أما إذا واجهت من يقاتلها، حتى لو كان فرداً، فلا يمكنها أن تنتصر، يأبى الله لها ذلك وهو القادر المهيمن. واجه الشهيد آليات معادية وأفراداً، ففروا من بين يديه، نزلوا من آلياتهم وراحوا يلقون بأسلحتهم ويفرون. فانتقل محمد حميد راجعاً إلى المنطقة المحررة دون أن يصاب بأذى. لقب محمد بعد هذا الهجوم بالشهيد الحي، لم يعرف بحقيقته إلا قلة، تحدث الناس عنه وكأنه شبح، كان يسمع كلمات الثناء عليه من الناس دون أن يعرفوا حقيقته، حتى أهله وذووه الذين عرفوا بعمليته وكالوا المديح للشهيد الحي لم يعرفوا أنهم يتحدثون عنه إلا عندما استشهد بعد حين، في عملية عادية.

ومثل عملية الشهيد الحي كانت عملية أخرى جرت في وادي القيسية، أو وادي السلوقي، حين حاولت مجموعة من مشاة العدو التقدم في ذلك الوادي بغية نصب كمين للمقاومة هناك. كان عملاء من أذناب اسرائيل في المنطقة قد استطلعوا المكان وتأكدوا من جدوى الكمين وأهميته. وفي الوقت المناسب تحركت مجموعة من جنود العدو لتكتشف متأخرة أن رجال المقاومة قد سبقوها إلى نفس المكان وكمنوا لها فيه. سقط عدد كبير من جنود العدو قتلى واستشهد للمقاومة شابان أحدهما الشهيد الميسي حسين محمود قبلان، الذي كانت عمليته وجرأته قاصمة لظهر العدو في المنطقة، حيث لم يجروء العدو بعد هذه العملية على القيام بنصب كمائن خارج مواقعه الحصينة.

وماذا عن الشهداء الكثر الآخرين؟ كل واحد منهم يحمل في استشهاده قصة بطولة نادرة، هكذا سقط الشهيد عباس الوزواز بعد أن أصيب بيده فقاوم حتى الاستشهاد باليد الثانية، هكذا يمكن أن يحكى عن الشهيد علي موسى نصر الله والشهيد حسن شما والشهيد علي طه...

هكذا يمكن أن يقال عن الشهيد الشيخ موسى قاروط الذي حاول عملاء العدو التشفي من جسده بعد استشهاده فأثبتوا ساديتهم الشبيهة بسادية أوليائهم الإسرائيليين... لكن الزمن لم يطل أكثر حتى انهار العملاء وانهار العدو وتم النصر لمن نصروا الله. فكيف تمت الضربة الأخيرة للعدو وأذنابه؟

في صبيحة يوم ١٩ أيار ٢٠٠٠ تحركت مجموعات من رجال المقاومة يؤازرها تحرك هائل وجريء للأهالي زاحفين بشكل مثير نحو قرية القنطرة في قضاء مرجعيون. كانت مجموعات كثيرة للمقاومة قد تمكنت من السيطرة على التلال والمواقع المحيطة بالقرية، فدخل الأهالي حتى وصلوا إلى الجامع المصاب بأضرار منذ سنة ١٩٧٨ فتراصوا صفوفاً وأقاموا الصلاة فيما كانت جماعات الأذناب تراقبهم من موقع الطيبة غير البعيد عن المكان. وعندما حاول هذا الموقع ضرب المتجمعين ببعض القذائف قامت مجموعات المقاومة بضربه بشدة وأسكتوه، لا بل جعلوه مكشوفاً ومهدداً فانسحبت حاميته إلى قرية العديسة الملاصقة للحدود تاركة المنطقة مكشوفة أمام المقاومة.

في يوم ٢١ ايار تحركت وسيطرت مجموعات للمقاومة على التلال القريبة من قرية حولا، وتحركت مجموعات أخرى من تولين نحو وادي

السلوقي ومنها شرقاً نحو أراضي رب ثلاثين وكذلك من قرية القنطرة المحررة نحو رب ثلاثين ثم اندفعوا نحو القرية فسيطروا عليها. عند ظهر نفس اليوم كانت كل المواقع الأساسية في قرية حولا الواقعة على مسافة ستة كلم جنوب رب ثلاثين، قد أصبحت في قبضة المقاومة، وجرى لاحقاً السيطرة على الموقعين العسكرين القائمين في حولا واحد إلى الغرب هو موقع المرج، والثاني إلى الجنوب الشرقي في موقع الرويس، وكان هذا الموقع يسيطر على الطريق المتجهة نحو ميس. وبعد أن استكملت المقاومة عمليتها هذه تحرك أهالي حولا المحتشدون عند مدخل شقرا الشرقي نحو حولا. حاولت الدبابات الاسرائيلية المتمركزة في موقع العباد شرقي حولا منعهم، وقامت بقصف الطريق بين شقرا وحولا، ولكن الناس ظلوا يسيرون دون مبالاة بالقصف بجرأة نادرة، لقد ثبت لهم أن النصر بين أيديهم ومن المحال أن يتركوا هذه الفرصة تفوت مهما كلفت. قبل عصر يوم ٢١ أيار ٢٠٠٠ صارت حولا بأيدي أبنائها، لكن الطريق كانت لا تزال تحت سيطرة العدو فكانت العملية التالية أهم عملية في الشريط وهي عملية تحرير ميس.

في صبيحة يوم ٢٢ أيار تحركت مجموعات محدودة للمقاومة من حولا نحو ميس بقيادة الشيخ خليل رزق أحد العلماء المجاهدين، فيما كانت مجموعات كثيرة ضاربة تسيطر على التلال والأراضي التابعة لميس من جهة الغرب. وبوصول العالم ومن معه إلى موقع الرويس المحرر قامت دبابة تابعة لجيش العملاء بقصف للطريق في محاولة لردع المهاجمين، لكن دبابة إسرائيلية كانت ترابط في موقع قريب قامت بتدمير تلك الدبابة. لقد ادى ذلك إلى قتل أحد الجنود المتعاملين مع إسرائيل بسلاح إسرائيلي، فكان لنهاية هذه الدبابة تأثير سلبي جداً على

من تبقى من أتباع إسرائيل في المنطقة، فإسرائيل لم تكن تهتم بمصير أتباعها واذنابها لا بمصيرهم ولا بمستقبلهم. كانت هناك بضع دبابات اسرائيلية تقف على مقربة من الطريق ويقف معها عدد كبير من المسلحين اليهود جنود ومدنيين، لكن أبناء ميس اصروا بعناد على اقتحام الطريق ومواصلة سيرهم نحو قريتهم. في هذا الوقت راجت في ميس إشاعة منسقة أن رجال المقاومة قد دخلوا إلى القرية، وان هناك أعداد منهم على الطريق بين ميس وحولا، فاندفع الأهالي بشكل عاطفي نحو حولا سيراً على الاقدام ليلتقوا بالمجموعة المتقدمة في كركزان وهو مكان يتوسط الطريق بين ميس وحولا. راحت الدبابات الأسرائيلية تقصف بشكل عشوائي، ثم ركزت قصفها على بعض الأهداف فأصابت سيارة من ميس وقتلت أحد ركابها ثم اصابت سيارة فيها مراسل صحفي فقتلته، ولكن القدر المحتوم سيحرم إسرائيل حتى من تنفيس حقدها المسموم، لقد وصلت قوات المقاومة إلى ميس. وبوصولهم سددوا ضربة قاصمة لوجود الشريط الحدودي، وقطعت بالتالي الطريق بين بنت جبيل ومرجعيون. عندئذ أدرك أذناب اسرائيل أن الحرب قد انتهت بهزيمتهم، وأدركت إسرائيل أن عدوانها المستمر على أبناء المنطقة الحدودية منذ سنة ١٩٤٨ قد انتهى بهزيمتها.

المشهد المثير الذي سيذكره الميسون دهراً هو وجود شهيد ملقى على الأرض في محلة كركزان والناس تتحرك قربه، والقذائف تتساقط على مقربة منهم دون أن يطرف لأحد جفن، كان هناك هم واحد وهدف واحد، لقد آن الآوان للتخلص من العدو، لقد آن الأوان للتحرير.

كان عدد المقاومين الذين دخلوا ميس محدود جداً، ورغم ذلك فقد تمكنوا من اسرار أعداد من جنود جيش لبنان الجنوبي تفوق بضعة

مرات عددهم، كما استولوا على كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر من بينها دبابتين وعدة مجنزراة ومئات البنادق والمسدسات. لقد اقدم كثير من المسلحين التابعين لإسرائيل على الإتيان بما لديهم من اسلحة وذخائر من قرى بليدا ومحيبيب وعيترون حيث تم تسليمها سلماً في ميس.

لقي أبطال المقاومة استقبالاً رائعاً، واستسلم أذناب العدو من العملاء بالعشرات، فجمعوا، ثم جرى نقلهم لاحقاً إلى الخطوط الخلفية حيث جرى تسليمهم للجيش اللبناني والأجهزة الأمنية الحكومية.

استيقظ الأهالي في اليوم التالي على واقع جديد، استيقظوا على وطن بدون احتلال، على قرية بدون عملاء، بلا عناصر إجرام. فكيف يستوعبون الموقف؟ إن الواقع الجديد قد خرج من الحلم ليصبح حقيقة... لقد انتهى زمن الفرعون الإسرائيلي في لبنان، لقد تحرر الشريط المحتل، لقد تحررت ميس.

وفي نفس المكان الذي احتفلت فيه إسرائيل وعملائها في ١٣ حزيران سنة ١٩٧٨ باستيلائهم على جزء من الوطن، وإعلان صك عبودية الشريط الحدودي وأهله، في نفس المكان أجرى أهالي ميس احتفالاً هذه المرة حقيقياً، دون تزييف، دون رفع أعلام معادية أو تخفيضها، احتفلوا بيوم التحرير يوم ٢٥ أيار سنة ٢٠٠٠. هذا اليوم اصبح عيداً وطنياً للبنانيين يسمى عيد المقاومة والتحرير، وسيحتفل به في كل عام في نفس التاريخ.

هذه المرة صارت ميس لأبنائها، صار جبل عامل اسطورة، وصدق الإمام الصادق، لقد قصم ظهر العدو بشقيه، المحلي والغريب، لقد

انتصر جبل عامل على الفرعون، لقد انتصر العامليون، وكل واحد منهم كان النصر على مقاس حلمه، ورأى حلمه يتحقق أمام ناظريه.

هوامش الفصل الرابع

١ ـ أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، ص ١٧٢

٢ ـ أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، ص ٢٧١

٣ ـ Edward Robinson, Biblical researches in Palestine and in the adjacent region p369.

٤ ـ leb. Min. of information. P3 South Lebanon 1948 - 1986.

٥ ـ نفس المصدر السابق

٦ ـ محمد زعيتر، المارونية في لبنان قديماً وحديثاً، ص ٥

الفصل الخامس:

سكان ميس

أحياء ميس

البيوت

المقامات المقدسة والمساجد

مجتمع ميس

سكان ميس وعائلاتها

أحياء ميس:

ميس في الأصل حيين، شرقي يدعى الضيعة وغربي يدعى الغربية، وليس هناك ما يثبت أسبقية واحد على الآخر إلا من خلال الإسم، حيث يبدو أن اسم الضيعة للحي الشرقي قد منح للأقدم.

كان الفاصل بين الحيين شبه واد يُدعى جورة الغسيل، وكان هذا المكان يتحول في فصل الشتاء إلى مستنقع كبير، يظل الماء فيه طيلة شهور الشتاء وبعض فترة الربيع. كانت الطريق العام (قبل سنة ١٩٣٤) تقع إلى شرقي هذا المستنقع وتنحدر من حافته الشرقية نحو العقبة التي توصل إلى المرج الشمالي.

تاريخياً كان الحيان الضيعة والغربية يبدوان كقريتين منفصلتين، والتقارب بين الحيين يبدو ضعيفاً جداً من حيث المصاهرة والتقارب الأسري.

قبل قرن من الآن أي في سنة ١٩٠٠ كانت بيوت الحي الشرقي (الضيعة) متجاورة ومتراكبة حتى تبدو وكأنها بيت واحد واسع جداً بسقف واحد، فالانتقال عبر السطوح كان سهلاً جداً. وكذلك كان الحال بالنسبة للغربية التي كانت تبدو كأنها بيت واحد واسع بسطح واحد. كان يتخلل البيوت في الحيين أزقة ضيقة في الداخل، لكن

الطرق خارجهما كانت واسعة جداً وهذه الطرق الواسعة كانت بعيدة نسبياً عن البيوت.

كلمة بيت كانت تستعمل للدلالة على عائلة بكاملها وليس على أسرة واحدة، وربما يثبت ذلك أن أصل كل عائلة في ميس بيتٌ واحدٌ أو جدٌ واحدٌ، ثم توزعت إلى أسر وبيوتات جديدة.

ومع النمو السكاني في القرية تزايد عدد البيوت بالتدريج، وبعد تعبيد الطريق العام سنة ١٩٣٤ حسب التصميم الجديد، اتجهت حركة السكان نحو الطريق العام، وكانت في البداية بعيدة عن البيوت بقدر كاف. وبسبب حركة السيارات على الطريق العام وبعدها عن الساحات القديمة في الحيين فقد بدأت بعض المحال التجارية بالنشوء عليها في موقع وسط بين الحيين حتى نشأت ساحة عامة جديدة وسط بين الحيين.

لكن الأهالي يعتمدون في أسماء الأحياء طريقة مختلفة عن الصفة الرسمية، فعرفاً، لا زال الأهالي يعترفون بوجود منطقتين - حيين هما الضيعة والغربية ثم يعرّفون عن كل بقعة في الحيين باسم شائع بين الأهالي، وهو عادة يتخذ اسم العائلة التي تسكن فيه، أو يحمل اسم الأرض التي بنيت عليه.

أسماء الأحياء الصغيرة في ميس هي: حي المعاصر، الساحة، المعاقب، المحطة، ظهر المغارة...

اما أسماء الأحياء التي تعرف باسم الأرض التي بنيت عليها فكلها أحياء جديدة بنيت بعد ١٩٤٨ وهذه الأحياء هي بيادر الترمس، درب الحورات، القندولة، العقبة، ضهر العاصي أو الكساير، الدبّاكة، الشرفة، الصافح أو المجدل، درب السوق، الجبل...

في ميس بلدية منذ سنة ١٩٦٣ وكانت الانتخابات في تلك السنة قد أوصلت للمجلس البلدي ١٢ عضواً فازوا بالتزكية وكان كل واحد منهم يمثل بشكل عام عائلة من العائلات الكبرى في ميس، وقد انتخب المجلس محسن محمد علي قبلان كأول رئيس بلدية في ميس.

كان أول مختار معروف في ميس هو عبد طالب شقير الذي عيّن سنة ١٨٨٥ ثم تلاه موسى شقير سنة ١٩٠٥ ثم تلاه حسين محمد رزق الذي ظل في نفس المنصب حوالي عشرين سنة، وانتخب بعده رؤوف فرحات. بعد بضع سنوات انتخب زين علي عمار. وعندما دعت الدولة لانتخابات جديدة سنة ١٩٤٦ وهي أول انتخابات بعد الاستقلال ترشح محمد نجيب حجازي مقابل زين علي عمار فنجح الأول بزيادة واضحة. في تلك الانتخابات كان يسمح للرجال فقط بالاقتراع. وقد ظل محمد نجيب حجازي بعد ذلك مختاراً حتى وفاته سنة ١٩٩٨ وهو أطول المختارين بقاءً في منصبه، ليس في المنطقة فقط بل ربما في كل لبنان. وكان المختار محمد نجيب حجازي أعرف الناس بعائلات ميس وعددها وعدد السكان. وكان يتمتع بذاكرة مدهشة في معرفة الأسماء وأرقام السجلات وتحديد تاريخ الولادة. ولم ينافسه على هذا المنصب أحد إلا في الجولة الأولى التي انتخب فيها.

ظلت ميس رسمياً حياً واحداً لها مختار واحد حتى سنة ١٩٦٣ عندما انقسمت القرية رسمياً إلى حيين عرفا باسمي: الحي الشرقي والحي الغربي، وانتخب موسى خليل عمار مختاراً للحي الغربي. بينما بقي المختار السابق محمد نجيب حجازي في منصبه ولم ينافسه أحد عليه. وفي سنة ١٩٧١ عندما استحدث الحيين الشمالي والجنوبي انتخب

في الحي الشمالي علي زين عمار وفي الحي الجنوبي عبد الكريم قاروط ولبث المختاران السابقان في منصبيهما أيضاً دون منافسة.

وبعد النصر العظيم وتحرير ميس جرى الإعداد لانتخابات هامة جداً سنة ٢٠٠١ حيث جرى انتخاب مجلس بلدي جديد بعد منافسة كبيرة من عدد كبير من المرشحين. وقد تم اختيار مجلس بلدي تألف من ١٨ عضواً وقد انتخب من بينهم محمد صدر الدين حجازي كرئيس للمجلس.

وفي نفس الانتخابات جرى اختيار مختاران عن كل حي ليصبح عدد المخاتير ثمانية. وفي سنة ٢٠٠٤ جرى انتخاب مجلس بلدي جديد ففاز برئاسته نعيم علي رزق وعبد المنعم شقير نائباً للرئيس كما انتخب مخاتير للأحياء الأربعة كل من سعيد علي قبلان وعبد الحسين زراقط ومصطفى محمد قاروط ومحمد حمدان وياسر حيدر ومحمود عيسى.

البيوت:

في مطلع القرن العشرين كان عدد البيوت في ميس قرابة المائة وخمسين بيتاً ثلثاها في الحي الشرقي والثلث في الغربية. كان أول بيت في الحي الشرقي من جهة الجنوب هو الخان وكان صاحبه الحاج موسى غبشة، وقد أدار هذا الخان بعد وفاة موسى غبشة ابنه أحمد غبشة. كان هذا الخان يستقبل المكاريين أثناء سرورهم على الطريق الدولية شرقي الحي الشرقي حيث كانوا يستريحون في مكان لا زال يعرف إلى اليوم بالمحطة. وقد أقفل هذا الخان بعد سنة ١٩٣٥ بسبب اغلاق الطريق التي كانت تربط لبنان بفلسطين وبعد توقف المكاريين عن مزاولة هذه المهنة.

أما في ناحية الشمال للحي الشرقي فكان أول بيت هو بيت الحاج خليل حمدان الذي كان يواجه مباشرة جامع أبي ذر. ثم تمتد البيوت من هذا البيت ومن الخان شرقاً لتنتهي عند المعاصر حيث الطريق العام.

أما الحي الغربي فكان فيه حوالي الخمسين بيتاً متلاصقة ومتراصة. كان أول بيت في هذا الحي من جهة الشرق هو بيت علي نعيم الذي باعه لمحمد حسن رزق وموقعه مقابل جامع الإمام علي. وكان أول بيت في الزاوية الشمالية لهذا الحي في موقع الخان القديم وكان الحاج حسين فرحات قد اشترى البيوت الملاصقة للخان مع مبنى الخان وقد تقاسم أولاده وورثته هذه الناحية، ثم انتقلت ملكيتها بالإرث والبيع إلى اسر أخرى. كان آخر بيت إلى جهة الغرب هو بيت الحاج حسين فرحات حيث تمتد بعده أرض سهلية كانت تعرف في حينه بـ«حاكورة بيت سويد». أما جنوباً فكان آخر بيت في الغربية هو بيت الحاج حسين رزق الذي يشرف على حاكورة بيت سويد أيضاً.

بعد الحرب العالمية الأولى حافظت ميس على عدد مستقر للبيوت بسبب تناقص عدد السكان، لكن الأمر بدأ يتبدل بعد سنة ١٩٣٤ حيث راح الأهالي ينتشرون في الأراضي القريبة من القرية. لكن النمو الطبيعي لميس اصيب بضربة قاسية بعد سنة ١٩٤٨ حيث أحجم معظم أبناء ميس عن البناء في قريتهم وفضل كثيرون شراء عقارات في بيروت أو ما يجاورها لاعتقادهم أن إسرائيل لا بد أن تدخل يوماً إلى لبنان وتخرب ما يبنونه خصوصاً في الجنوب.

سنة ١٩٦٧ كان عدد البيوت في ميس قرابة مائتي بيت فقط، وقد جرى في هذه السنة إيصال شبكة الكهرباء حيث جرى وضع التيار في الأسلاك في شهر آب تلك السنة. وقد أنشىء محطتي تحويل للطاقة في القرية كان كل واحد منهما مهيأ لاستيعاب مائة بيت فقط.

يمكن اعتبار سنة ١٩٧٨ نقطة تحول في توسع البناء في ميس،

وذلك بعد اشتعال الحرب الأهلية في لبنان واضطرار كثير من الأسر للهرب جنوباً اثناء المعارك اللامتناهية في بيروت. وكان احتلال اسرائيل للمنطقة قد أقنع الأهالي أن ما كانوا يخافون منه (أي الإحتلال الإسرائيلي) قد حدث أخيراً دون أن يغير من الواقع على الأرض بشيء. فاندفع كثيرون من سكان ميس يبنون ويتوسعون في البناء بشكل ملفت حتى تضاعف عدد البيوت بشكل ملفت. وقد استمر التوسع حتى سنة ١٩٨٥ عندما راجت إشاعات كثيرة عن امكانية تهجير سكان الحدود فتوقف التوسع العمراني حتى التحرير العظيم في ٢٢ ايار سنة ٢٠٠٠.

بعد التحرير اندفعت ورش البناء في كل مكان واتسعت ميس اتساعاً لا مثيل له في التاريخ وامتد البناء بشكل متواصل من المنارة وحولا شمالاً حتى بليدا جنوباً وحتى دُبَي غرباً. وفي سنة ٢٠٠٢ زاد عدد البيوت في ميس على ١٦٠٠ بيت ولا زال التوسع مستمراً.

من الملفت أن معظم البيوت الحديثة التي بنيت في الحيين القديمين كانت تقوم على أسس البيوت القديمة حيث تبدو العملية وكأنها إعادة بناء جديدة حتى اختفت البيوت القديمة تقريباً بالكامل، اللهم إلا أن نجد هنا أوهناك بقايا بيت قديم يبدو كخربة، بانتظار من يقوم بهدمه والبناء مكانه.

أقدم بيت في ميس لا زال على بنائه القديم هو بيت الحاج حسين فرحات في الحي الغربي وقد بني على طريقة القصور العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر، ولا زال على شكله الخارجي إلا من بعض التصدع الحاصل في بعض الغرف. وقد تم تقسيم البيت إلى أربعة أقسام، وبني بين كل قسم وآخر جدار، ففقد ذلك القصر رونقه

وجماله، وهو مهدد بالتقسيم من جديد، وربما بالزوال رغم أن له قيمة أثرية وتاريخية مهمة.

أما باقي البيوت والمنازل فقد جرى ترميمها وتحويلها إلى أشكال حديثة. وحتى المساجد جرى ترميمها مما أفقدها طابعها القديم. وفي جامع الغربية الذي بنيت مئذنته قبل حوالي مئة سنة، تم إزالة تلك المئذنة وبناء مئذنة جديدة مكانها. التاريخ الذي كتبوه على الرخامة التي وضعت في واجهة البناء الجديد لجامع الغربية تقول بأن المسجد، الذي سموه مسجد الإمام علي عليه السلام، قد بني سنة ١٨٩٣. ولكن الحقيقة هي أنه بني قبل سنة ١٨٨٠ لأن واحداً من الذين ساهموا في بنائه قد مات سنة ١٨٨٠.

هناك بعض البيوت القديمة مغلقة ومهجورة وشبه خربة تتوزع بين الضيعة والغربية منها بيت نعيم حسين شقير قرب جامع أبي ذر في الضيعة (الحي الشمالي) وبيت الحاج حسين رزق في الغربية وهو متداع وآيل للسقوط.

المقامات المقدسة والمساجد

في ميس مقامان قديمان مقدسان، الأول في الغربية وهو مقام الهمام، والثاني في الضيعة شرقي الساحة الجديدة وهو مقام المنذر.

في العرف الشائع بين أهالي ميس (وأهالي جبل عامل عموماً) هو دعوة صاحب المقام باسم النبي، فالهمام بالتالي هو النبي الهمام والمنذر هو النبي منذر.

وليست كلمة نبي المستعملة في العرف العاملي تعني المعنى

العربي المعروف، بل يقصد بها الولي الجليل الذي أعطاه الله القدرة على فعل أمور تشبه أفعال الأنبياء، أو لأن ذلك الولي كان يعيش عيشة النسك والزهد كما عاش الأنبياء.

والمقامان مقدسان لهما حرمة كبيرة ولا يجروء أحد على المساس بهما، ولهما في ذاكرة العامة معجزات كثيرة. لكن المقامين لم يصبحا في مستوى نذر النذور باسمهما، فقط يقوم بعض المؤمنين بإيقاد مصباح أو سراج صغير ليلة الجمعة في طاقة صغيرة في حائط المقام.

ليس لهذين المقامين تاريخ محدد ولا أحد يعرف عن صاحبي المقامين شيئاً ولا تاريخاً محدداً. الملاحظ أن هذين المقامين هما قبرين لرجلين من المسلمين الزاهدين، شكل كل قبر واتجاهه يدلان على ذلك. وموقع كل منهما في زاوية من زوايا المقابر المعروفة يزيد في إثبات ذلك. وليس على أي من هذين القبرين أي كتابة أو أي شيء يوضح تاريخاً أو إسماً، كان القبران مبنيان بالحجارة العادية ويرتفع كل منهما بحدود متر واحد عن الأرض، وحديثاً (بعد سنة ١٩٦٥) أعيد بناؤهما بالاسمنت ووضعت على قبر المنذر كتابة عادية.

يمكن أن نضيف إلى هذين المقامين القدسية التي يتمتع بها مقام الشيخ إبراهيم في الكساير(شرق حي الضيعة) وهو قبر مجهول الصاحب. مع أن بعض علماء جبل عامل حاولوا ربط القبر باسم الشيخ إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي، وقد مر بيان خطأ هذا الافتراض.

من المعروف بين أبناء ميس أن بعضهم كان يقسم بالمقابر السبعة والجوامع السبعة. والحقيقة أن في ميس أربعة جوامع فقط، أما المقابر

فهي سبع. أما إن كان فيما مضى سبع جوامع فذلك ربما يكون مرتبط بوجود جوامع في الخرائب المحيطة بميس كالجديدة والمجدل والجبل حيث تبدو أثار البيوت والمقابر فيها واضحة جلية.

والجوامع الأربعة هي:

ـ **جامع الإمام علي** عليه السلام: موقعه في الحي الغربي يطل على الساحة المنسوبة لآل النعيم. تم بناء هذا الجامع على أرض تم شراؤها من أحد آل النعيم في حدود سنة ١٨٧٠. وكان يعرف بجامع الغربية فقط دون نسبته إلى أحد من الأئمة.

وكان الجامع مربع الشكل طول كل ضلع منه حوالي العشرة أمتار، وقد بنيت مئذنة له كان مدخلها على يمين الباب يصعد عليها بدرج حجري حلزوني. ولم يزد ارتفاعها عن سبعة أمتار فوق سطح المسجد.

في باحة الجامع الشمالية يوجد بئر عميق تجتمع فيه مياه الأمطار في الشتاء ويستعمل لحاجات الجامع فقط. والبئر دهري قديم لا يعرف زمن حفره، ويوجد مثله عدة آبار مجاورة تشبهه في الشكل والعمق وطريقة البناء مما يثبت أنها جميعها تعود لزمن واحد. ومن المرجح أن هذه الآبار كانت تابعة للقصر الكبير الذي كان قائماً إلى الشمال من الجامع على بعد حوالي مائة متر منه حيث تمتد الآبار متلاحقة حتى تلك النقطة.

في سنة ١٩٦٥ جرى بناء سور من الاسمنت حول أرض الجامع، وفي نهاية السبعينات من القرن العشرين تم توسيع المسجد باتجاه الجنوب بضعة أمتار، وهدمت المئذنة وجرى بناء مئذنة جديدة مكانها أعلى من الأولى.

وبعد التحرير سنة ٢٠٠٠ تم شراء عدد من البيوت المجاورة للجامع وأضيفت إلى وقفه حيث وضع مشروع لمجمع كبير.

ـ **جامع أبي ذر الغفاري**: موقعه على الحافة الشمالية للتل الذي بنيت عليه الضيعة (الشرقية). ويعتقد أنه مقام في نفس المكان الذي كان يقيم فيه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري متعبداً وداعية، اثناء مرابطته في الشام. (وقد مر الحديث عن أبي ذر). ومن الممكن أن يكون قد اقيم بناء صغير للعبادة في نفس المكان واستمر التقليد المتبع في تقديس تلك البقعة حتى جرى تحويلها إلى مسجد. تاريخ بناء الجامع غير معروف، ويمكن أن يكون قد هدم وأعيد بناؤه بضع مرات. في مطلع القرن العشرين كان جامع أبي ذر يشبه بيتاً عادياً شكله مربع لا يزيد طول ضلعه عن ثمانية أمتار. كما لم يكن له مئذنة. في سنة ١٩٦٩ جرى هدم المسجد وإعادة بنائه من جديد وألحقت به مئذنة مرتفعة وتشبه برجاً يشرف على كل أحياء القرية، ثم وُسّع المسجد فأصبح كبيراً فسيحاً بقبتين وبُني إلى جواره حسينية كبيرة.

ـ **الجامع الكبير**: يعرف بين العامة بجامع الضيعة لوقوعه في الحي الشرقي (الضيعة). تاريخ بنائه أيضاً غير معروف، كان موجوداً منذ ما يقرب القرنين. وفي مطلع القرن العشرين وصفه السيد محسن الأمين بأنه يشبه قبواً كبيراً. وهذا الوصف صحيح لبناء الجامع الذي لم يكن له مئذنة، بل كان هناك ما يشبه المنبر الطيني ارتفاعه حوالي المتر ونصف، كان المؤذن يقف عليه ويؤذن فلا يسمع صوته أبعد من الحي.

في سنة ١٩٦٦ جرى ترميم للجامع وألحقت به مئذنة عالية شبيهة بالبرج وتشرف على كل القرية. وبعد التحرير جرى توسيع المسجد والحسينية المجاورة له حتى أصبح من أكبر المساجد في المنطقة.

- **جامع الشيخ الميسي**: موقعه في الجهة الجنوبية من الحي الشرقي. وقد قيل بأن ذلك الموقع كان بناءً مهدماً وهو وقف منذ زمن مجهول، وقد افترض كثيرون، دون إثبات، أن ذلك المكان كان مسجداً للشيخ علي بن عبد العالي الميسي واعتبروا، بالتالي، أن موقعه هو نفس موقع الحوزة العلمية الميسية. وقد تم بناء مسجد في نفس المكان سنة ١٩٨٠. ولكن بشكل عام يبقى هذا الجامع مغلقاً لأسباب خاصة، وقد أضيفت إليه تحسينات كبيرة بعد التحرير

اما المقابر الموجودة في ميس فهي موزعة على الشكل التالي:

مقبرة الغربية: وهي موجودة في الجهة الجنوبية الشرقية للحي الغربي في موضع قريب من الساحة الجديدة. ويبدو من اكتشاف بعض القبور أثناء عمليات الحفر والبناء في الحي الغربي ان طرف المقبرة الشمالي كان عند قبر (مقام) الهمام، وحدّها الشرقي كان عند قبر (مقام) المنذر مما يثبت أنّ المسافة بين القبرين (المقامين) هو عرض تلك المقبرة.

الحد الشمالي لمقبرة الغربية يجاور جامع الغربية وحدها الجنوبي يقع مكان الطريق العام الحالي الذي مر في طرف المقبرة وفصل القسم الخاص بعائلة قاروط عن الأقسام الأخرى. وكانت المقبرة موزعة بين عائلات الغربية بحيث كانت كل عائلة تتخذ من حيز فيها مقبرة خاصة لموتاها. والمقبرة الغربية بشكلها القديم كانت ثلاثة اقسام واحدة لآل قاروط وواحدة لآل النعيم وواحدة لباقي عائلات الغربية. وتسمية بعض الاقسام باسماء عائلات هو تعريف اعتباطي فليس لاي عائلة مقبرة مستقلة ولكن حيز قد يضيق أو يتسع حسب الحاجة.

أما في الضيعة (الحي الشرقي) فكانت المقبرة تقع شرقي الحي وتعرف بتربة الشيخ إبراهيم. وامتدادها كان من حدود المعاصر في طرف

الحي الشرقي حتى منحدر ضهر العاصي شرقاً. فكانت بالتالي فسيحة شاسعة.

كانت مقبرة الشيخ إبراهيم مقسمة إلى ثلاثة اقسام يفصل بين كل قسم وآخر طريق وفراغ ظاهر، وقد اتصلت ببعضها الآن واصبحت تبدو كمرج واسع للأجداث.

هناك مقبرة أصغر موجودة على مقربة من جامع أبي ذر، وتمتد من حافة العقبة في طرف الضيعة(الحي الشمالي) الشمالي الغربي حتى الجامع وحدودها الشمالية هي المنحدر الحاد للأرض شمال الجامع ومن جهة الجنوب أول بيوت حارة آل حمدان. هكذا يكون عدد المقابر في ميس سبع، تماماً كما كانوا يقسمون في أيمانهم.

ما يقال عن وجود أربعة مساجد وسبع مقابر، يقال أيضاً عن وجود ثلاث ساحات. ويبدو أن لهذا الأمر علاقة بتوزيع السكان منذ نشأة ميس. ففي الغربية تقوم ساحة واحدة هي **ساحة بيت النعيم** وهي موجودة قرب مقام الهمام حيث يعتقد أن عائلة (آل نعيم) كانت تستوطن البيوت التي كانت تحيط بتلك الساحة من جهة الغرب بينما تقع مقبرة آل النعيم جنوب الساحة مباشرة ويقع الجامع (جامع الإمام علي عليه السلام) إلى الجهة الجنوبية الغربية من الساحة.

في حي الضيعة هناك **(الساحة)** تعرف بهذا الاسم هكذا، وهي موجودة قرب الجامع الكبير في الحي الشرقي. ويبدو أنها كانت ساحة الضيعة الأساسية، بينما كانت ساحة بيت النعيم هي ساحة الغربية.

الساحة الجديدة: وهي حديثة العهد أصبحت ساحة عامة بعد أن بني حولها عدد من المحال التجارية ومحطة محروقات. وبوجودها في

مسافة وسطية بين الساحتين القديمتين جعلتهما أقل أهمية بكثير عن الساحة الجديدة.

يمكن أن نضيف أن هناك ساحة فرضتها تطورات الأحداث في ميس هي ساحة البركة التي أصبحت المكان المفضل لإقامة الاحتفالات العامة، والتي تعرف حالياً بساحة القدس.

الحالة الإقتصادية

اشتهرت ميس في الماضي (العهد العثماني) بأنها القرية الوحيدة في جبل عامل (وربما في كل الشام) التي لا تجوع. ففي الوقت الذي كانت فيه قرى كثيرة تعاني من نقص شبه دائم بالمحاصيل الزراعية، كانت ميس تنتج الحبوب بكثرة. فالقمح والشعير والقطاني المختلفة كانت تزرع في معظم أراضيها التي تبدو سهلية وخصبة. بالإضافة طبعاً إلى زراعة الأشجار المثمرة البعلية كالعنب والتين واللوز، والأشجار الصناعية كالزيتون والبطم.

أكثر الأشجار أهمية في ميس كانت حتى عهد قريب بلا شك، أشجار البطم. كان في ميس أراض واسعة مزروعة بهذا النوع من الشجر من أجل إنتاج الزيت. كل ناحية المرج الشمالي وكروم المراح كانت مكسوة بالبطم، وكذلك كانت كروم القندولة. وكان في ميس معصرتان لعصر البطم، حتى سنة ١٩٦٤. في هذه السنة بدأ الأهالي بزراعة التبغ بكثرة ثم بدأت عملية قطع شجر البطم على قدم وساق. وفي غضون سنوات قليلة بدت الأراضي التي كانت ذات يوم شبيهة بحرش بطم كبير، جرداء من الشجر.

وبعد سنة ١٩٧٠ تنبه كثير من الأهالي إلى أهمية زراعة الزيتون

فراحوا يقبلون على زراعة هذا النوع من الشجر لتتحول معظم الأراضي التي لا تصلح لزراعة التبغ أو الحبوب إلى كروم للزيتون. وهكذا فإن ميس التي كانت في الماضي مركزاً مهماً لانتاج الزيوت (خاصة من البطم) قد عادت ثانية تحمل نفس الأهمية، لكن هذه المرة بانتاج زيت الزيتون. وتبدو أهمية ميس تاريخياً في إنتاج الزيوت من وجود أثار بضعة معاصر (على الأقل اثنتين) في الضيعة حيث يدعى الحي حي المعاصر، بالإضافة إلى المعصرتين اللتين كانتا في الغربية حتى عهد قريب.

قبل سنوات قليلة جرى تخريب وهدم المعصرتين في الغربية، واحدة كان يملكها آل وهبي، وهي اليوم خربة ولا زال حجرها في مكانه. والثانية كان يملكها عدد من الشركاء، وقد جرى هدم هذه المعصرة ودفن حجرها تحت الركام وتحولت إلى موقف للسيارات.

في العصر الحديث ازدادت زراعة الحبوب على اختلافها وزاد انتاجها كثيراً بسبب استعمال الآلة والأسمدة، ولكن الوجه الزراعي الغالب على ميس حالياً هو انتاج التبغ (الدخان) والزيتون. وتزداد زراعة الزيتون سنوياً بنسبة كبيرة. كما ازدادت بشكل كبير جداً زراعة الأشجار اللوزية بمختلف أصنافها.

وليست الزراعة هي المجال الوحيد للانتاج بالنسبة لأبناء ميس، كثير من أبنائها قد امتهنوا التجارة وتقدموا فيها كثيراً. وربما يعود الفضل في توجه الكثير من أبناء ميس للعمل التجاري إلى الظروف التي أحاطت ببلدتهم خاصة بعد سنة ١٩٤٨ حيث لم يجد كثيرون منهم بدأ من الهجرة (موسمياً) إلى بيروت. وقد حقق كثير منهم نجاحات كبيرة في

ميادين التجارة خاصة في تجارة الأدوات المنزلية والسجاد، بالإضافة إلى أمور أخرى كتجارة العاديات (الأنتيكا). وفي ميس حالياً (سنة ٢٠٠٤) صيدليتان وخمس محطات للمحروقات وخمسة أفران إضافة إلى ما يزيد عن ٢٥٠ متجراً مختلفاً، كما يُقام فيها سوق أسبوعي يوم الأربعاء.

الحالة الثقافية

حتى منتصف القرن العشرين كانت الأمية سمة عامة من سمات المجتمع في جبل عامل، وقلة قليلة فقط من تمكنوا من تعلم القراءة والكتابة.

في مطلع القرن كانت طريقة الكتّاب هي الطريقة الشائعة لتعليم الصغار، لقد قام بهذه المهمة معلمون كان همهم تلقين تلامذتهم مبادىء القراءة والكتابة والحساب والقرآن. وكان ختم القرآن هو غاية الغايات، وأعلى الدرجات.

يعرف من المعلمين الذين مارسوا مهنة التعليم في الكتاتيب وكان لهم الفضل على جيل بكامله، كل من محمد إبراهيم قاروط وشقيقه أحمد كما يذكر الشيخ عقيل همداني وأخوه الشيخ محمد علي همداني (ت ١٩٦٢). وكانت مدرسة هذا الأخير هي آخر كتّاب على الطريقة القديمة.

كانت طريقة الكتاب متوارثة منذ أجيال طويلة، وهي تشابه الطريقة التي اتبعت في العهد العباسي وفي العهود الإسلامية اللاحقة. ولم تحظَ ميس ولا سواها من القرى العاملية بمدارس تعمل حسب برامج تعليمية حديثة إلا في زمن متأخر نسبياً، باستثناء المدارس التي أقيمت في العهد الحميدي في صور وصيدا والنبطية، وبعض مدارس الإرساليات في مرجعيون وجزين. لذلك كان لا بد لأبناء ميس الراغبين في تلقي العلم أن يتوجهوا إلى النبطية أو صور حيث تكبدوا مشقات كبيرة في سبيل

ذلك. كان من الطليعة الأولى لهؤلاء الأستاذ محمد محي الدين فلحة (١٩١٩ ـ ١٩٩٧) الذي كان أول ميسي حصل على شهادة التعليم الابتدائي، وأصبح فيما بعد أول معلم رسمي من ميس، وقد مارس مهنته في عدة مدارس في المنطقة، وتخرج على يديه عدد كبير من أوائل المتعلمين من قرى مختلفة. لذلك يعتبر الأستاذ محمد محي الدين فلحة أحد الرواد الأوائل الذين مهدوا الطريق لأجيال من المثقفين العامليين.

ظل المعلم الأول محمد فلحة يمارس التعليم حتى إحالته على التقاعد سنة ١٩٨٤، كما كان يواضب على كتابة الشعر معتمداً أسلوب العرب التقليدي، وله قصائد في موضوعات مختلفة.

بعد أن اصبح محمد فلحة أستاذاً بسنوات قليلة اصبح حسين علي الجندي استاذاً ثم بعده بقليل تخرج الأساتذة حسن قبلان وفخر الدين فلحة وسلمان قاروط ومنيف جعفر، ثم تبعهم الأستاذ عبد الأمير رزق وبعده حسن حبحب ومحمد جواد قبلان وحسن عطوي وحسن قاروط وعبد قاروط. ولم تكن تمر سنة بعد ذلك إلا ويدخل في سلك التعليم عدد إضافي حتى بلغ عدد المعلمين في مدرسة ميس سنة ١٩٦٨ ما يزيد عن ٨٠ معلماً بينما كان نفس هذا العدد يمارس هذه المهنة في بيروت وباقي المناطق.

بالنسبة إلى وجود مدرسة في ميس يجب التذكير أن ميس ظلت بلا مدرسة حكومية حتى سنة ١٩٤١ عندما أرسلت الحكومة اللبنانية مدرساً حكومياً من آل مكي حيث جرى استخدام بناء شبيه بالقبو كمدرسة بغرفة واحدة كان البناء أصلاً يستخدم حظيرة للبهائم وموقعه في نقطة وسط بين الحيين الشرقي والغربي.

اتصف الأستاذ مكي بقسوة بالغة في التعامل مع التلامذة، كانت العصا الغليظة هي الأداة الأكثر استخداماً لردع أي تلميذ مخالف، السبب بسيط جداً، ففي تلك المدرسة كان الأستاذ مكي يجمع بضعة صفوف في وقت واحد وعليه أن يعلم أطفالاً مختلفي الأعمار والمستويات، فكان لا بد من استعمال الشدة للسيطرة على الأمور.

سنة ١٩٤٩ أضيف إلى البناء غرفة جديدة وصار بالامكان استيعاب أعداد أكبر من الصبية ضمن الصفوف الابتدائية الثلاثة الأولى ثم أضيف إلى المدرسة غرفة ثالثة سنة ١٩٥٥. كما بني غرفة رابعة سنة ١٩٦٠ وصارت مدرسة ميس إبتدائية كاملة تستوعب كل المرحلة الإبتدائية حيث كان يجمع في كل غرفة صفين بينما سمح للصف الأخير بالإنفراد بغرفة وحده كونه صف (الشهادة). في تلك الفترة كانت الشهادة الإبتدائية قد فقدت أهميتها وصار الذين ينهون المرحلة الإبتدائية يتوجهون إلى بنت جبيل لمتابعة المرحلة المتوسطة.

في سنة ١٩٦١ جرى العمل على بناء المدرسة بإصافة غرفتين جديدتين وغرفة خاصة بالإدارة وتم تسييج الملعب بسور من الإسمنت وترك للمدرسة مدخل وحيد إلى الجهة الجنوبية قرب قبر النبي منذر.

ولكن مبنى المدرسة لم يستوعب الأعداد المتزايدة للطلاب، فجرى استئجار غرف متباعدة استعملت كغرف دراسة مؤقتة.

سنة ١٩٦٢ تم إضافة صف الأول المتوسط ثم زيد على التوالي الصفين التاليين في السنتين التاليتين. وظلت مدرسة ميس كذلك حتى سنة ١٩٧١ عندما أضيف الصف الرابع المتوسط. في نفس السنة بدأت الدولة اللبنانية بناء مدرسة جديدة في موقع الحوارة القبلية وقد انتهى

العمل فيها سنة ١٩٧٣ حيث أصبحت المدرسة الجديدة متوسطة مع استيعابها لصفوف المرحلة الإبتدائية، بينما بقيت المدرسة القديمة ابتدائية فقط.

كان الذين ينتهون من المرحلة المتوسطة ملزمون بالتوجه إلى ثانوية بنت جبيل أو ينتقلون مع عائلاتهم إلى بيروت حيث المجال التعليمي والعلمي واسع جداً. وفي سنة ١٩٨٣ تم افتتاح قسم ثانوي في المدرسة المتوسطة وظل هذا القسم يعمل في نفس المكان حتى إتمام بناء المدرسة الضخمة الجديدة التي تم بناؤها في محلة الطرّاش إلى الجنوب الغربي من ميس قريباً من مزرعة محيبيب.

جرى افتتاح المدرسة الجديدة سنة ٢٠٠١ بعد التحرير مباشرة، وقد أطلق عليها اسم ثانوية محمد فلحة تكريماً للمعلم الميسي الأول في هذا العصر.

معظم الرجال الذين ولدوا بعد سنة ١٩٥٠ قد تلقوا تعليماً منتظماً حتى نهاية المرحلة المتوسطة. أما الذين ولدوا بعد سنة ١٩٥٥ فقد أنهوا بشكل عام المرحلة الثانوية والبعض منهم قد أنهى دراسة جامعية. أما الذين ولدوا بعد سنة ١٩٦٠ (والأرقام هنا تقريبية) فقد حظوا بتعليم منتظم ومتواصل حتى نهاية المرحلة الجامعية. ويمكن القول بفخر أن ميس تقف في طليعة البلدات العاملية، لا بل اللبنانية، في عدد خريجي الجامعات والمتخصصين، يمكن هنا ذكر أعداد تفريبية لبعض الخريجين، ففي ميس أكثر من ألف مجاز جامعي بينهم أكثر من مائتي طبيب وما يقرب هذا الرقم من المهندسين. كما حصل أكثر من مائة ميسي على إجازة في الحقوق. كما يجب التنويه بأن أكثر من مائة ميسي

قد حصل على درجة ماجيستير أو دكتورا في تخصص ما. وميس الجبل تعتز بأنها قدّمت الشيخ عبد الأمير قبلان مفتي جبل لبنان الممتاز. كما تفتخر ميس بأنها قدّمت عدداً هاماً من موظفي الدرجة الأولى يأتي على رأسهم الحاج قبلان قبلان مدير عام مجلس الجنوب والأستاذ حسان فلحة مدير عام وزارة الإعلام والأستاذ حسين قبلان قائمقام صور، كما تفتخر ميس بأنها أعطت للبنان الدكتور محمود شقير نقيب الأطباء سنة ٢٠٠١ والقاضي أحمد حمدان وعدداً لا بأس به من الضباط الذين يتولون مناصب هامة في إدارة الدولة.

بالنسبة للتعليم الديني فمن المهم التذكير هنا أنه، خصوصاً قراءة القرآن، قد انحصر جداً بعد وفاة الشيخ محمد علي همداني سنة ١٩٦٢، وأخيراً تطوع لأداء هذه الرسالة محمد سليم هزيمة الذي عرف بين تلامذته بلقب «أبو سليم».

كان أبو سليم قد عاش طفولته في فلسطين حيث اصيب في شبابه بمرض عضال اضطر معه للبقاء في إحدى مستشفيات القدس الغربية حتى بعد سقوط المنطقة بأيدي اليهود الذين واصلوا علاجه حتى سنة ١٩٥١ حيث تم نقله بعد ذلك إلى الحدود اللبنانية ليعود إلى ميس ويستقر فيها. كان أبو سليم يحفظ القرآن عن ظهر قلب كما يحفظ كثيراً من الشعر العربي. وقد تطوع لقراءة المجالس الحسينية خصوصاً في عاشوراء، كما تطوع لتعليم قراءة القرآن لمن يرغب، فتوافد عليه أعداد من الشبان الذين لم يعرفوا قراءة القرآن قبله. كان بيته ـ مدرسته شبيهاً بديوان ثقافي يجتمع فيه عدد من الراغبين في الاستماع إلى الحوارات السياسية والثقافية. لكن مرض أبي سليم أخذ يتطور بشكل غريب حتى فقد بصره، وتآكلت أصابع يديه. وفي حادثة منفصلة سقط أرضاً فانكسر

ساقه، فاضطر الأطباء إلى بتره. ورغم هذه المصائب فقد ظل يواصل تعليم القرآن.

لقد تمنى هذا الرجل الصالح أن يعيد الله له البصر قبل أن يموت، وقد استجاب الله له وأبصر أبو سليم ثانية بعين واحدة، فكان ذلك كرامة من الله له.

الصحة العامة

حتى عهد قريب لم يكن في ميس اطباء، منذ مطلع القرن العشرين وحتى بداية الحرب الأهلية كان يزور ميس من حين لآخر بعض الأطباء المتجولين. كان أكثرهم شهرة الدكتور كريم من قرية عين ابل والدكتور اسبيريدون حوراني من قرية دير ميماس.

وفي فترة حرب الاستنزاف سنة ١٩٧٠، وامام إلحاح كبير من الناس قامت الحكومة اللبنانية بانشاء مستوصف عمومي. بني المستوصف على تل البُركَة، وكان يقدم خدماته مرة واحدة أسبوعياً. وفي سنة ١٩٧٤ قامت مؤسسة النجدة الشعبية بافتتاح مستوصف لها، كما قامت الحكومة اللبنانية بافتتاح مستوصف ثالث ألحقته بوزارة الإنعاش الإجتماعي.

أقرب مستشفى كانت في قرية تبنين على بعد ٢٦ كلم عن طريق بنت جبيل، أو مستشفى مرجعيون على بعد ٣٨ كلم إلى الشمال، وفي بعض الأحيان كان المرضى يضطرون للتوجه إلى مستشفى عين الحلوة قرب مدينة صيدا.

وفي ظروف الاحتلال الإسرائيلي أقيمت في ميس مستشفى خاص

لكنها لم تستطع البقاء طويلاً أمام مضايقات متعمدة لتخريبها فأقفلت بعد فترة قصيرة من افتتاحها.

وقبل نهاية القرن العشرين شرع في بناء مستشفى كبير في ميس في موقع الجديدة إلى الشمال من ميس على نفقة حكومة الكويت. وتم الانتهاء من البناء سنة ٢٠٠١ وجرى افتتاح المستشفى برعاية رئيس مجلس النواب اللبناني الأستاذ نبيه بري وبحضور نقيب الأطباء اللبنانيين الدكتور محمود شقير أحد أبناء ميس. كما شارك في الافتتاح عشرون نائباً لبنانياً وسبعة وزراء من الحكومة اللبنانية. وكان سفير دولة الكويت أحد أهم المشاركين باعتبار دولته هي الممولة للمشروع مشكورة على ذلك. وربما كانت تلك هي الفرصة الأولى لسفير دولة عربية يزور منطقة الحدود المحررة ويرى عن كثب المنطقة بعد تحريرها بسنة واحدة.

لمستشفى ميس الجبل موقع مميز وهي تشرف من موقعها هذا على معظم بلاد بشارة من أقصاها إلى أقصاها، وهي تقريباً بنفس ارتفاع تل المنارة الذي يجاورها على بعد خمسماية متر منها فقط.

سكان ميس وعائلاتها:

تعتبر ميس من القرى الكبيرة في جبل عامل من حيث عدد السكان، وقد جرى تعداد للسكان في ميس بضع مرات، مرة واحدة رسمية جرت سنة ١٩٢٣ وجرى تكريسه أساساً للجنسية سنة ١٩٣٢، ومرتين على الأقل بجهود خاصة، ثم جرت عملية تعداد تقديرية بناءً على لوائح الشطب في الانتخابات التي جرت سنة ٢٠٠٠.

تعداد ١٩٢٣ جرى بطلب من سلطات الانتداب وهو التعداد الذي حصل فيه أهالي ميس على الجنسية اللبنانية في دولة لبنان الكبير. مكان

تسجيل الأهالي كان في بيت خليل فرحات، والكاتب الذي كتب الأسماء كان أحمد حسين ذيب وآخرون. في هذا التعداد جرى تحديد أسماء العائلات مزاجياً في خانة اسم الشهرة. حيث كان لبعض الأشخاص ألقاب تستعمل إما للسخرية منه وإما لحادثة معينة ارتبطت به، هكذا جرى كتابة أسماء بعض العائلات بغير اسمها الحقيقي، ثم تكرس الإسم الجديد حتى صار من الصعوبة إعادة تصحيح الخطأ المتعمد.

كان عدد السكان حسب هذا التعداد هو ٨٢٣ نفساً. وقد يستغرب البعض هذا الرقم على اعتبار أن ميس قرية كبيرة، لكن لا يغيب عن البال أن كثيراً من الناس قد ماتوا في سني الحرب الكبرى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ولم يبق في ميس إلا القلة وهذا هو السبب في تناقص عدد السكان إلى هذا الحد. وقد ارتفع هذا العدد إلى ما يزيد قليلاً عن ألفين سنة ١٩٣٢.

في شهر نيسان سنة ١٩٧٦ جرى إحصاء غير رسمي للسكان في ميس بسبب الحاجة الملحة لتوزيع الإعاشات حسب الأسر والأشخاص. وكانت نتيجة الإحصاء هو ما يزيد قليلاً عن ١٠٣٠٠ شخص. وكان هناك احتمال بأنه لم ترد أسماء بعض الأسر في الإحصاء بسبب غيابها عن ميس، فيكون هناك احتمال خطأ قدره ٢ ـ ٣ بالمائة. قام بهذا الإحصاء شبان ينتمون لأحزاب الحركة الوطنية في حينه من أجل توزيع الإعاشات كما مر.

وفي سنة ١٩٨٣ طلبت الإدارة المدنية المرتبطة بجيش الاحتلال الإسرائيلي إحصاءً بعدد السكان مدعية نفس الحجة التي ادعتها الأحزاب

من قبل. كانت نتيجة الإحصاء في كل ميس ١٣٤٠٠ ثلاثة عشر ألفاً وأربعمائة (تقريباً)، أي بزيادة ثلاثة ألاف عن المرة السابقة.

في سنة ألفين تم تقدير عدد سكان ميس بأربعة وعشرين ألفاً نظراً لأن عدد الأصوات الواردة في لوائح الشطب للانتخابات بلغ ثمانية آلاف ونيف. فالعدد التقريبي للسكان هو ثلاثة أضعاف هذا العدد.

عائلات ميس:

إن الكلام عن العائلات في ميس لا يستهدف الشهرة أو التشهير، وما سيمر من كلام عن العائلات هو إعطاء ما يمكن أن يكون معلومات أولية عن سكان ميس ليس إلا. ولا يستهدف الكلام عن العائلات إجراء إحصاء سكاني لميس، ولا إلى نشر شجرات أنساب العائلات، ولا ذكر من كان مشهوراً في هذه العائلة أو تلك. الهدف بسيط جداً، يجب على كل ميسي أن يعرف ميس كما هي حقيقة، دون إثارة للغرائز البدوية القديمة حول المباهاة والتفاخر على طريقة العرب الجاهليين. وسيكون كافياً أثناء الكلام عن أسماء العائلات وأجدادها ذكر أسماء أجداد كل عائلة فقط دون ذكر الأبناء والأحفاد، إلا في حالات استثنائية، وفي هذه الحالة سيكون بامكان أي شخص أن يعرف نسبه العائلي في ميس وليس قبله. فالذي سكن في ميس قبل أجيال لا يعرف عن أصله قبل ذلك إلا اليسير، لذلك سيكتفى بالمعلومات التي استجدت بعد الإقامة الدائمة في ميس.

وقد تم تجميع المعلومات عن العائلات من خلال أشخاص ينتمون لها، وما نقل عنهم يحتمل التصديق والتكذيب وقد جرى حذف المبالغات الوصفية لتبقى الأمور ضمن دائرة المعرفة فقط.

من الملاحظ أن معظم الذين سئلوا عن أجدادهم في ميس كانوا لا يعرفون عنهم شيئاً حتى الجد المباشر، وهذا أضاف صعوبة بالغة في تقصي أسماء الأجداد. فإذا ما وقع خطأ في الاسماء، أو نقص في المعلومات فيجب أن يؤخذ ذلك على سبيل سوء معرفة المصدر وليس سوء النقل، على أن يكون هناك مجال لتصحيح الأخطاء في دراسة مستقلة عن تاريخ عائلات ميس الجبل ستصدر لاحقاً.

بقي ملاحظة صغيرة يأخذ منها القارىء عبرة ما وهي أن كل من سئل عن عائلته، ادعى فوراً أن عائلته هي التي بنت ميس، وهي التي شادت وسادت. وسيترك هذا الأمر حول الأقدمية والألمعية لأصحابها مع الإكتفاء بذكر أسماء عادية خالية من الألقاب الجاهلية والعثمانية.

عدد العائلات في ميس كما هي مكتوبة في الأحوال الشخصية هو ٧٦ عائلة. لكن كثيراً من الأسماء التي تبدو كعائلات مستقلة، هي في الحقيقة فروع لعائلات كبيرة. وقد أخذت العائلة الجديدة اسمها البديل في إحصاء سنة ١٩٣٢ الذي أجراه الفرنسيون في البلاد.

لقد تم تسجيل أسماء أشخاص كثيرين حسب الألقاب التي كانوا يعرفون بها في حينه بشكل مزاجي، ثم راجت تلك الألقاب في بطاقة الهوية لتصبح أسماء ثابتة لأصحابها.

يمكن ذكر ملاحظة هامة جداً وهو وجود انفصال حقيقي بين عائلات الغربية وعائلات الضيعة (الشرقية) بأحيائها الثلاثة الشرقي والشمالي والجنوبي، ولا يوجد عائلات لها امتداد في الحيين القديمين باستثناء عائلة عيسى وعائلة عمار.

لا يوجد في ميس عائلة تدعي أنها الأقدم وحدها، ولا يوجد من

يدعي أن هذه العائلة أو تلك هي سليلة شخص ما من ميس عاش في زمن محدد قديماً. حتى العلماء الكبار الذين عاشوا في ميس قبل خمسة قرون لم يتركوا نسلاً في ميس، أو لم يدع أحد أنه من نسلهم. وبمراجعة بسيطة لأسماء أجداد العائلات المعروفة في ميس يتبين أنه لا وجود لعائلة معروفة يبعد جدها القديم عن حدود سنة ١٨٠٤ أو ما حولها، إلا فيما ندر.

هناك ملاحظة يمكن أن تظهر مدى قدم أو ربما نفوذ بعض العائلات أكثر من سواها وهي مسألة ملكية الأراضي الزراعية، حيث يقال في ميس عن هذه العائلة أو تلك أنها بلدية ولها مَقْسَم. والمقسم يعني تملك هذه العائلة في زمن ما مساحة مترابطة من الأرض بحدود واضحة، وقد مر الحديث عن الحصص والمقاسم بين بعض العائلات. هذه العائلات تبدو أقدم في الوجود من عائلات أخرى لا تملك أرضاً زراعية مترابطة، بل قطعاً مشتراة من آخرين.

في ميس كان يعيش إلى جانب العائلات المسلمة ثلاث عائلات مسيحية جاءت إلى ميس حوالي سنة ١٧٥٠ في ظروف مجهولة واستقروا في الغربية، وبعد انشاء متصرفية جبل لبنان بدأوا ينتقلون إلى جبل لبنان بالتدريج حتى رحلت آخر أسرة منهم سنة ١٨٩٣.

وكان يقيم في التلال القريبة من ميس بضع عائلات انتقلت إليها وسكنت فيها، قبل قرابة القرنين.

أما كبر العائلات وصغرها فمرده إلى النسل والهجرة، فالعائلات التي كان يولد فيها ذكور كانت تكبر بمرور الوقت أكثر من غيرها. أما الهجرة فإنها خفضت من أعداد عائلات كان من الممكن أن تكون اليوم

أكبر بكثير لو بقي أبناؤها في ميس. أكثر فترة حدثت فيها الهجرة عن ميس كانت بين سنوات ١٩١٦ و١٩٣٠ وكانت معظم الهجرة إلى الولايات المتحدة والأرجنتين.

يجب أن نلاحظ أيضاً أن بعض الفوارق في اللهجات في ميس لا زال يذكر أبناءها باختلاف منابتهم وجذورهم الأولى.

بالنسبة للعائلات المسيحية التي عاشت في ميس قبل قرابة القرنين ونصف، فقد كان عددها ثلاث عائلات وهي: الياس وأندراوس وسلوم. عاشت هذه العائلات في الغربية (الحي الغربي) وكانت بيوتهم في الموقع المعروف بالخان الذي يقع في الزاوية الشمالية ـ الشرقية للغربية. ويبدو من بقايا بيوتهم القديمة التي انتقلت ملكيتها بالشراء إلى أكثر من طرف أنهم كانوا يشكلون حياً صغيراً منفصلاً عن بيوت الغربية التابعة للمسلمين، ليس بمعنى الابتعاد ولكن بمعنى تجاور بيوت النصارى من بعضها دون تفرق بين بيوت المسلمين. كان بيت أندراوس يجاور مباشرة مقام الهمام من جهة الغرب، وبين بيت هذه الأسرة وبين الهمام مسافة تزيد عن عشرة أمتارويمتد من مقابل الهمام ثم نزولاً حتى مدخل الزاروب الموجود حالياً هناك والبيوت اليوم التي تقوم مقام هذا البيت هي بيت محمد سليم مرعي وبيت خديجة يوسف حيدورة وبيت رزق رزق وبيت الشيخ عقيل همداني، وبيت محمد زهرالدين. جنوب هذا البيت كان هناك زاروب قديم يفصله عن بيوت المسلمين حيث كان يقع بيوت آل نعيم وآل وهبي وبيتين من آل عيسى هما نصر الله ومحمد (أبو محسن)، إضافةإلى آل عمار وآل جعفر وبيت منصور حيدر عيسى. وهذا التجمع من البيوت لا زال موجوداً لكن يملكه اليوم أشخاص مختلفون. ويلي بيت أندراوس إلى جهة الشمال بيت سلوم، وكان هذا

البيت يجاور مباشرة بيت أندراوس ويمتد تقريباً على موازاته، مكانه اليوم بيوت أحمد سليم عمار وسليم مرعي وذيب مرعي قاروط. آخر رجل من بيت سلوم كان يدعى ذيب سلوم، وكان مسكنه في القسم الشرقي من بيت سلوم وقد غرس شجرة توت بيضاء ظلت حية حتى سنة ١٩٨٠.

البيت الثالث كان بيت الياس أو عائلة الياس. هذه العائلة كانت تملك الخان، ومكانه والبيت المجاور له موجود في مكان بيوت بهيج حسين فرحات ومحمد حسن طه ومحمد خليل زهر الدين ونمر مسلم طه ومحمد زين شقير. ومكان الخان بالضبط هو مكان بيت محمد حسن طه حيث كانت بقايا الخان بمقاطعه وغرفه واضحة حتى سنة ١٩٦٧. وقد جرى ترميم غرف الخان بالتدريج وانتزع السقف القديم ورفع مكانه سقف من الإسمنت ثم هدم معظم أجزائه وأعيد بناؤه من جديد بتصميم جديد للسكن العادي.

الأرض التي كانت تجاور الخان من جهة الشمال كانت تعرف باسم حاكورة الخان، وقد انتقلت ملكيتها سنة ١٨٧٠ لآل رزق واقتسمت بين الورثة فباع عدد منهم حصصهم. كما مرت الطريق العام في زاوية منها مما حولها إلى منطقة سكنية.

كانت للعائلات المسيحية ممتلكات عقارية في منطقة مجاورة للحي الغربي ولا زالت واحدة منها تدعى كسارة الياس نسبة إلى عائلة الياس. وقد بيعت تلك الأراضي قبل رحيل من كانوا أصحابها.

وكان للنصارى مقبرة بقاياها موجودة في غربي الحي الغربي، حيث كانت تلك الناحية بعيدة عن البيوت قبل أكثر من قرن ونصف.

عدد القبور التي كانت ظاهرة كان محدوداً وقد درست تلك المقبرة وزالت، وعلى أنقاضها يقوم اليوم كثير من المساكن.

رحيل المسيحيين عن ميس جرى في ظروف عادية وفي فترات متلاحقة. أول المغادرين كان بيت الياس حوالي سنة ١٨٧٠، عرضوا أملاكهم دفعة واحدة للبيع وبعد أن قبضوا أثمانها، ودعوا جيرانهم وارتحلوا نحو جبل لبنان، حيث كانوا يعتقدون أن دولة مسيحية قد جرى تأسيسها هناك. وربما يكون اعتقادهم ذلك مرتبط بوجود متصرف مسيحي على رأس المتصرفية في جبل لبنان. وحذا آل سلوم حذو آل الياس فباعوا ما لديهم ورحلوا شمالاً في نفس الوقت الذي كان فيه جيرانهم آل أندراوس يرتحلون في نفس الاتجاه وبنفس الطريقة وكأنهم يتسابقون على الذهاب إلى جبل لبنان. وكان رحيلهم يتم بالتدريج بيت إثر بيت بين عامي ١٨٨٠ و١٨٩٣. آخر مجموعة رحلت عن ميس سنة ١٨٩٣، وقد وصف أحد المعمرين ما رآه عياناً، وكان في حينه صبياً، فقال بأنهم ودعوا جيرانهم المسلمين وحملوا أمتعتهم على ثلاث دواب ثم اتجهوا شمالاً على الطريق التي كانت تتجه عبر العقبة نحو هونين. آخر أسرة غادرت ميس كانت أسرة ذيب سلوم.

ومن الطريف أن رجلاً من ميس تعرف على رجل من قرية بيت مري في جبل لبنان سنة ١٩٦٥ تبين أن أباه من المعمرين. وعندما جلس الميسي معه وعرفه من ميس بكى بحرارة، ثم أخبره أنه أيضاً من ميس وأنه تربى فيها وقضى جزءاً من شبابه فوق ترابها. وراح يسأله عن رفاق زمان الذين كانوا كلهم قد ماتوا قبل زمن طويل. لقد وصف ذلك المعمر ميس كما تركها في ثمانينات القرن التاسع عشر، أسئلته كانت عن الأشجار الكبيرة التي كانت تميز بعض المواقع كبطمة باب الوعرة

وبعض بطمات المرج الشمالي. . . وقد قيل بأن عمره كان سنة ١٩٦٥ أكثر من مئة سنة.

العائلات المسلمة التي عاشت في ميس يمكن أن تقسم قسمين: الأولى هي العائلات التي لا يعرف زمن سكناها في ميس ولا المكان الذي جاءت منها، فهي بالتالي ميسية أصلاً. والثانية هي العائلات التي يقول أبناؤها أنهم جاؤوا من مكان ما فهم بالتالي حديثو الإقامة في ميس. ولا تعني الحداثة مدة تقل عن قرنين. وليس هناك إلا قلة من العائلات التي جاءت قبل أقل من قرنين من الزمن إلى ميس. يمكن أن يضاف إلى هذا الأمر أن هناك ثلاث عائلات انتقلت من أطراف ميس إلى داخل الضيعة قبل زمن ربما ليس ببعيد، لكن لا يمكن اعتبارهم من العائلات الحديثة. وهذه العائلات هي عائلات صعب (ومنها آل حمورة) وزريق وقد جاؤوا من الجديدة جنوب غرب المنارة، وشحرور والطويل الذين انتقلوا من المجدل (مجدل ميس) قبل زمن غير بعيد.

ويجب التوقف عند ذكر عائلة آل الطويل التي كانت تستوطن الغربية حتى الحرب العالمية الأولى. حيث قضى آخر رجل منهم ولم يبق لهم وجود في ميس. آخر واحد عاش منهم في ميس كان شاباً في مقتبل العمر، تربى يتيماً فقيراً، وفي أثناء المجاعة الكبرى التي ضربت المنطقة حاول أن يسرق ما يقيته فأمسك متلبساً داخل أحد البيوت، فقتله صاحب البيت بشكل فظيع. ولم يحاسب، القاتل فذهب دم القتيل هدراً. معظم أبناء تلك العائلة كانوا قد فنوا في وبأ حل في تلك الفترة أو قبلها بقليل، وقد ذكر أكثر من شخص عاش في تلك الفترة أن بيوتاً بكاملها وعائلات برمتها فنيت فيه. لم يمت من ميس في الحرب العالمية الأولى كثيرٌ من الناس بسبب الجوع، ولكن الكثير الكثير ماتوا بسبب الوبأ. وقد

وصفت امرأة كانت شاهدة عيان على ما جرى فقالت بأن الوبأ كان إذا أصاب فرداً من عائلة في الصباح فإن العائلة برمتها تفنى قبل المساء.

أملاك آل الطويل من الأراضي انتقلت لأنسبائهم آل وهبي الذي كانوا قد صاهروهم فجاء الإرث لهم عن طريق النساء.

وبنفس الكلام الذي يقال عن عائلة الطويل التي فنيت بالكامل يمكن الحديث عن عائلة زريق التي كادت أن تفنى. وسبب ذلك ليس المرض ولا الجوع بل القتل الذريع الذي لحق برجال تلك العائلة بسبب خلافاتهم الكثيرة مع منافسيهم من رجال العصابات في فلسطين. كثير من رجال عائلة زريق كانوا يمارسون أعمال الغزو أو المشاركة في أعمال شبيهة وكانت تصل حدود عملياتهم إلى حوران وشرق الأردن، فاستهدفوا بردات فعل من أعدائهم الكثر وجرى الغدر برجالهم مرات كثيرة فقل عددهم إلى أدنى حد، مع أن عددهم كان قبل أكثر من قرن يفوق عدد بعض العائلات الكبيرة.

وهذه بعض التفاصيل عن عائلات ميس:

إبراهيم (أشراف): أصلهم من جويا، جدهم الأعلى إبراهيم جاء إلى ميس في نهاية القرن التاسع عشر وقد ترك ولدين يوسف وجواد. من يوسف ولدين علي واشتهر باسم علوش ونسله بيت إبراهيم، وأحمد ونسله يعرفون ببيت السيد. أما جواد فمشهور باسم السيد جواد وقد ترك ثلاثة أولاد وهم مصطفى وحيدر ومحسن، وجميع هؤلاء يعرفون ببيت جواد.

أبو شر: فرع من عائلة عيسى. قيل بأن اسم (أبو شر) هو لقب

تركي معناه العمدة، مع الشك بهذا التفسير. والذي حصل على هذا اللقب (أو هذه الرتبة) هو جد العائلة المدعو الحاج حسين أبو ذيب حمود عيسى. وليس هناك ما يثبت أن اسم أباه هو حمود أم أبو ذيب على اعتبار أن اسم (أبو ذيب) ربما يكون لقباً للحاج حسين المذكور. وليس هناك من ذكر لوجود اخوة لحسين أبو ذيب.

أولاد حسين أبو ذيب حمود عيسى الذي هو أبو شر، ثلاثة وهم: أحمد ومحسن ومحمد.

أولاد أحمد حسين أبو شر ثلاثة: ذياب وذيب وحسين. وقد توفي ذياب شاباً دون عقب، ولم ينجب ذيب سوى بنتاً أما حسين فأنجب محمد وأنجب محمد حسين.

أولاد محسن حسين أبو شر أربعة وهم مصطفى وحسن وحسين وإبراهيم. وقد سافر إبراهيم محسن أبو شر إلى أميركا سنة ١٩١٧ ولم يعد. توفي في غربته في السبعينات دون عقب. وأما حسن محسن أبو شر فأنجب بنتاً واحدة.

مصطفى محسن أبو شر أنجب علي أبو شر الذي لقب (الشمندي). ترك ولدين هما حسين وعطية. وقد توفي عطية دون عقب أما حسين فله عبد وعلي ومحمد (استشهد في الحرب الأهلية سنة ١٩٧٦) وموسى.

حسين محسن أبو شر أنجب ثلاثة أولاد وهم عبد الرحمن (مات شاباً دون عقب) وعلي (وقد قتل بسبب الضرب المبرح الذي تعرض له في مشاجرة مع بعض الشبان) ومسلم الذي أعقب ثلاثة أولاد هم علي ومحسن وحسين.

محمد حسين ابو ذيب (أبو شر) ترك ثلاثة أولاد هم: خليل وإبراهيم وسليمان. وقد مات خليل دون عقب وترك إبراهيم بنتين أما سليمان فقد ترك ولداً واحداً اسمه محمد.

من محمد سليمان أبو شر ولدين هما توفيق وعبد وقد توفي توفيق دون عقب بينما ترك عبد أربعة أولاد هم خليل وإبراهيم وعلي ومصطفى.

اسماعيل: هم فرع من عائلة رزق يتحدرون من جد واحد هو محمد إسماعيل رزق.

كان لمحمد اسماعيل أربعة أولاد وهم علي وحسين ومحمود وموسى.

لعلي بن محمد اسماعيل ولد واحد هو محمد علي ومنه ولد واحد هو علي، وكان لمحمد علي اسماعيل ولد آخر قتل في غارة جوية اسرائيلية على ميس سنة ١٩٤٨. لعلي محمد علي خمسة أولاد هم حسن وعبد ومحمد وعرفات واسماعيل.

اولاد حسين محمد اسماعيل أربعة وهم علي وسليم ومحمد وعبد.

أولاد محمود محمد اسماعيل أربعة وهم محسن ومحمد ومحمد حسن وعلي.

أولاد موسى اسماعيل اثنين وهما: حسين والعبد وقد ترك العبد ولداً واحداً هو محمد ومنه العبد.

أما حسين موسى محمد اسماعيل فله أربعة أولاد وهم خليل ومحمد وموسى وعلي.

بدران: جدهم الأعلى الذي جاء إلى ميس وسكنها هو أحمد بدران (؟) وقد ترك ولدين هما: خليل ومحمد. من خليل بدران ولدين هما أحمد وسعيد. من أحمد ولد واحد هو علي ومن سعيد ولد واحد هو محمد.

من محمد بدران ولد واحد هو حسين ومنه ولدين هما محمد وعلي. من محمد حسين بدران ولدين هما حسن وحسين ومن حسين الأخير ولد واحد هو زين.

من علي حسين بدران أربعة أولاد هم: حسين ومحمد وحسن وعبد الكريم.

البرجي: جدهم أحمد البرجي وقد ترك ولدين هما: علي وحسن.

من علي البرجي ثلاثة أولاد وهم: نمر وخليل ومحمد.

ومن حسن: محمد وعبد الأمير.

جعفر: أصلهم من هورا، وهي قرية خربة تقع قرب تل النحاس بين دير ميماس والخربة (برج الملوك) والمطلة، ولا زالت بعض أراضيها تحمل أسماء من كانوا أصحابها من عائلتي طه وجعفر الميسيتين.

جد عائلة جعفر الذي جاء من هورا إلى ميس اسمه مرعي جعفر، وقد ترك ستة أولاد وهم: محمد وأحمد وعلي وسليم وحسن وحسين.

من محمد مرعي جعفر ولدين: جعفر وسعيد. ومن أحمد مرعي نمر وحسن وحسين. ومن سليم ثلاثة أولاد: مصباح وسلمان وسليمان. ولم يترك علي عقباً،

أما حسن مرعي جعفر فقد ترك ولداً واحداً هو محمد، وكان يلقب بالكدع وقد ترك ولدين. وليس لحسين مرعي جعفر عقب.

الجندي: هم فرع من آل حجازي (رغم الشكّ بهذه القرابة). جدهم الأعلى المعروف في ميس هو يوسف الجندي وقد ترك ثلاثة أولاد هم حسن وحسين ومحمد.

من حسن يوسف الجندي ولد واحد اسمه أحمد ومن أحمد ولد واحد هو محمد أحمد الجندي.

من حسين يوسف الجندي ولد واحد هو علي ومن علي الجندي ثلاثة أولاد هم حسين وحسن ومحمد علي.

من محمد يوسف الجندي ولد واحد هو عبد الجندي.

جواد (أشراف): وهم أبناء السيد جواد إبراهيم ومنه حيدر ومصطفى ومحسن (راجع في إبراهيم).

حبحب: بيت واحد أصلهم من مشغرة وقد جاء جدهم الشيخ إبراهيم حبحب (أو أبوه) قبل جيل واحد. ترك الشيخ إبراهيم ولدين هما أسعد ومحمد علي. من أسعد محمد وجمال، ومن محمد علي علي وحسن وخليل وإبراهيم.

الحج: فرع من عائلة عيسى، وهم بيت واحد من نسل محمد ذياب يوسف محمود عيسى. وكان ذياب قد ترك إضافة إلى محمد: حسين وسليم.

حجازي: ينتسبون إلى جد واحد هو الحاج سليمان حجازي ومنه ثلاثة أولاد: أيوب ومحمود وحيدر من أيوب ولد واحد هو محمد ومنه ولدين هما ذيب وعبد.

من حيدر حجازي ولدان هما الزين الكبير والزين الصغير. من الزين الكبير ولد واحد هو محمد نجيب (المختار). ومن الزين الصغير ثلاثة أولاد وهم نور الدين وصدر الدين وصلاح الدين.

من محمود سليمان حجازي ولدان هما محمد وسليمان. من محمد سعيج ومسعود وأسعد وحسن. ومن سليمان عفيف وناجي وزاهي.

حسن: فرع من عائلة خرشوم، ويحمل اسم حسن نسل مصطفى علي ظاهر حسن خرشوم.

حمّادي (عيسى): هم فرع من آل عيسى وبعضهم يسمون بحمادي عيسى ولكنهم يحملون ألقاباً مختلفة أصبحت بمرور الوقت أشبه بأسماء عائلات مختلفة. أحد بيوتهم يدعى في الهوية حمادة بتاء مربوطة وبيت آخر يدعى حمّادي بياء، وثالث شمّا ورابع وهبي، وهو غير آل وهبي الذين يعيشون في الغربية.

بيت حمادة عيسى (بتاء مربوطة) وهم أبناء داوود عبد الله حمّادي عيسى ومنه ولدان هما: أحمد وعبد الله. من أحمد داوود عيسى صادق ووهبي وعلي. من صادق محمد ونعمة الله (شمّا في الهوية). من وهبي ولد واحد هو أحمد (وهبي في الهوية). من علي أحمد وحسن.

من عبد الله داوود عيسى ولدان هما مسلم وداوود. من مسلم: نعمة الله وعبد الله.. ومن داوود: محمد وذيب (الزغير) من ذيب هذا: فايز وفوزي ومحمد ونمر ومحمود.

حمّادي زريق: هم أبناء محمد زريق الملقب حمّادي ومنه ولدان هما حسين وقاسم. من حسين: خليل وعبد وإبراهيم. ومن قاسم: محمود ومنه أحمد ومحمد وعلي.

حمدان: أصلهم من آل جابر (نفس العائلة التي تعيش في بني حيان) فهم يجتمعون في جد واحد مع آل جابر محيبيب وآل جابر بليدا كما قال أحد معمري العائلة. جدهم الأعلى الذي جاء إلى ميس وسكنها اسمه علي حمدان ولا يعرف نسب له أكثر من هذا الإسم. وقد ترك علي حمدان أربعة أولاد وهم: إبراهيم وحسين وقاسم وأحمد.

أولاد إبراهيم علي حمدان اثنان هما خليل وحسين. أولاد خليل إبراهيم حمدان ستة وهم إبراهيم وموسى ومحمد ومحمود وحسين وعبد الأمير. ومن إبراهيم خليل حمدان ولد واحد هو عطية. من موسى خليل حمدان ولد واحد هو كامل. من محمد خليل حمدان أربعة أولاد هم فارس وخليل وحسن وحسين. من حسين خليل حمدان ستة أولاد وهم فوزي وفايز وعلي ومحمد ومحمود وأحمد. ومن عبد الأمير خليل حمدان ولدين هما عباس وخضر.

أولاد حسين إبراهيم علي حمدان ثلاثة وهم: سعيد ومحمد وعلي. من سعيد حسين إبراهيم نمر ومحمد وعبد ومن محمد حسين إبراهيم فوزي وحسن و. . . . . . ومن علي حسين إبراهيم ولد واحد هو محمد.

أولاد حسين علي حمدان ثلاثة: ظاهر وعلي ومحمد

من ظاهر حسين حمدان ولد واحد هو عبد ظاهر.

من علي حسين علي حمدان ثلاثة أولاد هم: نعيم ونعمة وعطا الله. من نعيم محمد وذيب ومن نعمة نمر وأحمد ومحمد وحسين وعلي ومن عطا الله علي وحسين ومحمد.

من محمد حسين علي حمدان سعيد وعلي. من سعيد ولد واحد هو محمد ومن علي ولد واحد هو نمر.

ترك قاسم علي حمدان ولدين هما عبد وعقيل. من عبد ولدان هما ذيب ونمر ومن عقيل ولد واحد هو محمد.

أحمد علي حمدان ترك ولدين هما علي وذياب. من علي أحمد علي حمدان ولد واحد هو عبد الحسن ومن أخيه ذياب ثلاثة أولاد هم محمد وأحمد ومحمود.

حمود: هم أبناء حمود سليمان خليل يب بشير رضا محمد عمار. فهم يلتقون في النسب مع آل عمار عند جدهم سليمان. ترك حمود سليمان ثلاثة أولاد وهم سليمان وإبراهيم وحسين. من سليمان ولد واحد هو حمود ومنه ولد واحد هو سليمان الذين ترك ولدين هما حسن وحسين.

من إبراهيم حمود ولد واحد هو محمد ومنه ولد واحد وهو أمين ومنه ثلاثة اولاد هم محمد وإبراهيم وعلي.

من حسين حمود ثلاثة أولاد: نعمة وعلي وأحمد. وقد تزوج الاثنان الأولان نعمة وعلي بالتتالي امرأة واحدة اسمها فطوم، فأنجبت لعلي حسين حمود: حسن ومصطفى وحسين وعبد الله وانجبت من نعمة: محمد ومحمود وعلي. من حسن ولدين. ومن حسين علي حسين حمود ولد واحد هو محمد حسين. من مصطفى علي حسين ولدين محمد مصطفى وعلي مصطفى. ومن عبد الله ولد واحد هو عبد الرضا

أولاد نعمة الثلاثة هم محمد ومحمود وعلي. أما محمود فقد انتقل إلى جويا وعاش فيها منذ ما قبل ١٩٤٨ وقد مات فيها. وكان أهل جويا يعرفونه باسم محمود ميس. وقد ترك فيها نسلاً.

أما أحمد حسين حمود فقد ترك ولداً واحداً هو عبد أحمد حسين.

حمورة: وهم من آل صعب، أصلهم من الجديدة (جديدة ميس). جدهم حمودة صعب ترك ولدين هما ظاهر ومحمد. من ظاهر: حسين ومن محمد: نمر.

حميد: بيت واحد أبوهم أحمد يوسف حميد خليفة جاء إلى ميس سنة ١٩٢٠ فاراً من الفرنسيين الذين حكموا عليه بالإعدام وهم بالتالي عائلة حديثة.

حيدر: هم فرع من آل عيسى جدهم الأعلى حيدر عيسى قريب جداً من جد آل السربللي. ترك حيدر عيسى ولدين هما علي وحسن. من علي ولد واحد هو فيّاض. من فياض ولدان هما علي وحسين. من علي محمد وحسن ومن حسين محمد وعبد.

من حسن حيدر ولد واحد هو منصور ومنه ثلاثة أولاد هم عبد وعلي ومحمد.

حيدورة: هم فرع من آل نعيم لقبوا بهذا اللقب بسبب جدهم علي النعيم الذي لقب حيدورة نسبة إلى امرأة. وقد ترك علي حيدورة ولدين أحمد ومحمد. من محمد حيدورة ولد واحد هو يوسف حيدورة ومنه علي ومحمد؟ الذي انتقل للعيش في الغازية منذ قبل سنة ١٩٤٨. أما أحمد حيدورة فكان له ولدين هما علي وحسين من حسين محمد وعطية ونمر ومحمود. ومن علي أحمد حيدورة أربعة أولاد هم عبد الكريم وعبد الله وعبد المنعم ومحمد جواد.

خدوج: وهم بيت واحد جدهم القريب والوحيد هو صالح نعمة خدوج ومنه محمد.

خرشوم: (هم أيضاً عائلة ظاهر في بطاقات الهوية)، وهم بيت واحد جدهم الأعلى ظاهر حسن خرشوم، وقد ترك ثلاثة أولاد وهم ذيب ومحمد وعلي من ذيب ولد واحد هو علي وكان يلقب الدروبي، من محمد ولد واحد هو سعيد ومن هذين أي ذيب وسعيد من يحمل اسم خرشوم (أو ظاهر). أما نسل علي فولد واحد هو مصطفى ونسله يعرفون ببيت حسن.

خشفة: هم أولاد عبيد قاروط المنسوب له كرم عبيد. جدهم القريب الذي ينسبون له هو: سليمان علي أحمد علي عبيد قاروط. ترك سليمان ثلاثة أولاد هم أحمد وداوود ويوسف. من أحمد: سلمان وذيب ونمر. من داوود سليم وسليمان. من يوسف ولد واحد هو سليمان.

خليل: فرع من عائلة زهر الدين وهم من جد واحد اسمه موسى خليل حسين زهر الدين الذي ترك ثلاثة أولاد: علي موسى ومحمد موسى وأحمد موسى. والذين يحملون اسم خليل هم أبناء علي موسى وأحمد موسى.

خنافر: بيت واحد جاء جدهم من عيناثا قبل اقل من قرن واسمه درويش خنافر وقد ترك ولدين هما قاسم وعلي.

داغر: ينتسبون إلى جد واحد اسمه حسون داغر يعتقد بأنه جاء من بنت جبيل، وقد ترك ثلاثة أولاد هم: خليل ومحمد وعبده. لمحمد حسون ولد واحد هو حسن. ولعبده حسون ولد واحد هو محمد.

دعيبس: جدهم القريب الذيب ينتسبون إليه هو خليل دعيبس الذي ترك ولدين هما: إبراهيم وحسين. من إبراهيم خليل دعيبس ولدان هما عباس وخضر من عباس محمد ومن خضر علي ومحمد.

من حسين خليل دعيبس ولد واحد هو حسين ومنه يوسف واسماعيل.

الدلول: لقب لرجل غير مشهور الاسم وقد ترك ولدين الأول ترك محسن دلول والثاني ترك أحمد وحسن. من أحمد الدلول ولد واحد هو علي ومن هذا ولد واحد هو محمد.

دهيني: هم أبناء وأحفاد الشيخ عبد الله دهيني الذي وفد إلى ميس من قرية الخرايب.

دولاني: جد واحد (ربما علي دولاني) ترك ولدين هما قاسم واسماعيل. من قاسم ولد واحد هو علي ومنه ولدان هما ذيب ومحسن.

من اسماعيل علي دولاني ثلاثة أولاد هم أحمد ومحمد ومحمود. وقد درج محمد بينما ترك أحمد ولد واحد هو علي الذي منه يوسف. أما محمود اسماعيل فقد ترك ولدين هما اسماعيل ونعيم. من اسماعيل محمد ومحمود وعلي. ومن نعيم خضر.

ذيب: عاشوا في ميس في نفس الفترة التي كان فيها أباء العائلات المعروفة وهم ينسبون في بيتين: علي ذيب وحسين ذيب وليس من الواضح إذا ما كان ذيب هذا هو جدهم أو اسم عائلتهم. من حسين ذيب ولد واحد هو أحمد، ومنه علي وتوفيق وعبد الرسول.

أما علي ذيب فقد ترك ثمانية أولاد، سافر منهم سبعة إلى الأرجنتين ولم يرجع منهم أحد. وتاريخ سفرهم هو سنة ١٩١٥. وبقي واحد من أولاد علي ذيب هو محمود، ومن محمود علي ذيب ولدين إسماعيل وذيب، ومن هذين عدد من الأولاد.

رزق: الجد الأعلى لآل رزق غير معروف، وهم عرفاً من العائلات الميسية، فلا حديث عن مجيئها من مكان آخر. ولهذه العائلة فروع في قرى كثيرة في جبل عامل رحلوا عن ميس منذ زمن كآل رزق الموجودين في مشغرة وعين قانا وحولا وكفرصير والنبطية وكفر رمان. وفي رواية بعض المعمرين أن رزق وصادق جد آل صادق الخيامي من منبت واحد.

عائلة رزق اليوم في ميس متفرعة إلى عدة بيوتات، ولا يعرف منهم باسم رزق إلا فرع واحد. وهم ينسبون إلى الشيخ أحمد بن علي بن رزق الميسي العاملي.

كان للشيخ أحمد ولدان: محمد وعلي وقد توفي الأخير دون عقب. أما محمد رزق فقد ترك أربعة أولاد: وهم حسن وحسين وخليل وموسى. ومن هؤلاء الأربعة كل عائلة رزق (بهذا الإسم) في ميس.

من حسن خمسة أولاد هم: محمد ومحمود والزين وإبراهيم ومسلم ولم يعقب منهم إبراهيم.

من محمد حسن رزق ولدان هما أسعد وعلي ومن أسعد: محمد وحسن وحسين. ومن علي: حسين ومحمد علي ونديم وعدنان وغسان.

من محمود حسن رزق ولدان هما رزق وحسين، من رزق محمود ولدان هما محمد وعلي. ومن حسين محمود ولدان: أنور ويونس.

من الزين حسن رزق ولدان هما عبد الحسين وعبد الحسن. من عبد الحسين الزين أربعة: محمد وعلي وبهيج وطلال. من عبد الحسن الزين أربعة: حيدر والزين وإبراهيم ومحمود.

ومن مسلم حسن رزق أربعة أولاد: محمد وحسن وعلي وعبد الأمير. من محمد مسلم ستة أولاد: هاني ومصطفى وعلي وعبد الكريم وفهد وعماد. ومن حسن مسلم ستة أولاد: غازي وصبحي ورامز ومسلم وجمال وعلي. من عبد الأمير ولدين: علي وحسين.

أما أبناء حسين محمد رزق فهم خمسة: سعيد وسليم ومحمد علي وذيب ومحمد حسن. وليس من عقب لسليم الذي هاجر إلى أميركا ومات فيها (سنة ١٩٥٧) تاركاً عدد من البنات (إحدى عشرة). من سعيد حسين أربعة: محمد وحسن وحسين وخليل.

ومن محمد علي حسين ولد واحد هو سعيد ومن سعيد ولد واحد هو علي.

من ذيب ولد واحد هو خليل، ومن خليل ذيب أربعة أولاد هم عفيف وحسين وحسن ومحمد.

ومن محمد حسن ثلاثة أولاد هم حسن وحسين وحسيب.

أما أبناء خليل محمد رزق فهم خمسة أولاد: سليم وأحمد ومسلم وحسين وعلي

ولم يترك مسلم عقباً

من سليم ولد واحد هو محمد ومنه ثلاثة أولاد هم سليم وعبد الحسن وعلي.

من أحمد أربعة أولاد هم: إبراهيم ومحمد ومحمود وعلي.

من إبراهيم أحمد أربعة أولاد: موسى ومحمود وعبد الأمير وعبد الحسن.

من محمد أحمد ستة أولاد: أنيس وخليل وتميم وحسن وعلي ومحمود.

من محمود أحمد خمسة أولاد: حسن ورزق وفرج ونادر وسمير.

من علي أحمد ستة أولاد: خليل وجميل ونعيم وأمين وعبد اللطيف وأحمد.

بقي من أولاد خليل محمد رزق ولدان هما علي وحسين لكل واحد منهم عدد من الأولاد وهما يعيشان مع أبنائهما وأحفادهما في بيروت منذ زمن طويل.

من موسى محمد رزق ولدان: عبد الله وخليل

من عبد الله ولدان هما محمد ومصطفى وقد انتقل هذان وأنسالهما للسكن في قرى مختلفة خاصة في معروب (نسل محمد عبد الله) والزرارية (نسل مصطفى عبد الله). وقد ترك مصطفى عبد الله رزق ولداً واحداً هو محمد ونسله يعيش في الزرارية. وترك محمد عبد الله أربعة أولاد وهم عبد الله وعلي والعبد وموسى ولكل واحد من هؤلاء نسل كثير.

من خليل موسى أربعة: حسن وحسين وأحمد ومحمد.

من حسن خليل خمسة أولاد: محمود وقاسم وخليل ورؤوف وعلي. وقد فقد محمود سنة ١٩٤٩

لحسين خليل موسى أربعة أولاد هم عبد وعلي ورزق وبهيج. ولأحمد خليل خمسة أولاد هم علي وفتحي ورامز ومحمد وحسين. ولمحمد خليل ولدان هما عبد الأمير وموسى.

رضا: عائلة صغيرة من بيت واحد جدهم موسى رضا.

زراقط: هم بيت واحد، يعتقد بأن أصلهم من مركبا وجدهم الذي جاء إلى ميس هو عبد الله زراقط وقد ترك ولدين محمد وأحمد.

زريق: وهم ثلاثة بيوت اصلهم من الجديدة.(مر الحديث عن بيت حمادي زريق في حمّادي) أما البيتان الآخران فهما بيت حسين حسن ومنه علي ومحمود ومحمد ويوسف. والبيت الثاني بيت الخالوصي ومنه حسين وإبراهيم وحمودة.

زهر الدين: جدهم الأعلى في ميس هو حسين زهر الدين. ترك حسين ولدين هما علي وخليل. من علي زهر الدين ولد واحد هو حسن ومنه: أحمد وعلي وقاسم. من أحمد حسن ثلاثة أولاد وهم: محمد وعبد علي وعبد الحسين. من علي حسن ولد واحد هو الزين ومنه ولدان هما: عبد وعلي. من قاسم حسن ولدان هما: ذيب وعبد.

من خليل زهر الدين أربعة اولاد هم: سليم ونمر وداوود وموسى. وقد درج سليم. من نمر خليل ومنه محمد. من داوود خليل ثلاثة أولاد وهم حسن وحسين وعلي الذي يعيش نسله في عرمتى. من موسى خليل زهر الدين ثلاثة أولاد وهم: أحمد وعلي ومحمد.

زين: وهم بيت واحد أصلهم من عائلة الغول. جدهم الأعلى زين الغول ومنه ولد واحد هو موسى.

السربلّي: فرع من عائلة عيسى بيت واحد جدهم ربما حسين ومنه ولدان هما علي وحسن.

سليمان: هم بيت واحد من نسل عباس عمار (راجع عباس).

سويد: هم بيت من عائلة خليفة. جدهم الأعلى هو علي بن أحمد بن علي خليفة، الذي لقب سويد. ترك علي سويد ولدين هما ياسين وحسن. ومن حسن ولد واحد هو علي. أما ياسين سويد فقد ترك ولدين هما نعيم ومحمد ومن هذا البيت كل عائلة سويد التي تعيش في ميس.

بقي ملاحظة مهمة جداً حول هؤلاء وهي أن عائلة خليفة التي تعيش حالياً في الغازية وقناريت والصرفند بعض قرى منطقة صيدا هم في الأصل من ميس وليس العكس. وقد رحل جدهم الأعلى عن ميس إلى الغازية حيث استقر فيها وتكاثر نسله هناك. وكان كثيرون يعتقدون أن بيت سويد قد جاؤوا من الغازية وهذا بعكس الحقيقة.

شحرور: هم بيت واحد كان يستوطن المجدل (مجدل ميس) جدهم الذي سكن في الحي الشرقي هو اسماعيل ومنه ولد واحد هو حسن الذي ترك ثلاثة أولاد وهم علي ومحمد وعبد.

شرتوني: أصلهم من شرتون في جبل الشوف. جدهم الأعلى الذي جاء إلى ميس هو فارس شرتوني. ترك فارس ولداً واحداً هو عبد الله الذي ترك ولداً هو فارس ومنه خمسة أولاد هم محمد ومصطفى وعبد الله وسليمان وطراف. ولم يعقب منهم سوى عبد الله الذي ترك أربعة أولاد هم سليم وفارس وأسعد ومحمود. من سليم: عقيل وعبد الحسن وعبد الحسين. من أسعد: محمد ومحمود وأحمد. من محمود: ولد واحد هو مصطفى. ولم يعقب فارس (الثالث).

شرف (الأشراف): وهم بيت واحد هو بيت السيد محمد شرف وقد ترك ولدين هما محسن وعبد الكريم.

شرف: هم فرع من آل رزق ويعرفون بهذا الإسم نسبة إلى عمتهم التي كانت تدعى شرف، تزوجت شرف الشيخ علي همداني وأنجبت له ولديه الشيخين عقيل ومحمد علي، وقد أشرفت شرف على تربية ولدين من أولاد أخيها قاسم حسن موسى رزق ورعايتهما كان لقاسم ثلاثة أولاد: علي ومن نسله آل قاسم، وحسن ومنه المعروفون ببيت شرف، وحسين وكان له ولد واحد اسمه محمد مات دون أن يترك عقباً.

أولاد حسن شرف اثنين محمد حسن وأحمد حسن. من محمد حسن ثلاثة أولاد: حسن وظاهر وحسين من أحمد حسن أربعة أولاد: علي وحسن وحسين وعبد الكريم. ولكل واحد منهم عدد من الأولاد والأحفاد.

شقير: (جميع المعلومات المأخوذة عن عائلة شقير نقلها نائب رئيس بلدية ميس الجبل عبد المنعم جعفر شقير) وهي العائلة الأكثر عدداً.

جد عائلة شقير هو خليل صالح رامح شقير وقد أنجب ثمانية أولاد وهم: أحمد وحسن وعلي وأيوب وداوود ومحمد ويوسف ومحمود.

١ ـ من أحمد خليل شقير: يوسف وموسى. من يوسف أحمد. ومنه علي وأمين

من أمين أحمد: ولد واحد هو محسن.

من موسى أحمد خليل: علي وحسن. من علي جعفر ومن حسن: ذيب ونمر ومن نمر هذا: غالب وحسن وحسين وموسى. ومن جعفر علي موسى: عبد الحسن وعبد الحسين وعبد الكريم وعبد المنعم وعلي.

٢ ـ من حسن خليل شقير: حمودي (محمد) ومنه حسن ومحسن وعلي. من حسن حمودي: ناصيف وحسين وأحمد ومحمد وموسى. ومن محسن حمودي: محمد وعلي وصبحي واسماعيل ونضال. ومن علي حمودي: خليل ومصطفى وحسن.

٣ ـ من علي خليل شقير: طالب ومنه عبد وحسين. من عبد طالب: سعيد وجواد واسماعيل وعباس. ومن حسين: مسلم ونعيم وجميل وعقيل والزين ومحمد ومحمود وأحمد.

٤ ـ من أيوب خليل: إبراهيم ومنه أيوب ومنه: إبراهيم ومحمد. من إبراهيم: توفيق وحسين وخليل ومحمد. ومن محمد: شحادة وعلي وأحمد وعبودي (عبد).

٥ ـ من داوود خليل: أيوب ومحمد. من أيوب إبراهيم ومنه اسماعيل ومنه موسى.

من محمد داوود: داوود ومنه: شحادة وسليمان. من شحاذة: نمر ومن سليمان: محمد وعلي وسليم.

٦ ـ من محمد خليل شقير: حميد وذيب حمودي (محمد) من حميد محمد وموسى: من محمد: عبد. ومن موسى: حميد.

من ذيب محمد خليل: محمد وسليم وخليل ومسعود وسليمان.

من حمودي محمد خليل: خليل ومحمد علي وعبد.

٧ ـ من محمود: إبراهيم ومحسن ومحمد. من إبراهيم محمود: خليل وطالب ومحمد.

من محسن محمود: محمد ومحمود. من محمد: محسن. ومن محمود: عبد.

من محمد محمود: حسين وموسى. من موسى: محمود وقد درج دون نسل. ومن حسين محمود: علي ومحمد ومعروف.

٨ ـ من يوسف خليل: أحمد ومن أحمد موسى وعلي وحسن من موسى علي بوحسن ومن علي (زعرور) محمد وحسن من محمد علي ومن حسن محمد حسن وحسين من حسن: أحمد ومنه علي أحمد حسن أحمد يوسف خليل شقير.

شما: وهو بيت واحد لصادق أحمد داوود حمادي عيسى وشما جدته لقب بها. منه: محمد ونعمة الله.

شور: بيت واحد انتقلوا إلى عثرون منذ في خمسينات القرن العشرين وبقوا فيها.

صعب: أصلهم من الجديدة، وهم من جدين: موسى صعب وله ولد واحد هو حسن ومنه خليل. وحسين (ويلقب جوهر). من خليل حسن موسى صعب ولدين: علي خليل وموسى خليل.

من علي خليل خمسة أولاد هم: محمد وحسين ومحمود وحسن وخليل.

ومن موسى خليل ولد واحد هو نمر.

من حسين وهو الملقب جوهر: أحمد وعلي وحسن (يقيم علي ونسله في النبطية).

ومن عائلة صعب بيت حمورة وقد مر الحديث عنهم.

الصباغ: وهم من جد واحد جاء من بنت جبيل اسمه سليم الصباغ. ترك سليم الصباغ ولدين هما محمد علي ومحمد حسن. من محمد علي ثلاثة أولاد وهم علي وفايز وحسن ومن محمد حسن خمسة أولاد هم أمين وخليل وحسن وحسين ويوسف.

طه: رأصلهم من هورا نفس قرية آل جعفر، جدهم الذي انتقل إلى ميس هو حسين طه وقد ترك ولدين محمد علي وطه. من محمد علي ولدين هما: مصطفى ومسلم وسليم. من مصطفى عبد وعلي ومحمد وحسين ومحمود (سافر إلى أميركا ولم يعرف عنه شيئاً).

من مسلم: نمر ويوسف وعبد الأمير وعبد الحسن. ومن سليم: سعيد وأسعد وعبد العزيز.

من طه طه ثلاثة أولاد وهم: محمد وإبراهيم وأحمد من محمد: عطية. وقد سافر محمد إلى الأرجنتين ولم يعد.

من إبراهيم طه ولد واحد هو محمد.

ومن أحمد طه ستة أولاد: علي ومحمد حسن وحسين ونمر وسامي وهاني.

ظاهر: وهم من أبناء ظاهر حسن خرشوم الثلاثة محمد وعلي وذيب (راجع خرشوم).

عاشور: وهم بيت واحد جاء جدهم من شقرا قبل جيل واحد، وهو محمود عاشور. وقد ترك ولدين هما: خليل وإبراهيم. من خليل موسى ومنه علي ومحمد. من إبراهيم عاشور: محمود ومحمد وأحمد. من أحمد علي وعبد الله ومن محمد إبراهيم.

عباس: هم أولاد عباس ابن عمار سليمان عمار. كان لعباس أخ شقيق اسمه سليمان وهذا كان له ولد اسمه إبراهيم انتقل إلى أميركا ولم يعد. أما عباس جد العائلة فقد ترك ولداً واحداً هو أحمد. من أحمد عباس: عبد الكريم وعلي ومحمد.

من عبد الكريم ولد واحد هو أحمد. من علي أحمد عباس ولدان هما: عبد الحسين ومحمد.

من محمد أحمد عباس ثلاثة أولاد (سليمان في الهوية) وهم: حسن وحسين وقاسم.

العجمي: يعتقد أن أصلهم من بنت جبيل. وهم من أحفاد قاسم عجمي الذي ترك ولدين هما حسين وأحمد.

عساف: جدهم ربما علي عساف وله ولدان: عيسى ومحمد. من عيسى: عبد ومنه محمد.

من محمد عساف: حيدر وأحمد.

عطوي: وهم بيت واحد جدهم الحاج عطوي الذي ترك أربعة أولاد هم: موسى وحسين وعلي وسليمان، من موسى: محمد ومنه موسى ومنه: حسين وحسن وطالب ومحمد. من حسين عطوي ولد واحد هو ظاهر ومنه علي ظاهر ومن علي ظاهر: حسين وحسن وأحمد وعبد الكريم وموسى من علي عطوي: نمر وحسن من نمر: علي ومحمد، من علي نمر: محمد علي وحسن وعطوي وأحمد، ومن محمد نمر: حسن وعلي، من حسن علي عطوي: عبد الحسن وعبد الحسين، من سليمان عطوي أربعة أولاد: محمد وعلي وعبد وحسن، من عبد سليمان: محمد واسماعيل.

عليوي: هم جد واحد منه: علي موسى ومهدي ومصطفى. وقد درج مهدي بينما ترك مصطفى ولدين هما: حسين وعلي.

عمار: جدهم الأعلى عمار سليمان خليل ذيب بشير رضا محمد عمار. وقد ترك عمار عمار ستة أولاد وهم سليما وعباس (مرا في آل عباس) ومحمد وإبراهيم وحيدر ونعمة.

من نعمة عمار ولد واحد هو قاسم ومنه ولد واحد هو محمود ومنه ولد واحد هو أحمد ومنه ولدين هما محمود ومحمد.

من محمد عمار ثلاثة هم: حسن وحسين وأحمد.

من حسن محمد عمار أربعة أولاد هم: يوسف ومحمد وعمار وسليم.

من يوسف ولدين: علي ومنه ثلاثة أولاد، ومحمد الملقب بالمر.

من محمد حسن عمار ولدين: ذيب ومحمود

من عمار حسن عمار: حسن ويوسف ومحمد وحيدر.

من سليم حسن عمار: حسين وأحمد وعلي.

أما نسل حسين محمد عمار فولد واحد هو خليل ومنه موسى، ومنه حسين وحسن وعبد المنعم ومحمد وعبد الحسن.

من أحمد محمد عمار ولد واحد هو محمد ومنه أحمد وعلي.

من حيدر عمار ولد واحد هو علي ومنه الزين ومحمد. من الزين علي عمار: مصباح وبهيج وكامل وعلي. من محمد علي حيدر عمار: نعيم ومنه: محمد وعلي.

من إبراهيم عمار أربعة أولاد وهم: محمود وخليل وسليم وأمين.

عواضة: جدهم القريب إبراهيم عواضة ومنه ولدان هما: سليم وخليل عواضة الذي منه محمد وعلي وموسى.

عيسى: كانت تسكن في الضيعة (الحي الشرقي) وقد انقسمت إلى عدة بيوتات أو عائلات صغيرة، وهذه العائلات هي: أبو شر وحيدر وحمادي (ومنه شما ووهبي) والسربللي والحج (وهما بيت واحد) ونصر الله. وقد ادعى كثير من المعمرين أن معظم عائلات ميس فروع لعائلة عيسى، حتى ذهب بعضهم إلى القول بأن هذه العائلة هي أقدم عائلة لا زالت تقيم في ميس. ولم يحتفظ باسم عيسى من هذه العائلة سوى نسل

الحاج محمود عيسى الذي ترك ثلاثة أولاد وهم يوسف وحسن ونصرالله. من يوسف ذياب ومنه محمد (في الهوية الحاج) وسليم (في الهوية السربللي) وحسين.

من حسن الحاج محمود ولد واحد هو محسن ومنه: محمد وحسن وعباس وعلي.

غبشة: جدهم موسى غبشة جاء إلى ميس من أرنون، امتلك خاناً في الحي الشرقي وأداره حتى وفاته حيث ورثه ابنه أحمد الذي ظل يملك الخان حتى توقف العمل في بداية عهد الانتداب. ترك أحمد موسى غبشة ثلاثة أولاد وهم علي وإبراهيم وموسى.

ومن المفيد أن يذكر هنا أن أحد أبناء هذه الأسرة لم يكن حاضراً في ميس عندما جرى الإحصاء سنة ١٩٢٣ بل كان موجوداً في دمشق حيث احصي هناك. وقد خسر الجنسية اللبنانية ولم يسترجعها بعد ذلك. ولا زال نسله يعيشون في سوريا ويحملون جنسيتها.

غضبان: جدهم إبراهيم جاء من يحمر الشقيف. وقد ترك ثلاثة أولاد هم: علي ومصطفى وقاسم. من علي: نمر. ومن مصطفى: علي ومحسن. ومن قاسم: محمد وعبد الرضى وعبد الحسين وعبد الحسن.

الغول: أصلهم من طربيخا وهم أربعة أجداد: الشيخ جواد وشحاذة ويحيوالشيخ محمد جواد.

١ ـ الشيخ جواد ترك ولداً واحداً هو محمد ومنه: الشيخ علي والشيخ نعمة. من الشيخ علي: الشيخ محمود والشيخ محمد والشيخ حسن.

٢ ـ شحاذة الغول ترك حسن وحسين. من حسن: عباس ومن حسين: محمد ومحمد حسن وعلي. من محمد حسين شحاذة: خليل وموسى.

٣ ـ يحي الغول ترك الشيخ أحمد الذي أنجب: محمود والزين ويحي وداوود ومحمد. من محمود الشيخ أحمد: محمد وقاسم وعبد الحسن. من الزين: علي. من يحي: سليم وحسن ومحسن. من داوود: نعمة الله ومنه: عبد الكريم وعبد المجيد وعبد الحميد وعبد اللطيف وداوود. من محمد الشيخ أحمد: أحمد وحسين والشيخ نايف.

٤ ـ الشيخ محمد جواد ومنه: محمد علي ويوسف ومصطفى وداوود. وقد هاجر محمد علي إلى أميركا ولم يرجع. أما يوسف فقد ترك: جواد والعربي ومحمد. وترك مصطفى: موسى وخليل. وترك داوود علي وعبد الحسين وجواد.

فاعور: وهم بيت واحد: محمد فاعور: ومنه: محي الدين وسيف الدين وعلي الدين. من محي الدين محمد سليمان ومن سيف الدين علي ومن علي الدين حسن وحسين، من محمد محي الدين: حسن وحسين وعبد الجليل وعبد الكريم وعبد اللطيف وعلي، ومن سليمان: عبد الله ومحي الدين وعباس وعبد الرحيم، من علي سيف الدين حسين ومحمد ومن حسن علي الدين محمد وأديب وبلال ومن حسين: سعيد وعلي ومحمد وعفيف.

فرحات: عائلة حديثة في ميس، جدهم الذي جاء إلى ميس واستوطن فيها هو حسين فرحات (ت ١٨٩٢)، وقد ترك أربعة أولاد انتقل إثنان منهم إلى بليدا وبقيا فيها ويعيش فيها اليوم أنسالهما، وهما محمد وعبد الله. وبقي إثنان في ميس هما داوود وخليل. من داوود:

كامل ورؤوف وجميل. من كامل داوود فرحات: محمد حسن وحسن ومحمد نجيب وحسين. من محمد حسن كامل ولد واحد هو شفيق، من حسن كامل ثلاثة أولاد هم محمد وأحمد وعلي. ومن حسين كامل ثلاثة أولاد هم: محمد وبهيج وأنيس. ومن محمد نجيب (أو نجيب) أربعة أولاد هم: حبيب ومصطفى وعلي وكامل.

من رؤوف داوود فرحات: محمد وعلي وعبد الحسن وعبد الحسين.

من جميل: لطفي ورشدي وشبيب. وقد ترك لطفي ولدين هما عبد الحسن وعبد الحسين وترك شبيب ولدين هما جميل وعلي. ولم يترك رشدي عقباً.

من خليل حسين فرحات: موسى وحسين ومحمد علي ومحمد حسن وحكمت. من موسى: فيصل وزيد وقد عاش موسى في مجدل سلم ونسله فيها إلى اليوم. من حسين: نزيه ونبيه وعلي وغسان وخليل وعزت، من محمد علي: خليل وكامل وأحمد ومحمود وإبراهيم، من محمد حسن: طلال وجمال وأكرم، ومن حكمت: أحمد وعلي وحسن.

كما انتقل إلى ميس في زمن لاحق علي فياض داوود فرحات واستوطن فيها وكذلك انتقل إلى ميس محمد حسن من نسل الحاج حسن فرحات. ومنه عصام.

فلحة: جدهم الشيخ محمد ابن الشيخ حسين رزق الميسي العاملي. وقد توفي الشيخ محمد فلحة في العراق سنة ١٣٠٠/ ١٨٨٢ وترك ولدين هما الشيخ حسين والشيخ أحمد (وهما خالا السيد محسن). وقد توفيا، كليهما في سن مبكرة. توفي الشيخ حسين سنة ١٣٢٠/ ١٩٠٢ وبعده بمدة قصيرة توفي أخوه الشيخ أحمد. وقد ترك

الشيخ حسين ولداً واحداً هو محي الدين فلحة (ت ١٩٧٨) وترك محي الدين ثلاثة أولاد: محمد وفخر الدين وبدر الدين. ومحمد فلحة، أبو وحيد ت ١٩٩٧ كان شاعراً ومارس التعليم (مر الكلام عنه).

أما الشيخ أحمد فلحة فقد ترك ولدين هما علي ومنه كامل وحسين. وحسين ومنه عبد الكريم.

قاروط: كثير من الذين سألتهم عن أصل هذه العائلة أخبرني أنهم من عائلة بدوية نزلت في ترحالها في ميس ولبثوا فيها بعد رحيل عشيرتهم. وكان رب العائلة يدعى قاروط. والقاروط في لهجتنا تعني الولد الذي تربيه زوجة أبيه (غير أمه). ويبدو أن هذه القصة مختلقة أساساً. وقاروط أو أبناء قاروط قد جاؤوا إلى ميس منذ زمن طويل ستة أو سبعة أجداد معروفون في ميس.

وهذه العائلة هي من العائلات الكثيرة العدد في ميس، ربما تأتي من حيث العدد في المرتبة الثانية بعد آل شقير. وهي تقيم في الضيعة، حالياً في الحي الجنوبي. يتحدرون من خمسة أجداد، ويمكن القول أنهم خمسة بيوت (أجداد). والغريب أن أحداً من آل قاروط لا يعرف رابطة مباشرة بين أجدادهم، فهم فقط أجداد أقرباء، وليسوا أخوة من جد واحد، وربما أتوا جماعة من قبيلة أو عائلة واحدة، لذلك من الصعب ربط أجدادهم في سلسلة نسبية. ويمكن الحديث عنهم ضمن أجدادهم أو بيوتهم كالتالي:

١ ـ بيت ونسة: وهم أولاد علي حسن ونسة. ونسبه الحقيقي هو علي بن حسن بن أحمد بن حسين بن ياسين قاروط. وعرف أولاد علي حسن بلقب ونسة نسبة إلى عمتهم التي ربتهم (اسمها ونسة) بعد ذهاب أبيهم علي إلى السفر برلك (حدود سنة ١٩١٥). وليس هناك من يؤكد عودة علي حسن قاروط من السفر برلك.

أولاد علي حسن أحمد أربعة وهم: حسين وأحمد وحمودة وحسن.

من حسين علي ونسة: سعيد ومحمد وأحمد وعبد الله ومحمود وعبد اللطيف.

من أحمد علي ونسة، (وكان مشهوراً بلقب أبو علي): علي ومحمد وحسن وحسين ويوسف وخليل وعباس وقاسم ونجيب.

من حسن علي ونسة: علي وأحمد ونعمة.

من حمودة علي ونسة: نعمة وموسى.

وهناك شقيق لعلي حسن أحمد (ونسة) يدعى عبد حسن أحمد ترك خمسة أولاد وهم: محمود ومحمد سعيد وعباس وكامل وأحمد. ولكل واحد من هؤلاء نسل كثير وهم يعيشون في بيروت منذ زمن طويل.

٢ ـ بيت قاسم قاروط وهم أخوين: ذيب قاسم وعبد الله قاسم.

ـ من ذيب قاسم ولدان: الهادي وبيت (؟؟؟) الذي منه ولدان أيضاً هما يوسف صفية وخليل صفية. وإنما لقب يوسف وخليل باسم أمهما ذيبة التي كانت تلقب صفية لأنها كانت، كما يقال، تجلي عرائس الجن.

ومن نسل الهادي وخليل ويوسف صفية نسل كثير.

والثاني من أبناء قاسم هو عبد الله.

من عبد الله القاسم ولدين: حسن وحسين.

من حسن عبد الله قاسم: محمد وعبد الله قاروط

ومن حسين عبد الله ولدين: محمد ويوسف

٣ ـ بيت المقلى: وهم بيتين أمين المقلى وحسن المقلى.

من أمين المقلى: علي أمين وأحمد أمين ومحمود أمين ومحمد أمين.

ومن حسن المقلى: مسلم وسليم.

أولاد مسلم حسن المقلى: سعيد وعبد الله وعبد الكريم وأكرم ورجب.

أولاد سليم حسن المقلى: نعمة وعبد المنعم وعطاالله.

٤ ـ بيت مرعي قاروط، ولمرعي ولدين علي مرعي ونعمة مرعي.

من علي مرعي: حسن وحسين ومرعي.

ومن نعمة ولد واحد هو حسين ومنه ولد واحد هو ذيب ومنه أيضاً ولد واحد هو حسين توفي في الحرب الأهلية (١٩٧٦ ـ ١٩٩٠) حتف أنفه، وقتلت زوجته بالرصاص ثم استشهد ابنه علي، وكان شاباً غريراً، وبقي من ذريته عدد من الأولاد.

٥ ـ بيت سلمان وهم نسل إبراهيم سلمان قاروط. وهم بيتان: أحمد إبراهيم ومحمد إبراهيم (عمل كلبهما في مطلع القرن العشرين في تعليم الأولاد القرآن واللغة العربية على طريقة الكتاتيب).

من محمد إبراهيم سلمان: محمود ومحفوظ

ومن أحمد إبراهيم سلمان سبعة هم خليل وعباس وسليمان وإبراهيم وحسن وسلمان وعلي.

قاسم: ينسبون إلى جدهم قاسم حسن موسى رزق (مر اثناء

الحديث عن آل شرف) الذي ترك ثلاثة أولاد هم: علي وحسن وحسين. والذين يعرفون اليوم ببيت قاسم هم أبناء علي فقط الذي ترك بدوره ثلاثة أولاد هم: محمد وموسى وقاسم. من محمد ولد واحد هو سعيد ومنه أربعة أولاد وهم: محمد وأحمد وعلي وحسن. ومن موسى علي قاسم ولدين: علي وحسن. ومن قاسم خمسة أولاد.

قبلان: جدهم الأعلى يدعى خليل محمد قبلان. قيل بأن أصله من شحيم كما يقال بأن اصله من قرية حجولا في كسروان. ترك خليل قبلان ثمانية أولاد وهم: محمد وعباس وحيدر وطراف ويوسف وإبراهيم وعلي وحسين.

من إبراهيم خليل قبلان: حسين ومحمد وعلي. من حسين إبراهيم محمد ومحمود وظاهر وعلي. من محمد إبراهيم: خليل وإبراهيم.

من عباس خليل ثلاثة أولاد وهم: حميد وأحمد وخليل. من أحمد: محمود ومحمد ومن خليل: موسى وعباس وأحمد.

من قبلان خليل قبلان: محمد ومحسن. من محمد: قبلان وعلي وأسعد وسعيد وعبد المنعم وعبد الكريم. ومن محسن: محمد وحسن.

من محمد قبلان: علي ومنه: قبلان وحسن.

من حسين خليل قبلان: الشيخ موسى وظاهر. من ظاهر علي وقد درج. من الشيخ موسى الشيخ محمد علي ومحمد جواد. من الشيخ محمد علي: الشيخ عبد الأمير ومحسن. ومن محمد جواد: أحمد ومحمود وخليل.

من طراف خليل قبلان: موسى ومنه: محمد وسعيد.

من حيدر خليل قبلان: كاظم وحسين وموسى. وقد درج كاظم. من حسين: حسن وخليل ومحمد. ومن موسى: محمد وسعيد وعبد الحسن ومحمد نجيب وحسين.

من يوسف خليل قبلان: محمد وحسين وذيب وجواد. وقد درج محمد وذيب. من حسين يوسف: ظاهر ويوسف. ومن جواد: محمد جواد وعلي ومحمد كامل.

الكركي: وهم بيت واحد أصلهم من خربة سلم.

مرعي: أصلهم من أرنون الشقيف، جاء جدهم علي مرعي إلى ميس قبل جيلين فقط. وقد ترك ولدين هما محمد وسليم. وليس لمحمد علي مرعي عقب. أما سليم فله ثلاثة أولاد وهم محمد ومحمود وحسين.

المصري: وهم فرع من عائلة وهبي، جدهم ذيب وهبي الذي لقب بالمصري، ترك ذيب المصري ولد واحد هو قاسم ومنه ولد واحد هو أحمد. وقد ترك أحمد قاسم المصري ثلاثة أولاد هم علي ومحمد وذيب.

المقلى: وهم بيت واحد أصلهم من سلعا ويحملون في الهوية انهم من ميس لأن واحداً منهم تربى في ميس عند خالته وعند الإحصاء سنة ١٩٣٢ تسجل في ميس. وهم حالياً يقيمون في النبطية. ولا وجود لهم في ميس ولا أملاك.

مياسة: بيت واحد هو بيت محمد طالب مياسة، وهم فرع من آل نعيم.

نصار: وهم بيت عبد علي نصار بيت واحد.

نصر الله: نسبة إلى نصر الله عيسى، ومن نسله ولدين: هما محمد نصر الله وعلي نصر الله من علي ولد واحد هو محمد (لم يترك عقباً).

ومن محمد نصر الله خمسة أولاد هم: عقيل وعبد ومحمود وسليم وسعيد. وقد درج عقيل، أما عبد فترك ثلاثة أولاد وهم محمد علي وعلي وكامل.

ترك محمود أربعة أولاد وهم موسى وأحمد وحسين وحسن. وترك سليم ولداً واحداً هو محمد، أما سعيد فقد ترك أيضاً ولداً واحداً هو محمد.

نعيم: تنسب لهم ساحة الغربية (ساحة بيت النعيم). ولكن هذه العائلة كادت أن تبيد بعد أن انتقل جلهم إلى قرية سلعا، ولم يبق منهم اليوم في ميس (الغربية) إلا بيت واحد يحمل اسم العائلة هو بيت علي النعيم، ومن نسله ولدين: نعيم ومحمد.

ومن عائلة نعيم فرعان هما آل مياسة وآل حيدورة، وقد مر الحديث عنهما.

هزيمة: جدهم الأعلى خليل هزيمة ومنه ولدان: وهبي وحسين. من وهبي اسماعيل ومنه ولدان هما محمد وداوود. من محمد: سليم وقاسم وأحمد. وقد درج سليم. من قاسم: محمد ومنه: حسن وحسين وأحمد. من أحمد محمد ثلاثة أولاد وهم: محمد ومحمود (الطويل) وعلي.

من داوود اسماعيل وهبي هزيمة: أحمد ومنه: أحمد ومحمود ومصطفى وعاطف واسماعيل وجميل وإبراهيم وموسى.

من حسين خليل هزيمة: يوسف ومحمد. من يوسف: محمد ومنه: يوسف وقاسم. من يوسف: علي وحسين وحسن. ومن قاسم: حسين.

من محمد حسين: هادي ومهدي. من هادي: محمد علي وحسن وحسين. ومن هذا: محمد وعبد الحسين وزين وعلي.

من مهدي: يوسف وأحمد. من يوسف محمد. ومن أحمد مهدي: عبد المنعم وعبد الكريم. من عبد المنعم: علي ومحمد وأحمد.

همداني: وهم بيت واحد أصلهم من إيران، جدهم الأعلى علي همداني استقدمه وفد من الزوار، كان في زيارة النجف الأشرف، وقد أغروه بالمجيء إلى ميس لقراءة مجالس العزاء فيها وفي المنطقة. تزوج الشيخ علي من شرف بنت حسن موسى رزق أخت قاسم. للشيخ علي همداني ولدين: عقيل ومحمد. الشيخ محمد لم يترك عقباً (ت ١٩٦٢) والشيخ عقيل ترك خمسة أولاد هم علي وعبد الحسين وعبد الأمير ونجيب وعبد الحسن.

وزواز: وهم أولاد فارس مرعي الحسن الملقب (الوزواز) وقد ترك أربعة أولاد: نمر وذيب وسعيد وحسين.

وهبي (شما): مر في حمادي عيسى

وهبي: وهم عائلة قديمة في الغربية، قسم كبير منهم سافر إلى

أميركا بسبب حادثة وقعت لأحدهم وكان يدعى حبيب سنة ١٩٢٧، فسافر حبيب وهبي المذكور إلى أميركا ثم تبعه اخوته كلهم.

أجداد آل وهبي المعروفون في ميس أربعة وهم اسماعيل وهبي وحسن وهبي وإبراهيم وهبي بالإضافة إلى ذيب وهبي الذي لقب بالمصري ولا زال نسله يعرف ببيت المصري إلى اليوم.

من اسماعيل وهبي أحمد ومن أحمد ذيب وعلي. لم يترك ذيب عقباً، أما علي أحمد اسماعيل فترك ثلاثة أولاد هم حسين ونعمة وزين.

من حسن وهبي ولد واحد هو محمد وقد ترك ولدين هما عقيل ومسلم. من عقيل ولد واحد هو نمر ومن مسلم ولدين هما محمد وعلي.

من إبراهيم وهبي ولد واحد هو علي وكان يلقب العلوشة وقد ترك ولدين، واحد منهما لم يترك عقباً أما الثاني فهو محمد علي العلوشة وقد ترك ثلاثة أولاد هم حسن وعلي والعبد.

وهبي المصري: موجود تحت اسم المصري.

يحي: وهم بيت واحد، وهم أبناء موسى بن محمد بن حسين يحي الحاج. ويبدو أنهم ينتسبون إلى بيت الحاج الواسعة الانتشار في جبل عامل ولكنهم نسبوا إلى جدهم القريب يحي. أصلهم من قرية أنصار.

وكان لموسى يحي أخ واحد اسمه عيسى سافر إلى أميركا ولم يرجع. وقد ترك موسى يحي ولدين هما علي ومحمد.

نوادر ميسية

كان الدرّاسون على البيادر يغنون أغنيات يحفظونها بشكل ردات زجلية. وكانت أصول الغناء والترديد في هذه الحالة تتم بتناوب القول، فيفتتح واحد الردة بجملة فيكمل أقرب سامع له ثم ينتقل الصوت إلى ثالث ورابع حتى يقول كل درّاس ما يشاء أو ما يحفظ تعبيراً عن أحاسيسه بطريقة تبدو أنها ترديد لأسلوب غنائي متوارث. آخر الأغنيات التي كان يرددها الدّرّاسون كانت تمول باللهجة العاملية:

يبدأ أحدهم بالقول:

حِلّيلا يا بيضا (أي حلٍّ هذه المعضلة يا بيضاء)

يجيبه آخر:

يا شرش الحميضا

(كلمة شرش يستعملها أهل جبل لبنان بصيغة شلش وتعني جذر النبات)

يتابع ثالث:

يا جبني طريي (باللهجة العاملية، والأصل يا جبنة طرية)

يرد الرابع

فوق الهيطلية

والهيطلية أكلة شعبية قديمة تشبه المهلبية

يعود القول للأول فيقول:

فتح يا طبقنا

يرد٢. . . . . . . تا نلحق رفاقنا

يرد ٣. . . . . . . رفاقنا ما رفاقنا

يرد٤. . . . . . رفاقنا صبحية

قلة قليلة من الذين كانوا يرددون هذه الأغنية ـ الأهزوجة، لا زالوا يتذكرونها أو يتذكرون باقي مقاطعها الطويلة.

ـ صفية، امرأة من آل قاروط، يلفظون اسمها بتسكين الصاد فيقولون «صْفِيِّةْ» شاع عنها أنها محظية عند الجن لأنها تقوم بجلي عرائسهم. وقد شاع من الحكايات حولها الكثير وكله ممزوج بشكل الدعابات الخرافية. يقال أن الجنيات كن يخرجن بالعروس من بيت صفية وهن يرقصن ويغنين أغنية فسمعها البعض وحفظها والأغنية تقول:

يــــا يُـــمّـــا ريـــذْ ومـــا ريـــد شَـــبْ وْمِـــشْ طـــالِـغ بِـــالإيـــد

يِـــرْحَـــمْ روحْ الـــشَّـــيْـــخْ نِـــعـــمـــة عَـــمَّـــرْ لـــي عَـــمْـــرا بْـــقَـــرْمـــيـــد

هذا ما كانت تردده الألسن في الضيعة وينسبونه للجنيات.

والشيخ نعمة المذكور في هذه الأغنية أحد شيوخ آل الغول، وقد مرّ الحديث عنه.

ولأنه كان تقياً جداً فقد أصبح ملاذاً لكثير من الناس ومقصداً لمن يريد التوبة. لكن تقوى هذا الشيخ لم ترق لبعض أهل الأغوار في الحولة فأرادوا استدراجه لعمل شائن يكون عليه شهود كثيرون من أهل ميس ومنهم. فائتمروا وقرروا أن يرسلوا له امرأة في ليلة ماطرة باردة تلتجىء إليه وتغويه، وجعلوا بينهم وبين تلك المرأة علامة إذا نجحت في مهمتها.

وفي الوقت الموعود دخلت المرأة على الشيخ وهو يجلس قرب الموقد وراحت تكلمه كالمستجيرة به لأنها لا تستطيع أن تذهب في هذا الليل إلى الغور، فعرض عليها الشيخ أن يدخلها إلى غرفة مجاورة تنام فيها زوجته. لكن الغورانية ادعت أنها ستجفف ثوبها أولاً وراحت تخلع ما عليها وتقترب من الشيخ الذي خشي أن يجره الشيطان إلى الفاحشة، فلم يجد أمامه ما يردع الشيطان إلا الموقد فوضع يده في النار ليكون ألم الحريق سبباً في ابتعاد تفكيره عما أرادته المرأة. وعندما رأت المرأة ما فعل الشيخ صاحت بأعلى صوتها رعباً فاقتحم أصحابها البيت وهم يظنون أن خطتهم نجحت، لكن أملهم خاب وعرفوا الحقيقة كاملة من المرأة التي خرجت مولولة.

ـ يوسف حسن عمار استاقه الجيش التركي إلى السفر برلك (التجنيد) وكانت امرأته حاملاً فذهبت معه تودعه إلى المرج الشمالي وقبل أن يفترقا اوصاها بأن تسمي الولد إذا كان صبياً «المر» وقد أنجبت صبيا فسمته محمداً لكنها كانت تناديه ويناديه الناس طيلة حياته بالمر.

ـ كامل رستم اليوغوسلافي أحد المتطوعين البوسنيين الذين جاؤوا للقتال في حرب سنة ١٩٤٨. كان خبير نسفيات ممتازاً تمكن من الإيقاع بعدد من الآليات الإسرائيلية ودمرها وأثناء خروج أحد الجنود الإسرائيليين من إحدى الآليات أطبق عليه كامل رستم وصوب نحوه مسدساً فاستسلم الإسرائيلي وانقاد مع آسره دون مقاومة. وقد أوصله كامل إلى ديوان الشيخ محمد علي قبلان رحمه الله حيث احتشد أهالي ميس لرؤية الأسير وتهنأة كامل رستم. إحدى النساء شعرت بحماس شديد فزغردت ابتهاجاً، فاعتبر الإسرائيلي ذلك ترحيباً غير متوقع به، أو ادعى

ذلك. ثم طلب قهوة عربية فأتوه بها، فقال علناً بأنه لن ينسى ترحيب أهل ميس به، ثم سلم إلى السلطة اللبنانية.

بعد تسليم الأسير للجيش اللبناني، وقف كامل رستم ناحية وهو يبتسم بشكل ملفت، وعندما سأله أحدهم عن سبب ابتسامه قال بأن مسدسه كان فارغاً عندما صوبه إلى رأس الجندي الإسرائيلي.

- سنة ١٩٤٨ غادر أهالي ميس بيوتهم ولجأوا إلى القرى المجاورة خصوصاً في قرية شقرا. وقد اضطروا لاستئجار بيوت للسكن فيها بانتظار الفرج. وبما أن تمديدات المياه لم تكن موجودة فقد لجأ المستأجرون إلى مياه المزاريب يسدون بها حاجاتهم. بعض أصحاب البيوت اعترضوا على ذلك وادعوا أنهم أجروا البيت ولم يؤجروا المزراب، وإذا أراد المستأجر أن يستفيد من مياه المزراب فعليه أن يدفع مبلغاً إضافياً. ولم يكن أمام المستأجرين وقد اعتادوا على الصبر، إلا أن يصبروا. وعندما انتهت الحرب وعادوا إلى قريتهم غنوا في الأعراس على طريقة الدلعونا:

الحمد لله رجعنا على بلدنا رُخْنا عَ شقرا ما لايامتنا
عَ درب شقرا ما يميّلونا والله لَ نوصّي ولد ولدنا

وهذا يعطي صورة عن ما تركت تلك الأيام القاسية من مرارة في نفوس أهل ميس.

- في مظاهرة جرت سنة ١٩٦٠ للمطالبة بالمياه، كان التلامذة يرددون أثناء سيرهم:

بَدْنا مَيْ عطشانين نِحْنا اليوم مْأَضِزبين

كان المحرض على المظاهرة أحد أساتذة المدرسة الذي أوعز إلى

تلامذة الصف الخامس بالتحرك وبعد أن تظاهروا عادوا إلى المدرسة ليخبروه بما جرى معهم فطلب منهم بأن يعودوا ويتظاهروا ويتابعوا هتافاتهم على باب المخفر حتى يتأكدوا أن الشاويش (الرقيب) قد أبرق بمطالبهم إلى المسؤولين وهذا ما حصل.

الشيخ نعمة الغول رحمه الله كان عالماً تقياً عمل في الأرض كما يعمل كل الفلاحين. بينما كان السيد محسن الأمين في بداية حياته يطوف في قرى المنطقة ليجمع منها الخمس والزكاة. وقد التقى مرة بالشيخ نعمة وهو يرفع شقيفاً من الحجارة في أرضه ويبني به جداراً فسأله عن الحكمة في القيام بها العمل الشاق وهو من هو بين علماء الدين، فنظر الشيخ نعمة إلى كيس كان يملأه السيد مما جمعه في رحلته، وقال له: «يا سيد، تحت كل شقيف يوجد رغيف، أما الكيس الذي معك فلا يطعم خبزاً».

خاتمة

لقد حاولت فيما كتبت أن أرسم صورة لميس، لمن أراد من أبنائها أن يتعرف عليها، وقد حاولت ما استطعت أن أدون المعلومات كما هي، ولم يكن هدفي خصوصاً فيما يتعلق بالعائلات، كيل المديح لأحد ولا انتقاص أحد، فإذا ما حدث نقص في بعض الأسماء أو تحريف فليس ذلك مقصوداً بحال، وقد يكون الخطأ حدث سهواً أو بسبب المصدر الذي قدم معلومات خاطئة.

وتبقى ميس رغم كل شيء هي الهدف، ميس القرية العاملية الوادعة، كذلك كانت منذ قرون تعيش في جبل عامل بتقوى، وتنجب الكبار من العلماء والزهاد، ميس التي استقبلت أبا ذر الغفاري واحتضنت نظرته ونظريته حول الولاية لعلي، فكانت أول قرى الدنيا تشيعاً. ميس التي استقبلت في مدرستها الكبرى العالم الجليل المحقق علي بن عبد العالي الكركي ليخرج منها حاملاً نظرية الشهيد الأول حول ولاية الفقيه ثم يقوم بنشر هذه النظرية السياسية ـ الفلسفية قبل أن يفكر أحد من علماء المسلمين بمفهوم منطقي للدولة وللحكم. ميس التي أعطت الكثير الكثير خلال سنوات النضال والجهاد المستمر في الحرب الاهلية

اللبنانية، وما أعقبها من مقارعة للعدو، حتى أعطى أبناؤها المثل والقدوة للمجاهدين في العالم.

فلندع الله من القلب أن يحمي ميس من جيل إلى جيل، ومن دور إلى دور، آمين.

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

- ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر - بيروت ١٩٦٦.

- ابن خرّادذِبّة، المسالك والممالك، طبع ليدن ١٩٦٧.

- أحمد بن أبي بكر المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع ليدن ١٩٦٧.

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، نسخة مصورة سنة ١٩٧٣ عن ط ١ حيدر آباد الدكن (بدون تاريخ).

- أحمد بن محمد الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني. تحقيق أسد رستم وفؤاد افرام البستاني طبع المكتبة البولسية - بيروت ط٢ ١٩٨٥.

- أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، المكتبة البولسية - بيروت ط ٢ ١٩٨٥.

- أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، المكتبة البولسية - بيروت ط ٢ ١٩٨٥.

- اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، طبع دار لحد خاطر - بيروت، (دون تاريخ).

- أ. ن. بولياك، الإقطاعية في مصر وسوريا ولبنان وفلسطين، دار المكشوف - بيروت ١٩٣٨.

- حسن الصدر، تكملة أمل الآمل، دار الأضواء، بيروت ١٩٨٦.

- حسن محمد صالح، تاريخ تبنين، دار الجمان للطباعة والنشر - بيروت ٢٠٠٠.

- حمزة بن أحمد بن عمر المعروف بابن ساباط، تاريخ ابن ساباط، تحقيق عمر تدمري، جروس برس - طرابلس ط ١ ١٩٩٣.

- حيدر الشهابي، تاريخ الأمير حيدر «الغرر الحسان»، طبع دار الآثار بيروت ١٩٨٠.

- زين الدين العاملي، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، دار إحياء التراث العربي ط٢ ١٩٨٣.

- شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع مكتبة المثنى - بغداد (لا تاريخ).

- الشيخ عبد الباسط الفاخوري، تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام، طبع دار الجنان بيروت ١٩٨٥.

- عبد الله الأصفهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق أحمد الحسيني، قم ١٤٠١.

- عبد المجيد الحر، معالم الأدب العاملي من بداية القرن الرابع الهجري حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، طبع دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٢..

- علي درويش، جبل عامل بين ١٥١٦ - ١٦٩٧، دار الهادي - بيروت ١٩٩٣.

- علي الزين للبحث عن تاريخنا في لبنان ط١ دار النهار للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٣.

- قسطنطين بازيلي، سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني، دار التقدم ـ موسكو ١٩٨٩.

- محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق وإخراج حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ١٩٨٦.

- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، دار الوفاء ـ بيروت ١٩٨٣.

- محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ابن جبير)، رحلة ابن جبير، دار بيروت ١٩٨٤.

- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط٥ منشورات الأعلمي ـ بيروت ١٩٨٩.

- محمد تقي الفقيه، جبل عامل في التاريخ، دار الأضواء ـ بيروت ط٢ ١٩٨٦.

- محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ط ٣ دار النهار ـ بيروت ١٩٩٨.

- محمد بن الحسن الحر العاملي، أمل الآمل ج ١، ط ٢، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ١٩٨٣.

- محمد زعيتر، المارونية في لبنان قديماً وحديثاً، الوكالة الشرقية للتوزيع ـ بيروت ١٩٩٤.

- محمد علي مكي، لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني (٦٣٥ ـ ١٥١٦) دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٧٧.

- المشرق مجلد سنة ١٩٠٧ العدد ١٨ تاريخ ١٥ أيلول ١٩٠٧.

المصادر الأجنبية:

- E. REY: Les colonies Franques en syrie aux XII et XIII siecles. Alph.Picard Paris 1883

- E, Robinson. Biblical researches in Palestine and the adjacent regions, Arno press, NEW YORK 1977

- Ernestus Strehlke, Tabulae Ordinis Theutonici Published in CANADA and U.S. UNI. OF Toronto 1975

- Guilelmus, Abp. of Tyre, ca. 1130 - ca. 1190. Historia rerum in partibus transmarinis gestarum XIII,V, revu et annote par M. Paulin, Paris, Firmin Didot et cie, 1879 - 80

- Josephus FL. B.J.4.2.3

- South Lebanon 1948 - 1986, leb. Min. of information.

- Paul Deschamps, Les chateaux des Croises en Terre - saint II La defense de Royaume de Jerusalem.Etude historique, geographique et monumentale. Paris, Librairie orientaliste, Paul Geuthner 1939

- Chronicles of the Crusades, Edited by Elizabeth Hallam, Weiden and Nicolson, LONDON,1989

- The Catholic Encyclopedia Volume XV

- Crusading warfare 1097 - 1193, By: R.C.Smail. Cambridge U.P. 1956 -



مشهد عام للمرج القبلي والمغاريق



مشهد عام لضهر العاصي



مسجد الشيخ علي بن عبد العالي الميسي ـ الحي الشرقي



منظر عام للمرج الشمالي



آثار عربية في الحي الغربي



آثار عربية في الحي الغربي



ضريح الشيخ نعمة الغول



آثار يونانية ـ الحي الغربي



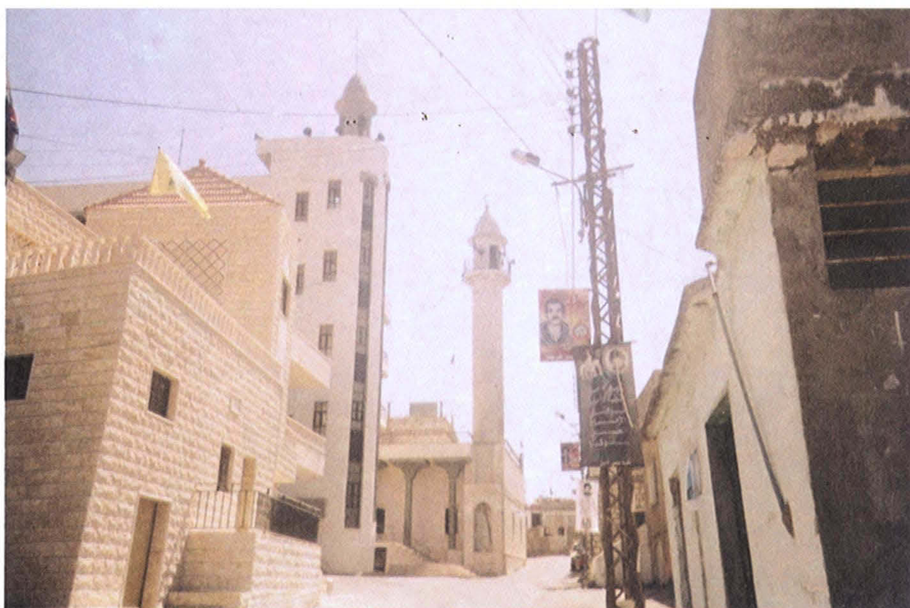
آثار يونانية ـ الحي الغربي



آثار كنيسة أرثوذكسية وعليها كتابة سريانية ـ الحي الشرقي



جامع الإمام علي(ع) ـ الحي الغربي



الجامع الكبير بعد إعادة بنائه



آثار في موقع المجدل



آثار في موقع المجدل



المدرسة الابتدائية



خرائب قلعة دوبية (دُبَي)



مسجد أبي ذر الغفاري



مشهد عام ـ الحي الجنوبي

الفهرس